المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمادة التعليم عن بعد
كلية الشريعة ـ الانتساب المطور

(قرا ٣٠٣)

مقرر التفسير

المستوى الخامس

أستاذ المادة:

د. بدر بن ناصر البدر

(المذكرات تم تفريغها سماعاً من المحاضرات الصوتية)

إعداد طلاب وطالبات كلية الشريعة

انتساب مطور

نسخة مدققة و مزيدة

١٤٣٢هـ

(كتب الله أجر كل من عمل على إعدادها وجعلها له صدقة جارية)

﴿تقديم﴾

هذه هي الطبعة النهائية لمذكرات كلية الشريعة انتساب مطور تعليم عن بعد
وقد اعتمدت بتوفيق من الله بعد أن تم تدقيقها أكثر من مرة
من قبل طلاب وطالبات كلية الشريعة انتساب مطور
واخترنا أفضلها تدقيقاً وتم تلوينها وتنسيقها لتكون هي الطبعة النهائية
ولأنها جهد بشري لا يخلو من الخطأ ولا يصل للكمال
فنرجو عند وجود خطأ أو ملاحظة
كتابة تنبيه في الموضوع المخصص لذلك في منتدى المستوى الخاص بالمذكرة
في منتدى مكتبة كلية الشريعة: www.imam٨.com

وسوف يتم تصحيح الأخطاء بعد التنبيه عليها من قبل القائمين على إعداد المذكرات

ونسأل الله جزيل الثواب لكل من يعين على ذلك ويشاركنا فيه

(مجموعة إعداد مذكرات كلية الشريعة انتساب مطور)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العزيز الوهَّاب ، مالكَ الملوكِ وربِّ الأرْباب ، هو {الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ}{هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ} وأودعه من العلوم النافعة والبراهين القاطعة غايةَ الحكمةِ وفصلَ الخطاب ، وخصَّصه من الخصائص العليَّة واللطائف الخفيَّة والدلائل الجليَّة والأسرار الربانيَّة العجب بكل عجب عجاب ، وجعله في الطبقة العليا من البيان حتى أعجز الإنسان والجان ، واعترف علماء أرباب اللسان بما تضمَّنه من الفصاحة والبراعة والبلاغة والإعراب والإغراب ، ويسَّر حفظه في الصدور، وضمن حفظه من التبديل والتغيير ، فلم يتغير ولا يتغير على طول الدهور وتوالي الأحقاب ، فسبحان مولانا الكريم الذي خصنا بكتابه وشرفنا بخطابه ، فيالها من نعمة سابغة ، وحجة بالغة ، أوزعنا الله الكريم القيام بواجب شكرها ، وتوفيه حقها ، ومعرفة قدرها ، وما توفيقنا إلا بالله هو ربنا لا إله إلا هو عليه توكلنا وإليه متاب. وصلاة الله وسلامه ، وتحياته وبركاته وإكرامه ، على سيدنا ومولانا محمد النبي الأمي ، القرشي الهاشمي ، المختار من لباب اللباب ، والمصطفى من أطهر الأنساب ، وأشرف الأحساب. فصلى الله عليه وعلى آله الطيبين وأصحابه الأكرمين خير أهل وأصحاب[1].

أما بعد ، فهذه مذكرة مادة التفسير المقررة على المستوى الخامس قسم الشريعة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية التعليم عن بعد . تم جمع مادتها من تفريغ الحلقات الصوتية وعددها أربعون حلقة ، وتشتمل على تفسير آيات الأحكام من سور: الأنعام ، والأعراف ، والأنفال ، والتوبة ، والنحل . والتي ألقاها فضيلة أ.د. بدر البدر حفظه الله.

فقامت مجموعة من طلاب وطالبات عمادة التعليم عن بعد من كليات مختلفة ومستويات متعددة بالتعاون وتقسيم العمل بينهم ، فكان منهم المفرغ ، ومنهم المراجع ، ومنهم المنسق ، ومنهم المدقق ، ومنهم المشرف. ثم منَّ الله عليهم بعد السهر والتعب وبذل الأوقات بإخراج هذا العمل منسقاً مرتباً مصفوفاً منقولاً من قالب الشرح الصوتي إلى قالب الشرح المحرر المكتوب ، ولا يدَّعُونَ فيه الكمال بل قولهم "أبى الله أن لا يكمل إلا كتابه". ولم يكونوا يرجُون بهذا العمل إلا وجه الله ، وتسهيل المراجعة عليهم وعلى من أتى بعدهم ، رجاءَ أن يثيبهم الله عليه ، ويكون ذخراً لهم ، وأجراً لا ينقطع كما قال عليه الصلاة والسلام (أَو عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ).

ولقد تمّت بعض التعديلات البسيطة على الحلقات الصوتية : كإعادة صياغة بعض الجمل ، وحذف المكرر من كلام الأستاذ ، وقد يكون الأستاذ أخَّر تفسير آية لكن رأينا أن نضعها في مكانها من حيث ترتيب سياق الآيات وقد أشرنا إلى هذا في الحاشية السفلية. ولقد أتبعناها في النهاية بفهرس لأسباب النزول ، وفهرس للقراءات ، وفهرس للإعراب.

وفي الختام نسأله سبحانه كما جمعنا في هذا المنتدى ، على تعلم شريعته ، وتدارس آياته ، وألَّف بين قلوبنا ، من غير معرفة سابقة ، ولا قرابة جامعة ، أن يجمعنا في مستقر رحمته ودار كرامته {فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ}

إخوانكم /طلاب وطالبات كلية الشريعة عمادة التعليم عن بعد

[1] مقتبسة من تفسير ابن جزي الكلبي. مع شيء من التعديل.

مقدمة د. بدر بن ناصر البدر[1]

إن الحمد لله نحمد و ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اللّهُمَّ صل وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أيها الأخوة وأيتها الأخوات السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد.

فحياكم الله و بياكم إلى هذه الحلقات المتتابعة بإذن الله عز وجل في تفسير المنهج المقرر للمستوى الخامس لكلية الشريعة ولا يخفى على شريف علمكم أننا في مادة التفسير هذه نتدارس تفسير آيات الأحكام ، نعلق عليها بما يتيسر في بيان أسباب النزول والمناسبات إن كانت ظاهرة دون تكلف ، أيضاً ذكر قراءات التي فيها توجيه قد يرتبط بمعنى الآية أو بيان حكم فيها ، أيضاً ذكر أقوال المفسرين رحمهم الله تعالى في تفسير الآيات ، ثم أيضاً نختم الكلام بذكر الفوائد والمسائل المستنبطة إن كانت تحتاج إلى نقاش وتعليق أو يكون الحديث عنها في تفسير الآيات الكريمات.

ومنهجنا المقرر بإذن الله عز وجل في تفسير آيات الأحكام في المستوى الخامس لكلية الشريعة هي جملة آيات من سورة الأنعام ، ثم من سورة الأعراف ، ثم من سورة الأنفال ، ثم من سورة التوبة ، وختامًا من سورة النحل فهلم أيها الإخوة والأخوات نتدارس تفسير هذه الآيات مستعينين بالله جل وعلا سائلاً الله تبارك وتعالى أن يجعلني وإياكم من أهل القرآن الذين هم أهله وخاصته وأن نتدارس كلام الله عز وجل وأن نتدبر لنكمل بعد ذلك نسأله جل وعلا أن يوفقنا لذلك قال تعالى {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[2] وقال جل وعلا {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ}[3]

---

[1] الأستاذ المشارك بقسم القرآن وعلومه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

[2] آية (٥١) سورة النور.

[3] آية (٢١) سورة الأنفال.

الحلقة (١)

موضوع الحلقة تفسير الآيات ١٠٨ ، ١١٨ ، ١١٩ من سورة الأنعام

{وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٠٨)}

سبب نزول هذه الآية /ذكر المفسرون رحمهم الله في سبب نزولها قولين :-

القول الأول /قال ابن عباس : لما نزلت {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨)}الأنبياء. قال المشركون لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لتكفنّ عن سبّ آلهتنا أو لنسبنّ إلهك.

القول الثاني / قال السدي : لما حضرت أبا طالب الوفاة طلب المشركون منه أن يكف ابن أخيه أي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سب آلهتهم ، فلما قال أبو طالب ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم امتنع وقال (قولوا كلمة تدين لكم بها العرب والعجم) فقال أبو جهل : نقولها وعشر كلمات ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم (قولوا لا إله إلا الله) قال السدي : فاشمأزوا ونفروا وقالوا : أجعل الآلهة إلـهًا واحدًا ؟

- وهناك كتب ألفت في أسباب النزول ومن أشهرها كما هو معلوم كتابان : (١) أسباب النزول للإمام الواحدي وقد حققه السيد أحمد صقر في مجلد مطبوع متداول. (٢) لباب النقول في أسباب النزول للإمام السيوطي وقد طبع طبعات كثيرة وهو متداول في السوق ، ثم إن كتب التفسير أيضاً لا تخلو من ذكر أسباب النزول.

{وَلَا تَسُبُّوا} (السب) هو الشتم والنقص والعيب. {الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} اسم الموصول (الذين) يرجع إلى الأصنام. وعُبر عنها باسم الموصول الذي يدل على العاقل مع أنها غير عاقل ، ولو عُبر عنها بغير العاقل لقيل (ما) ولكن هنا عبر عنها بـ(الذين) مع أنه للعاقل ! السبب قالوا : بناء على معتقد الكفار فيها ، أي خوطبوا بما يعتقدون ، وإلا ليس معناها تفخيم الأصنام أو تعظيمها بل المراد هنا بيان حال المعتقدين فيها.

{فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ} (عدوًا) أي : جهلاً وتعديًا. ولا شك أنه إذا سُبَّت أصنامهم عادوا فسبوا الله عز وجل فيسبوا الله

- نحن أيها الإخوة و الأخوات ما نعرب كل كلمة لكن نحن نعرب الكلمات المشكلة أو التي لها أثر في المعنى.

إعراب // فمثلاً هنا في قوله تعالى {عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ} (عدوًا) فيها وجهان :

الوجه الأول / أنها مفعول مطلق منصوب بالفتحة. الوجه الثاني /أنها مفعول لأجله منصوب بالفتحة.

{كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ} في هذا إثبات مشيئة الله تبارك وتعالى العامة الكونية. وكما قال العلماء : للعبد مشيئة خاصة تناسبه بها يزاول عمله وإليه ينسب وعليه الثواب والعقاب. فيقال هذا مطيع هذا فاسق هذا بر هذا فاجر وعليه يجازى عند الله تبارك وتعالى.

{ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ} أي : أن أعمالهم ومآلهم إلى الله تبارك وتعالى ، وهنا قُدم الجار والمجرور {ثُمَّ (إِلَى رَبِّهِمْ) مَرْجِعُهُمْ} يعني الأصل أن يقال : ثم مرجعهم (إلى ربهم) ، لماذا قدم الجار والمجرور ؟ السبب : لإفادة الحصر والتخصيص. يعني أن المرجع والمآب إلى الله تبارك وتعالى.

{فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} أي : يجازون ويحاسبون أمام الله تبارك وتعالى في يوم القيامة.

➢ هنا مسألتان مرتبطتان بالآية :

المسألة الأولى /تحريم سب المعبودات التي تعبد من دون الله عز وجل ويشمل ذلك أصحاب المعاصي والفسق، لكن لابد من بيان الحق بالأسلوب الصحيح والنصيحة والتوجيه. و ليس معنى لا تسب يعني لا تنصح ! لا ، غلط ! لا تسب معناه الشتم والنقائص والوقيعة هذا خطأ ، وأيضًا السكوت وعدم النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذا أيضاً خطأ ، نحن نقول لابد من البيان والتوجيه والإرشاد بحسب ما يفتح الله على العبد ، بعض أهل العلم فرق بين أهل المعاصي الذين لهم منعة ومنزلة ، والذين ليس لهم منزلة لكن هذا الكلام غير صحيح فالآية عامة في من عبد غير الله عز وجل ، أيضاً يدخل فيها أصحاب الفسق والمعاصي.

المسألة الثانية /أن فيه سد الذرائع ، وأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح. نحن نريد أن يستفيد هؤلاء ونريد أن يُعرف الشر لكن ليس معناها إنني أشتم وأرفع صوتي وأضايق الناس بالكلام هذا غير صحيح ، فمقام الله جل وعلا أعظم وأجل.

{فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ (١١٨)}

سبب نزول هذه الآية /روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء المشركون إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي رواية إلى بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : من الذي قتل الميتة ؟ قالوا : الله ، الميتة ماتت حتف أنفها ليس بسبب آدمي ، فقال المشركون : فلم لا تأكلون مما قتل الله وتأكلون مما قتلتم ؟

(الشرح) هذه شبهة شيطانية يعني لا يخفى على شريف علمكم أن الميتة من المحرمات {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ (٣)} كما سبقت دراسته في سورة المائدة ، بعض المشركين قال أنتم تحرمون الميتة والله قتلها أي ماتت حتف أنفها ليست بفعل آدمي ، وأنتم تأكلون مما قتلتم فلماذا الأول حرام والثاني حلال ؟ الله جل وعلا رد عليهم وأبان الحق هنا وقال تبارك وتعالى : {فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ}.

{فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} الأمر هنا ليس على ظاهره أي الوجوب ، وإنما المراد : الإباحة. أي إباحة الأكل، وأنه لا يجوز إلا مما ذكر اسم الله عليه.

(الشرح) يعني لو فرض أن الإنسان ذبح ذبيحة وذكر عليها اسم الشيطان أو اسم صاحب قبر أو جن أو معبود من دون الله عز وجل هذا لا يجوز أن يؤكل ، أو أنه لم يذكر اسم الله عليه عمدًا هذا أيضاً لا يجوز أن يؤكل.

{إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ} (إن) حرف شرط (كنتم) فعل الشرط ، جواب الشرط محذوف، والتقدير : فعليكم الأكل مما ذكر اسم الله عليه. يعني أن المؤمن المصدق المذعن لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم لا يتردد ولا يتلكأ وإنما يأكل سمعًا وطاعة مما يعني أبيح له ولا يتعدى إلى ما حرم عليه.

{وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (١١٩)}

{وَمَا لَكُمْ} (ما) هنا استفهامية تفيد الإنكار والتقرير لأهل الإيمان ألا يعبئوا ولا يهتموا ولا يلتفتوا لهذه الشبهة. التي ذكرتها قبل قليل أن المشركين كانوا يقولون لماذا لا تأكلون مما قتل الله وتأكلون مما قتلتم ! فيجب عليهم ألا يعبئوا ولا يهتموا بهذه الشبهة وأن يعتمدوا على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

{أَلَّا تَأْكُلُوا} هذه الجملة في إعرابها أوجه كثيرة ولا تخلو من تكلف والراجح والله أعلم أنها : في محل جر، والجار لها

(محذوف) والتقدير : في ألا تأكلوا. يعني وما لكم في ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه.

**قراءات/ {وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ..} في هاتين الكلمتين (فصَّل) و (حرَّم) ثلاث قراءات :

القراءة الأولى / قرأ نافع ، وحفص عن عاصم بالفتح فيهما على الظاهر {وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ} وهي قراءتنا التي نقرأ بها.

القراءة الثانية / قرأ ابن كثير ، وابن عامر ، وأبو عمرو بالضم فيهما {وَقَدْ فُصِّلَ لَكُمْ مَا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ} وجاء الفعل هنا مبني للمجهول والمقصود هنا (وقد فُصل لكم ما حُرم عليكم فيما مضى من الآيات) مثل ما جاء في سورة المائدة وأيضًا ما جاء في مواضع كثيرة من القرآن وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

القراءة الثالثة / قرأ حمزة ، والكسائي ، وأبو بكر عن عاصم بالفتح في الأول والضم في الثاني {وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ} فهذه الآية لها ثلاث قراءات سبعية ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

➢ ومعنى (فصل) أي : بيّن وأوضح.

{إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ} أي : إلا ما دعتكم الضرورة إلى أكله فيؤكل منه والحالة هذه إنسان مضطر في سفر ويكاد يهلك فرأى ميتة ، موقوذة نطيحة إلى غير ذلك يجوز له أن يأكل ، بعض أهل العلم يقول الوجوب حتى ينقذ نفسه قال الحسن رحمه الله : "من اضطر إلى أكل الميتة فلم يأكل فمات عُدَّ قاتلاً لنفسه" لكن هذا الكلام يحتاج إلى تفصيل.

**قراءات/ {وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ} قوله تعالى (ليضلون) فيها قراءتان :-

القراءة الأولى / قرأ عاصم ، وحمزة ، والكسائي بضم الياء { لَيُضِلُّونَ }.

القراءة الثانية / قرأ الباقون بفتح الياء { لَيَضِلُّونَ }

الفرق بين القراءتين / الفرق واضح أن قراءة {ليُضلون} تدل على ضلالهم في أنفسهم وإضلال غيرهم ، أنهم ضلوا في أنفسهم ثم أضلوا غيرهم يعني تعدى الشر إلى غيرهم هذا على قراءة ضم الياء. أما قراءة فتح الياء {ليَضلون} فالمقصود أنهم أضلوا أنفسهم فقط ولا يلزم منه إضلال غيرهم فبعض الناس قد يكون ضالاً في نفسه فقط لكن لا يُضل غيره.

{بِأَهْوَائِهِمْ} (الأهواء) المقصود به هنا الشبهات والشهوات ومفردها : هوى ، سمي بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا أمام الله وأمام خلقه ، صاحب الهوى من شبهة أو شهوة هاوٍ في الدنيا أمام الله وأمام خلقه ، أما في النار فهو يهوى في نار جهنم يوم القيامة والله جل وعلا قد عد الهوى إلـهًا يُعبد من دونه قال سبحانه **{أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا (٤٣)}**الفرقان. قوله تعالى **{بِغَيْرِ عِلْمٍ}** أي : بغير حجة شرعية. **{إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ}** هذه الآية واضحة.

➢ **هنا نتوقف عند مسألتين :**

المسألة الأولى / أن الإيمان هو الفيصل في الحلال والحرام. الحلال والحرام لا يرتبط بكلام فلان أو فلان بل نحن نحتكم إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

المسألة الثانية / أن الدين والحمد لله واضح ، ومعالمه بينه وأحكامه واضحة ، ليس هناك لبس ، الحمد لله قد فصل لنا وبين لنا ما نحتاج إليه يقول أبو ذر رضي الله عنه : "توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما من طائر يطير في السماء إلا ذكر لنا منه علم" والله تعالى يقول **{مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ (٣٨)}**الأنعام.

الحلقة (٢)

موضوع الحلقة تفسير الآيات ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ من سورة الأنعام

{ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ (١٢٠)}.

{ وَذَرُوا } (ذروا) بمعنى اتركوا ودعوا.

ويقول اللغويون لم يأتِ منه الفعل الماضي فلا يقال (وَذَرَ) لكن يأتي منه الفعل المضارع (يَذَرُ) صحيح. إذن فعل الأمر (ذَرْ) ، (ذَرُوا) صحيح كما جاء في الآية وأيضًا الفعل المضارع (يَذَرُ) ، لكن الماضي لم يأتِ منه فلا يقال (وَذَرَ محمد الكتاب) يعني ترك محمد الكتاب أو (وذر علي السفر) يعني ترك علي السفر هذا لم يأت عن العرب.

➢ {وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ} اختلف في التفريق بين ظاهر الإثم وباطن الإثم على أقوال كثيرة نحن نقتصر على ثلاثة أقوال منها :-

القول الأول /إن ظاهر الإثم هو الزنا في الحوانيت لأنه كان معلنًا وبيّنًا ، وباطنه هو اتخاذ الخليلات للفاحشة في السر ، وكانت العرب لا تستعيب الثاني وإنما تستعيب الأول.

(الشرح) كانت العرب تستعيب الزنا المعلن أما الزنا الخفي في البيوت وهكذا والصديقات والصاحبات كانوا لا يستعيبونه وهذا على كل حال حرام كله المعلن منه والخفي وهذا بيان ما في الآية.

القول الثاني /أن ظاهر الإثم هو المعاصي كلها الظاهرة ، وأن باطنه هو المعاصي الخفية.

القول الثالث /أن ظاهر الإثم هو عمل المعصية نفسها ، وباطنه هو نية فعل المعصية.

(الشرح) ومن المعلوم أن الإنسان إذا نوى فعل المعصية ولم يفعلها فإنه يكتب له حسنة ، لكن ليس معنى ذلك أن الإنسان يتذكر حلاوة المعصية وينويها بقلبه ثم يتركها ، لا ! قد الإنسان لو نواها واستمر قد يقع ويفعلها ! فعلى كل حال الآية تأمرك يا أخي المسلم أخي الطالب أختي الطالبة بأن تقطع الخواطر الرديئة والأمنيات المحرمة لفعل المعصية سواء فعلها أو نية فعلها كل هذا لا يجوز والإنسان يحذر، من نوى فعل المعصية ولم يفعلها فإنه من فضل الله عز وجل أنها تكتب له حسنة إذا تركها من أجل الله عز وجل، ليس لأنه تركها لأنه لم يقدر على فعلها ! أراد أن يسرق ولم يتمكن من السرقة وجد الأبواب مغلقة هذا لا يكتسب حسنة !

{إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ} معنى (الكسب) هو ما يفعله الإنسان رجاء مصلحة أو دفع مضرة في الدنيا والآخرة . ولذلك قال بعض أهل العلم : إن فعل الله لا يسمى كسبًا لأن الله جل وعلا لا يرجو نفعًا ولا يخشى ضرًا ، فعلي وفعلك صح نعم نحن نكسب لأننا نرجو نفعًا إما دنيويًا وإما أخرويًا وندفع ضررًا إما دنيويًا أو أخرويًا.

{سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ} (الباء) هنا للسببية ، والمقصود أن هذا الجزاء سبب وقوعهم في الإثم. يعني ما سيجزون عليه هو بسبب وقوعهم في الإثم ، ما سينالهم من العقوبة والعذاب التي قد تعجل في الدنيا و قد تكون في الآخرة هو بسبب ما فعلوه وما وقعوا فيه من الحرام.

{بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ} (يقترفون) أي : يواقعون ويعملون المعصية. **وبعض المفسرين يقول :** "سبب اختيار هذه الكلمة (يقترفون) – كلمة فيها قوة الحقيقة – لبيان خطورة فعلهم وشدة جرمهم" ، هناك فرق بين أن يقال : اقترف فلان معصية وأن يقال : فعل فلان معصية ، فلا شك أن كلمة (اقترف) فيها قوة و فيها شدة وهي جاءت في موقعها هنا لبيان خطورة

فعلهم وشدة جرمهم ولا شك أن القرآن هو كلام الله جل وعلا وهو أفصح وأبلغ الكلام

{وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)}

مناسبة الآية لما قبلها /أن الله عز وجل لما أمر بالأكل مما ذكر عليه اسمه جاء النهي في هذه الآية عن ضد ذلك تأكيدا لهذا الأمر وبيان أهميته.

(الشرح) وهذا حق يعني لما جاء الأمر بذكر اسم الله ، بأن لا نأكل إلا مما ذكر اسم الله عليه جاء هنا أيضاً النهي أن لا نأكل مما ذكر عليه اسم غير الله جل وعلا ، فهناك أمر وهنا نهي، هذا يدل على أهمية هذا الأمر ، أمر المطعومات والمشروبات ألا نأكل إلا مما ذكر اسم الله عليه، ولذلك **قال النبي صلى الله عليه وسلم** (كل جسم نبت من سحت فالنار أولى به) فالأمر خطير أيها الأخوة ولذلك **عليه الصلاة والسلام ذكر** (الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك) فالأكل من الحرام سبب في عدم قبول الدعاء وعدم الاستجابة ومن منا يريد أن يقع في هذا الأمر. إذن هذه هي مناسبة الآية جاء هناك أمر وهنا نهي لما جاء الأمر بألا نأكل إلا مما ذكر اسم الله عليه جاء هنا النهي ألا نأكل مما ذكر عليه اسم غير الله جل وعلا،مثل ما يذبح للشيطان للجن لصاحب قبر لصنم يعني ذبح لغير الله عز وجل هذا لا يجوز الأكل منه، وقد **قال النبي صلى الله عليه وسلم** (لعن الله من ذبح لغير الله) والله يقول {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢)} الكوثر. وقال سبحانه {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢)} الأنعام.

➢{وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} هنا يذكر العلماء خلافًا في ما لم يذكر اسم الله عليه ، لو أن إنسان ترك التسمية ما الحكم؟ اختلف في هذه المسألة على قولين :-

القول الأول /ذهب الأئمة عدا الشافعي إلى أن من ترك التسمية في الصيد والذبح عمدًا لم تحل له ، أما لو كان نسيان أو جهل أو ارتبك وهكذا هذا حلال لكن المقصود هو العمد. وإن ترك التسمية خطأ أو نسيان حلت له لقول ربنا {رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا (٢٨٦)}البقرة. قال الله عز وجل : قد فعلت. ولقول النبي صلى الله عليه وسلم (عفي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)

(الشرح) إذن هذا مذهب الأئمة عدا الشافعي أن من ترك التسمية عمدًا لا تحل له مثلاً يقال له : يا فلان قل (باسم الله) وهو يريد أن يذبح فلا يذكر اسم الله ! يا فلان وهو الآن يرمي ببندقيته يريد أن يصطاد طير أو غزال أو نحو ذلك يا فلان قل (باسم الله) قال : لا لن أقول ! يعني عمد هذا لا تحل ، أو ذكر عليها اسم غير الله عز وجل أيضاً لا تحل. لكن لو تركها نسيانًا ، أو مثلاً أخطأ ، أو بدل ما يقول (باسم الله) قال باسم كذا يعني خطأ ، أو ارتبك لما رأى الطير رمى ببندقيته قبل أن يقول (باسم الله) نقول : لا حرج عليه فالله يقول {رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا} وفي الحديث : قال الله عز وجل قد فعلت.

القول الثاني /الإمام الشافعي رحمه الله ذهب هو وجماعة إلى أن من ترك التسمية عمدًا ، أو خطأً ، أو نسيانًا وهو مسلم – لابد أن يكون مسلم– حل له ذلك واستدلوا **بما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال** (ذكر الله على قلب مؤمن قال أو لم يقل) رواه الدارقطني والبيهقي. قالوا : أن ذكر الله على قلب المؤمن قال أو لم يقل لكن بشرط أن يكون مسلم حتى تحل ذبيحته حتى ولو لم يذكر اسم الله عمدًا.

لكن هذا الحديث ضعيف ، ضعفه جماعة منهم : الدارقطني والبيهقي وابن عدي في الكامل وابن كثير في تفسيره ، والراجح هو القول الأول وهو أن من ترك التسمية عمدًا لم تحل ذبيحته ولا صيده ، وأن من تركها نسيانًا أو خطأ أو أكره على ذلك أو نحوه فإنه تحل ذبيحته ويحل الصيد ولو لم يذكر اسم الله عليه.

قوله تعالى {وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ} الضمير هنا يرجع إلى (الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه) ، يعني هذا الأكل الذي لم يذكر اسم الله عليه هذا فسق ، ومعنى الفسق في اللغة : هو الخروج من الشيء ، ولذلك يقال للفأرة (فويسقة) لخروجها من جحرها للإفساد ، والمراد هنا : خروج ما لم يذكر اسم الله عليه من الحلال إلى الحرام.

(الشرح) هي دابة وأنت تريد تأكل لحمها لماذا لاتريد أن تذكر اسم الله عليها ! إذا لم تذكره عمدًا أو ذكرت اسم غير الله عليها أنت أخرجتها من الحلال إلى الحرام.

- قوله تعالى {وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ} اختلف في المراد بهذا على قولين :-

القول الأول /أن المراد بالشياطين إبليس وأعوانه من الجن ، ومعنى (يوحون) أي : يوسوسون إلى أوليائهم أي من الكفار.

القول الثاني /أن المراد بالشياطين هم مردة المجوس أي الفرس ، ومعنى (يوحون) أي : يكتبون ويراسلون وكانت لهم علاقة بكفار قريش.

(الشرح) معروف أن قريش كانت لهم ارتباط بالفرس ، وتعرفون أن الفرس عبدة النار وكانوا يستحلون الميتة بل نسأل الله العافية يستحلون نكاح الأمهات ونكاح الأخوات والبنات ، وكانوا يراسلون الكفار ويلقون إليهم هذه الشبه وهذه الأسئلة ليطرحوها على النبي صلى الله عليه وسلم.

{وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ} أي : وافقتموهم وقبلتم قولهم. {إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} ذُكر هنا لفظ (الشرك) لبيان أن من اتخذ مع الله إلـهًا أو شخصًا يأخذ عنه الحلال والحرام مخالفًا لشريعة الله فهو مشرك .

(الشرح) نعم من اتخذ من دون الله شخص أو جماعة يتخذه في التحليل والتحريم هذا أشرك مع الله {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ(٣١)}التوبة. ولذلك لما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية عند عدي بن حاتم رضي الله عنه لما أسلم **قال : يا رسول الله ما كنا نعبدهم ! أي الأحبار والرهبان ، فقال عليه الصلاة والسلام (أليسوا يحرمون الحلال فتحرمونه أليسوا يحلون الحرام فتحلونه) قال : نعم ، قال : (فتلك عبادتهم)** من اتخذ من دون الله جل وعلا شخصًا يوافقه في الحلال والحرام مخالفًا شريعة الله عز وجل هذا قد اتخذه إلـهًا من دون الله ولذلك قال تعالى {وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} عياذًا بالله عز وجل من ذلك.

{أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢)}

اختلف في سبب نزول هذه الآية على أقوال : وستلحظون في سبب النزول أنها مقارنة بين شخصين يعني هناك إنسان ميت المقصود موت الشرك والضلال وإنسان أحياه الله بالإيمان وبالإسلام فهنا سيأتي كذا فلان وفلان على أربعة أقوال:-

الأول/أنها نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وأبي جهل. **الثاني**/أنها نزلت في حمزة بن عبد المطلب وأبي جهل.

الثالث/أنها نزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل. **الرابع**/أنها نزلت في عمار بن ياسر وأبي جهل .

والراجح /هو العموم في كل كافر ومؤمن وعاص ومطيع

فتلحظون كما قلت هنا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، ومرة حمزة ، ومرة عمر ، ومرة عمار بن ياسر رضي الله عنهم هؤلاء هم الأحياء ، والأموات هم أموات الشرك والضلال هو أبو جهل .. وهذا كما قلت أنه كذكر سبب النزول وإلا فالآية عامة.

قوله تعالى {أَوَمَنْ} (أَوَ) الهمزة هنا للاستفهام ، دخلت على حرف العطف وهو (الواو) ، (مَنْ) اسم موصول بمعنى الذي وهي : مبتدأ.

**قراءات/ /{أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا} (ميْتًا) فيها قراءتان :-

القراءة الأولى/انفرد نافع بتشديد الياء {ميِّتًا} القراءة الثانية/والباقون قرؤوا بتخفيف الياء {ميْتًا}

➢ واختلف في هذا الموت على قولين :-

القول الأول/أن الموت حقيقي فإن الله عز وجل خلق الإنسان أول أمره ميتًا ، ثم بعث فيه الحياة في رحم أمه.

نعم مكث فترة من الزمن في رحم أمه ميت لا يتحرك حتى نفخت فيه الروح.

القول الثاني/أن المراد بالموت هنا موت الكفر والشرك والجهل والضلال ثم بعد ذلك يحيا بنور الإيمان.

كما قال الشاعر:-

ففز بعلم تعش حيًّا به أبدًا .. الناس موتى وأهل العلم أحياءُ

{فَأَحْيَيْنَاهُ} على القول الثاني أن المراد بـ(الحياة) هنا : أنه حيا بالقرآن ، وقيل : حيا بالهدى ، وقيل : حيا بالإيمان ، وهذه من اختلاف التنوع ، فالمقصود بـ(الحياة) هنا حياة الإيمان ، حياة القرآن ، حياة الهداية .

{وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ} (النور) هنا فُسر بأنه : القرآن ، وفسر بأنه : الإيمان ، وفسر بأنه : الهدى يعني ما قيل هنا هو الذي قيل فيما سبق

إعراب/ /{كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا } (الكاف) هنا للتشبيه ، (مَنْ) اسم موصول بمعنى الذي ، وهي خبر لـ(مَنْ) الأولى في أول الآية {أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا} (من) هناك مبتدأ و(من) هنا خبر .

➢ والتعبير هنا بـ(الظلمات) هو بيان ما يعيشه الكافر والفاسق أنه يعيش في الظلمات من ظلمات الجهل والكفر والشرك وظلمات الشقاء والتعاسة والحيرة والضلال.

{كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} يعني أن عملهم هذا زين لهم ، أحبوه وألفوه ، وهذا فيه إثبات مشيئة الله جل وعلا العامة ، وهم أيضاً لهم مشيئة يعلمون الحق وبُيّن لهم ولكنهم أصروا على الباطل ولذلك الله جل وعلا يقول {فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٨) }فاطر. بمعنى مادام أنه بُيِّن لهم الحق ووُضِّح لهم ودُلُّوا إليه ومع ذلك إلا يتمسكون بالباطل وبالشر ويتخبطون في الظلمات فلا تذهب نفسك عليهم حسرات {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٥٦)} القصص.

على كل حال في هذه الآية بيان ما يعيشه الكفار والمشركون من الشقاء والتعاسة وأنهم يعيشون في الظلمات ، بعكس أهل الدين وأهل الاستقامة والطاعة فإنهم يعيشون في لذة وسعادة من نعيم العبادة ولذة المناجاة كما قال شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم: "إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة" وكان بعض السلف يقول : "إنه لتمر بالعبد الساعات أقول إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب" .

الحلقة (٣)

موضوع الحلقة تفسير الآيات ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ من سورة الأنعام

{ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (١٣٦)}

قال ابن عباس رضي الله عنهما : "من أراد أن يعرف ما كانت عليه الجاهلية قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فليقرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام".

وصدق رضي الله عنه ، فهذه الآيات وما بعدها تصور كيف كان المشركون يفعلون قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فإنهم قد أحلوا حرامًا وحرموا حلالاً ووضعوا أشياء ما أنزل الله بها من سلطان ، وصنفوا الأمور كنوع من التحايل ونوع من التشديد والتضييق على أنفسهم ، وليس بعد الكفر ذنب هم كفار ومشركون ويعبدون الأصنام والأشجار والأحجار التي لا تنفع ولا تضر.

قوله تعالى {وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا } (وجعلوا) الضمير هنا : يرجع إلى كفار العرب عمومًا قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم. يعني ليس هذا خاصًا مثلاً بكفار قريش أو بغطفان أو بثقيف بل هو يرجع على عموم الكفار قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم. (ذرأ) أي : خلق وأنشأ وبث. (الحرث) هو الزرع بجميع أنواعه. (الأنعام) هي الإبل والبقر والغنم ضأنًا كانت أم معزًا. (نصيبًا) أي : قدرًا معينًا.

➢ **معنى الآية** /يعني جعلوا لله مما خلق من الزروع والأنعام بجميع أنواعها قدرًا معينًا فقط والبقية لمعبوداتهم من الأصنام والأشجار والأحجار.

قوله تعالى {فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ} (هذا لِلَّهِ) أي : للفقراء والمساكين وقرى يعني إكرام الضيف.

****قراءات/** /(بزعمهم) فيها قراءتان :

القراءة الأولى /قرأ الكسائي بضم الزاي {بزُعمهم} بعض الناس يقول الزاء وهذا خطأ ! بل في اللغة يقال الزاي ولا يقال الزاء.

القراءة الثانية /الباقون قرؤوها بالفتح {بزَعمهم} وهما لغتان عند العرب وإن كان الفتح هو الأكثر. العرب تنطق بضم الزاي وبفتحها ولكن الفتح أكثر.

➢ **معنى (الزَّعْم) في العموم** –وليس المقصود معناه في هذه الآية- يطلق على معان كثيرة منها :

يطلق على القول الباطل الذي لا دليل عليه ، ويطلق على الظن الخاطئ ، ويطلق أيضاً على الكذب والافتراء، تطلق أيضاً على الخطأ مثلاً نسمع "زعم فلان" وهو ما كذب وما افترى وإنما المقصود "أخطأ" وهذا يظهر لدينا في أحاديث وقد يمر في آثار السلف فهم لا يقصدون الكذب وإنما يقصدون الخطأ هذا. معناه واستعمالاته في اللغة.

➢ **معنى (الزَّعْم) في هذه الآية** /كلمة {بزعمهم} في هذه الآية معترضة في بيان أن صنيعهم هذا باطل وكذب وافتراء.

(الشرح) قال تعالى {وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا} المقصود : كلمة {بزعمهم } هنا معترضة في بيان أن ما ذكروه وما ادّعوه باطل وكذب وافتراء ، إذن هذه الكلمة كلمة معترضة ، وحينما نقول معترضة لا يعني أنه ليس لها فائدة مثل في كلامنا نقول أنه معترض ! بل الجمل الاعتراضية لها فوائد : قد تكون

احتراس ، قد تكون لبيان شيء ، عدم التصديق بهذا الأمر كما هنا في هذه الآية ، المقصود هنا : أن هذه الكلمة معترضة لبيان أن ما ادعوه كذب وباطل وافتراء. وكما قلت الاعتراض قد يرد عند العرب لأهداف مثل قول الشاعر :

سقى ديارك -غيرَ مُفسِدِها- ***صَوْبُ الربيع ودِيمةٌ تَهْمِي

هو يدعو لمنازل محبوبته بالغيث والأمطار، فخشي أن الغيث يكون كثير فتغرق القبيلة والخيام والمرأة المحبوبة تغرق معهم ، هو خشي فاحترس بجملة اعتراضية فقال : " سقى ديارك -غيرَ مُفسِدِها- " يعني ما يريد أن السقي أيضاً يكون فيه غرق مثل فيضانات وكوارث ، فالجملة الاعتراضية لها فوائد كما في الآية قد تكون كلمة أو جملة ، في الآية {بزعمهم} لبيان أن ما ادعوه باطل وكذب وافتراء وهنا في هذا البيت الشعري احترس بهذه الجملة خشية غرق المحبوبة مع أهلها.

قوله تعالى {وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا} أي : للأصنام وسدنة الأصنام. لأن الصنم حينما يعطى إبل أو بقر هو لا يعرف شيء ، فالمقصود السدنة الذين يتأكلون[1] ويستفيدون من هذه الأشياء.

قوله تعالى { فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ} **قال ابن عباس رضي الله عنهما** : "كان أحدهم يزرع الأرض فيجعلها نصفين : أحدهما لله والآخر للأصنام ، فإذا نمى وكثر الذي لله وفسد الذي للأصنام جعلوا الذي لله للأصنام وقالوا : الله غني عن هذا ، وكان أحدهم يجعل غنمه قسمين : أحدهما لله والآخر للأصنام ، فإذا ماتت التي للأصنام حولوا ما كان لله لأصنامهم وزعموا أن الله غني عنه".

(الشرح) هذا يدل على قلة العقل ونقصان الفهم يعني يجعل أحدهم المزرعة قسمين هذا لله وهذا للأصنام ، فإذا نمى الذي لله ومات الذي للأصنام قالوا : الله غني إذن نحول هذا الزرع فنجعل المحاصيل تذهب للأصنام ، إنسان عنده غنم جعل نصفه لله ونصف للأصنام فلنفرض الذي لله نمى وكثر والذي للأصنام مات أو ما أنتجت إنتاج طيب قالوا : الله غني عنه هاتوا الذي لله ونجعله للأصنام ، هذا يدل على التحايل وعلى نقص العقول نسأل الله العافية.

قوله تعالى { سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} يقول اللغويون أن (ساء) فعل ذمٍ من باب نعم وبئس ، والمخصوص بالذم هو (ما) الموصولة بمعنى الذي. والتقدير ساء الذي يحكمونه.أنتم تعرفون أنه إذا جاء فعل المدح أو الذم لابد فيه مخصوص بالمدح أو مخصوص بالذم ، أين المخصوص بالذم هنا ؟ قالوا : هو (ما) الموصولة التي بمعنى الذي .

ما يستفاد من هذه الآية /

١. نحن بعد هذه الآية نحمد الله عز وجل أنه امتن علينا بهذا الدين الذي أنقذنا من أوحال الشرك والجاهلية وما عندهم من التلاعب والتحايل

٢. أن الله جل وعلا هو الذي خلق الخلق وهذا ما جاء بيانه { وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ } أي : خلق ومع ذلك المشركون عبدوا من دون الله وتحايلوا على خلق الله !

٣. المشركون جمعوا بين أمرين : الشرك بالله عز وجل ، والتلاعب والتحايل. هم مشركون وأيضا يتلاعبون ويتحايلون وصدق أهل العلم حينما قالوا : "ليس بعد الكفر ذنب".

{وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١٣٧)}

[1] /هكذا نطقها الأستاذ

قوله تعالى { وَكَذَلِكَ زَيَّنَ } أي :كما زينَّا للمشركين ما كانوا يصنعونه في قسمة الحرث والأنعام زينَّا لهم أيضاً قتل أولادهم. أي كما زُيِّنَ لهم ذلك الصنيع -وهو قسمة الحرث والأنعام والتحايل- زُيِّنَ لهم أيضاً قتل أولادهم شركاؤهم.

قوله تعالى {لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } التعبير هنا بكلمة (كثير) لبيان أن هذا الأمر منتشر في العرب وليس عام ، الله جل وعلا لم يقل زين لهم كلهم وإنما (لكثير) مع أنه موجود ومنتشر لكنه ليس عامًا في العرب كلهم[1].

➢ قوله تعالى { قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ} فيه معنيان :

المعنى الأول /أن أحدهم إذا كثر عنده الولد الذكور ذبح أحدهم شكرًا لله كما صنع عبد المطلب مع ابنه عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم.

هذا فعل جاهلي ، الرجل إذا كثُر الذكور عنده ذبح أحدهم لله عز وجل ، وهذا مذكور في السير أن عبد المطلب أراد أن يذبح واحد من أبنائه وخرجت القرعة دائمًا على عبد الله وافتدى بعد ذلك بمائة ناقة من الإبل.

المعنى الثاني /هو ما كان عندهم من وأد البنات. وهذا منتشر في بعض القبائل العرب ، ليس عندهم كلهم ولو كان كذلك لهلك البنات !

**قراءات { وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ} هذه الآية فيها قراءتان :

القراءة الأولى /قرأ الجمهور عدا ابن عامر {زَيّن} بفتح الزاي ، {قتلَ} بفتح اللام ، {أولادِهم} بكسر الدال ، {شركاؤُهم} بضم الهمزة[2].

توجيه قراءة الجمهور /(زيّن) فعل ماضي مبني للمعلوم (شركاؤهم) فاعل مؤخر (قتل) مفعول به مقدم وهو مضاف ، (أولادهم) مضاف إليه. والمعنى : أن الشركاء زينوا لكثير من المشركين قتل أولادهم .

القراءة الثانية /ابن عامر قرأها {زُيِّن} بضم الزاي ، {قتلُ} بضم اللام ، {أولادَهم} بفتح الدال ، {شركائِهم} بكسر الهمزة. { وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادَهَمْ شُرَكَائِهُمْ}

توجيه قراءة ابن عامر /(زُيِّن) فعل ماض مبني للمجهول (قتلُ) نائب فاعل مرفوع (أولادَهم) مفعول به للمصدر (شركائِهم) مضاف إليه.

كان لبعض المفسرين -عفا الله عنهم- موقف غير صحيح تجاه قراءة ابن عامر فإنهم ردوا قراءته وقالوا : إن قراءة ابن عامر هذه فُصل فيها بين المضاف والمضاف إليه بغير معمول للمضاف ، وممن رد هذه القراءة : الزمخشري ، والنحاس ، وابن عصفور ذهبوا إلى الطعن في قراءة ابن عامر وتضعيفها والحكم عليها بأنها خطأ ولحن ! قالوا : لأنه فُصل فيها بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول به !!

والحقيقة أن هذا لا يجوز ، فلا يجوز الطعن في القراءات ، فابن عامر قرأها بالسند إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، والقراءة مادام أنها ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز ردها ولا طعنها. والمفسرون وقفوا وقفة قوية تجاه من ردوا هذه القراءة ومن أشهرهم : أبو حيان رحمه الله في تفسيره (البحر المحيط) فإنه ردَّ ردًّا قويًّا على الزمخشري ومن معه ممن ردّوا قراءة ابن عامر ، **ردَّوا عليهم بأوجه منها :**

---

[1] /أخّر الأستاذ ذكر هذه النقطة لكني آثرت وضعها هنا للترتيب.

[2] /قال الأستاذ : كسر الدال وضم الهمزة في {شركاؤهم} ولعله سبق لسان.

١. أنه لا يجوز الطعن في قراءة ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. مادامت القراءة ثابتة وسبعية عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا يجوز الطعن فيها من أجل مخالفتها للقواعد النحوية ، فالقواعد النحوية المفروض تعتمد على كلام الله قبل أن تعتمد على الأعراب وغيرهم.

٢. أن الطعن في ابن عامر معناه طعن في القرآن الكريم لأنه أَخَذ القراءة عن ثلاثين صحابيًا أشهرهم : عثمان بن عفان وأبو الدرداء رضي الله عنهما ، فكيف يطعن في قراءته !!

٣.أن ابن عامر عاش في الفترة التي يَـحتجُّ اللغويون بكلام أصحابها.

اللغويون جعلوا الاحتجاج إلى سنة ١٧٦ هـ. -وهي السنة التي توفي فيها الشاعر إبراهيم بن هرمه- وابن عامر عاش قبل هذه الفترة فلماذا لا يحتج بكلامه أيضاً ؟!

٤. قواعد النحويين التي بُنيَت على كلام العرب لا يعارض بها كلام الله عز وجل

٥. هناك شواهد شعرية ذكرها أبو حيان كثيرة جدا تدل على الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول به أو بغيره فلماذا لا يجوز هنا في هذه الآية !!

قوله تعالى {لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ}

{لِيُرْدُوهُمْ } مشتق من الردى (والإرداء) هو : الإهلاك. { وَلِيَلْبِسُوا } أي : يُشبِّهوا ويخلطوا على الناس.

{عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ } في المراد بـ(الدين) هنا قولان :

القول الأول /أن المراد بالدين هو ملة إبراهيم عليه السلام ، دين إبراهيم عليه السلام الحنفية السمحة فقد كان العرب على هذا -ولله الحمد- حتى جاء عمرو بن لحي وغيره فاختلطت عليهم الأمور وعبدوا الأصنام وجيء بها من الشام وأحدثوا هذه الأمور التي فيها تحايل وتلاعب على الله عز وجل.

القول الثاني /أن المراد بالدين دين الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فإنهم رفضوا قبوله والدخول فيه بل وضيَّقوا على الناس في ذلك.

قوله تعالى {فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ } (ما) هنا :إما أن تكون موصولة بمعنى الذي والتقدير : فذرهم والذي يفترونه ، أو تكون مصدرية فيكون التقدير : فذرهم وافتراءهم. (يفترون) أي : يختلقون ويكذبون .

{ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٣٨)}

اشتملت هذه الآية الكريمة على ثلاثة أنواع من أعمالهم:-

النوع الأول { وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ} : (حِجْر) على وزن فِعْل بمعنى مفعول أي : محجورة ، مثل : طِحْن بمعنى مطحون ، وذِبْح بمعنى مذبوح ، والمراد : المنع والتحريم ، يقال حَجَر القاضي على الصغير أي : منعه من التصرف ، ويقال للعقل حجر لأنه يمنع صاحبه من فعل ما لا ينبغي. وكلمة (حجر) يستوي فيها المذكر والمؤنث والمفرد والجمع. **وفي المراد بهذا النوع قولان :**

- **القول الأول** /أنه ما كانت العرب تفعله في الجاهلية من قسمة الحرث والأنعام فيحلونه للرجال ويحرمونه على النساء كما سيأتي بيانه في الآية القادمة .

- **القول الثاني** /أنه هو الذي حرموه على أنفسهم من البحيرة والوصيلة والسائبة والحام. وهذا القول هو الذي يناسب النوع الثاني كما سيأتي إن شاء الله

النوع الثاني { وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا} : وهذا يشمل البحيرة والسائبة والوصيلة والحام والمقصود بـ(البحيرة) مشتقة من البَحر وهو الشق وهي التي تُشقّ أذنها والمراد : ما أنتجت عشرة أبطن ذكور فكانوا لا يركبون ظهورها ولا يأكلون لحمها ولا يشربون من لبنها. (السائبة) هي ما كانت نذرًا لشفاء مريض أو فرحًا لقدوم مسافر فإنها تُسيَّب فلا تُركب ولا يُؤكل لحمها. (الوصيلة) هي التي تصل أنثى بأنثى أو ذكر بذكر فلا يُركب ظهرها ولا يُشرب لبنها ولا يُؤكل لحمها. (الحام) هو الفحل من الإبل الذي ينتج من صلبه خمسة أبطن إناث لا يركب ظهره ولا يؤكل لحمه. هذه كلها من أفعال الجاهلية.

النوع الثالث { وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ } : أي أنهم لا يذكرون اسم الله بل يذكرون عليها أسماء معبودات من الأصنام والأحجار.

ثم قال تعالى {سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ } (ما) هنا قد تكون موصولة والتقدير : سيجزيهم بالذي كانوا يفترون ، أو تكون مصدرية والتقدير : سيجزيهم بافترائهم. ومعنى (يفترون) أي : يختلقون ويكذبون. هذه على كل حال صورة من صور أفعالهم القبيحة وتلاعبهم وتحايلهم ، وليس بعد الكفر ذنب !

الحلقة (٤)

موضوع الحلقة تفسير الآيات ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ من سورة الأنعام

{وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٣٩)}

مناسبة الآية لما قبلها /قال المفسرون : جاءت كالتفصيل لما سبق من النوع الأول في الآية السابقة وهو قوله تعالى {وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ (١٣٨)} الأنعام. فإن ولد ما في بطون الأنعام سليما معافى أكله الذكور (الرجال) وحرموه على الإناث (النساء) وإن وجد ميتًا اشترك فيه الذكور والإناث ، وهذا من تحايل أهل الجاهلية.

****قراءات/ /{وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً} هذه الجملة فيها قراءات:

****القراءة الأولى:** قرأ ابن كثير (وإن يكن ميتةٌ) بالياء (يكن) ورفع (ميتةٌ).

****القراءة الثانية:** قرأ ابن عامر (وإن تكن ميتةٌ) بالتاء (تكن) ورفع (ميتةٌ).

توجيه القراءتان (١) ، (٢) /ابن كثير، وابن عامر، جعلوها (كان) التامة بمعنى : وقع وحدث فأخذت فاعلا (ميتةٌ)

****القراءة الثالثة:** قرأ أبو بكر عن عاصم (وإن تكن ميتةً) بالتاء (تكن) ونصب (ميتةً).

****القراءة الرابعة:** قرأ الباقون (وإن يكن ميتةً) بالياء (يكن) ونصب (ميتةً)

توجيه القراءتان (٣) ، (٤) /أن (كان) ناقصة، (ميتة) هي الخبر منصوب، واسمها محذوف، والتقدير: وإن كان المولود أو الموجود ميتة. إذن هذه أربع قراءات سبعية ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قوله تعالى {فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ} الضمير هنا في قوله (فيه) يعود إلى هذا المولود أو الموجود الذي كان في بطن البهيمة. إذن المقصود (فهم فيه شركاء) يعني في هذا الذي خرج ميتًا، لكن لو كان صحيحًا فهذا مختص بالذكور، أما إذا خرج ميتًا يشترك فيه الذكور والإناث. {سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ} قوله تعالى (وصفَهم) منصوب بنزع الخافض، والتقدير : (سيجزيهم بوصفِهم) أو (على وصفِهم)، لما نُزع الخافض انتصبت هذه الكلمة. {إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} (الحكيم) هو الذي يضع الأمور في

مواضعها الصحيحة، ولا أحكم من الله سبحانه وتعالى.

{قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٤٠)}

مناسبة الآية لما قبلها /أنها جاءت كالتفصيل لما قبلها في قوله {وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٣٧)} الأنعام. هذا على القول الثاني: أنهم زينوا لأنفسهم قتل أولادهم سفهًا بغير علم.

{قَدْ خَسِرَ}[1] (قد) حرف يفيد التحقيق، ودلالته على القلة والكثرة ليست منه ولكن من سياق الكلام، ومثله: كلمة (رُبَّ) قد تفيد التقليل وقد تفيد التكثير، لكن ليست هي التي تفيد بذاتها، سياق الكلام هو الذي يدل على هذا الأمر. وقد أشار إلى هذا أبو حيان في (البحر المحيط) ورجحه هو وجماعة من العلماء سواء من المفسرين أو النحويين

**قراءات/ /قوله تعالى {قَتَلُوا} فيها قراءتان :

القراءة الأولى /قرأ ابن عامر وابن كثير بتشديد التاء (قتَّلوا)

القراءة الثانية /قرأ الباقون بتخفيف التاء (قتَلوا)

قوله تعالى { أَوْلَادَهُمْ} المراد بـ(الأولاد) هنا : الإناث دون الذكور. **قال ابن عباس:** "في أحياء من ربيعة ومضر" **وذكر بعض المفسرين** : "أن هذا في الذكور أيضاً ولكنه قليل جدًا ؛ خوف الفقر". فبعض المفسرين يرى أنه يشمل الذكور والإناث ، كان بعضهم يقتل ولده ذكرًا كان أم أنثى خوف الفقر، واستدلوا على ذلك بما **رواه البخاري في صحيحه، عن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال: (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: "أن تجعل لله ندا وهو خلقك"، قلت: ثم أي؟ قال: "أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك"، قلت: ثم أي؟ قال: أن تزاني حليلة جارك).** ففي هذا الحديث ذكر من الذنوب أنهم كانوا يقتلون أولادهم خشية أن يطعموا معهم.

قوله تعالى {سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ} (سفهًا) بمعنى طيشًا وجهلاً، وهو مفعول لأجله منصوب بالفتحة، يعني من أجل السفه والطيش فعلوا ذلك.

{وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (١٤١)}

هذه الآية تشتمل على مسائل وأحكام كثيرة

قوله تعالى {وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ} كلمة (معروشات) اختلف في اشتقاقها على قولين :

١) قد تكون مشتقة من فعل ثلاثي وهو عَرَشَ ، يَعرُشُ بضم الراء ، أو يعرِشَ بالكسر[2]

٢) أو من الفعل الرباعي المضعف المشدد، فتقول : عَرَّشَ ، يُعَرِّشُ ، تَعريشًا.

➢ والأقرب أنه: من الثلاثي ، ومعناه في اللغة (عَرش) أي : المرفوع والمسموك. من السمك، يعني الشيء المرتفع العالي.

أما قوله { جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ} في هذه الآية فقد اختلف فيها على ثلاثة أقوال:

القول الأول /أن **المعروشات** هي العنب المرفوع على العيدان والخشب، **وغير المعروشات** أنها العنب الممتد على الأرض وهو قليل. **(الشرح)** يعني المقصود العنب المرفوع، والعادة أن العنب يرفع على خشب وعلى عيدان أو على حديد، ويمتد

---

[1] /أخَّر الأستاذ شرح هذه الجزئية من الآية لكن وضعتها هنا من أجل الترتيب.

[2] /هذا ما قاله المحاضر "بالفتح" لكنه نطقها بالكسر . (ولعل الصواب أنها بالضم أو بالكسر ، كما في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي).

من فوق. وغير معروشات يعني أنه العنب الملتصق بالأرض، ولكن هذا قليل، الكثير هو الذي يكون على الخشب والأعمدة.

القول الثاني /أن **المعروشات** ما سعى الآدمي في إنباته وإنمائه، **وغير المعروشات** هو ما لم يكن للآدمي سبب في إنباته وإنمائه، مثل: ما يكون في الأودية والصحاري من الأشجار والثمار.

القول الثالث /أن **المعروشات** هو النبات الذي له ساق يقوم عليه، مثل الأشجار والنخل، **وغير المعروشات** هو ما كان ممتدًا على الأرض. **(الشرح)** إذن المعروشات ما كان قائم على ساق، مثل: النخيل وأنواع الأشجار، مثل الزيتون والبرتقال وغير ذلك. وغير معروشات قالوا: هو الممتد على الأرض، كالبطيخ والخيار.

والمراد بـ(جَنَّاتٍ) مفرد جنة، بمعنى : الستر والخفاء، وسميت بذلك؛ لكثرة أشجارها والتفاف بعضها على بعض تستر من بداخلها.

٨٨إعراب /{وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ}(مختلفاً) حال منصوب بالفتحة

**قراءات/ /(أكله) فيها قراءتان:

القراءة الأولى /قرأ نافع ، وابن كثير بإسكان الكاف (أكْله).

القراءة الثانية /والباقون: قرؤوا بضم الكاف (أكُله). وهما قراءتان سبعيتان.

قوله تعالى {كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ} جاء الأمر هنا بالأكل، وجاء الأمر فيما سبق -في الآية رقم (٩٩) من السورة- بالنظر إلى ثمره {انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ (٩٩)} ، هناك أَمَرَ بالنظر إلى الثمر، وهنا أمر بالأكل، بعض المفسرين يعتني بذكر الفروق "ما السبب؟ ما الحكم؟" يتلمسون وإلا العلم بيد الله عز وجل لكن هو من باب البيان.

**مسألة /لماذا ذكر هناك النظر إلى ثمره إذا أثمر، وهنا جاء الأمر بالأكل؟

قالوا: لأن الآية الأولى - آية رقم ٩٩- سيقت لإثبات التوحيد وتقرير الألوهية وذلك من خلال النظر والاعتبار في هذه المخلوقات العجيبة، ويشهد بذلك ختام الآية {إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ(٩٩)} . أما هذه الآية (١٤١) فإنها جاءت في تعداد بعض نعم الله والإذن في الانتفاع بها مع عدم نسيان الصدقة والزكاة منها فجاء الأمر بذلك.

قوله تعالى {كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ} الأصل في الأمر الوجوب ولكن المراد به هنا : الإباحة، ظاهر الأمر يدل على الوجوب لكن نحن لا نُلزم إنسان أن يأكل من هذا وهذا، إن أراد أن يأكل من مزرعته أو مزرعة غيره مما أهدي له أو أعطى أو اشترى هذا براحته، نحن لا نلزم لكن نقول هو ظاهر الأمر الوجوب لكنه المراد به هنا: الإباحة، مثل قوله تعالى {وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا (٢)}المائدة.

**هنا بعض المسائل المرتبطة بهذه الجملة {كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ}

١. ذكر بعض الأصوليين والمفسرين أنه لا يلزم حين عطف بعض الأوامر أو الأحكام بعضها على بعض أنها تشترك في حكم واحد. هنا الأكل مباح، ولكن إتيان حقه يوم حصاده هذا قد يكون واجب إن أريد به (الزكاة) وقد يكون مستحب إن أريد به (الصدقة). هل العطف يقتضي أن كلها تسير في حكم واحد؟ **لا**. هذا لا يشترط، قد تختلف. ويستدلون بهذه الآية {كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ}. فالأكل مباح والإيتاء واجب إن كان زكاة ، ومستحب إن كان صدقة، وقد عطف بينها. أيضاً استدلوا بما في صحيح مسلم (حين ذكر النبي صلى الله عليه وسلم

خصال الفطرة، جاء في حديث أنها عشر، وجاء في حديث أنها خمس). ومن خصالها ما هو مستحب : كنتف الإبط وتقليم الأظافر، ومنها ما هو فرض من فروض الوضوء : كالمضمضة والاستنشاق، ومنها ما هو واجب : كإعفاء اللحى وأن حلقها حرام، وقد عطف عليها مع بعضها[1].

٢. **ما الحكمة من تقديم الأكل على الصدقة؟** ذكروا هنا علتين :

- أن رعاية النفس مقدمة على رعاية الغير كما قال عليه الصلاة والسلام (**إبدأ بنفسك ثم بمن تعول**) فقد جاء الأمر هنا بأن ينفق الإنسان على نفسه، أن يأكل ما تقوم به حياته ثم ينطلق إلى الآخرين فيتصدق أو يعطيهم الزكاة.
- أن بعض الناس قد يظن أن أكله من هذا الثمر لا يباح له إلا بعد أن يتصدق، فجاءت هذه الآية مبينة جواز ذلك قبله وبعده. بعض الناس يقول: لن آكل من مزرعتي قبل أن أتصدق، فبعض الناس قد يتوهم مثل هذا الشيء، فالآية جاءت مبينة أنك لك أن تأكل سواء قبل الزكاة أو بعدها، قبل الصدقة أو بعدها لا حرج عليك.

٣. استدل بعضهم بهذه الآية على أن الأصل في المنافع الإباحة. قال تعالى {كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ}، وقال تعالى {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا (٢٩)} البقرة.

**قراءات/ /قوله تعالى {وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ} كلمة (حَصَادِهِ) فيها قراءتان:

الأولى /قرأ أبو عمرو، وابن عامر ، وعاصم بفتح الحاء. **الثانية** /وقرأ الباقون: بكسر الحاء (حِصاده). والأقرب أنهما لغتان جاءتا عن العرب.

➢ **اختلف في المراد بـ(الحق) هنا على قولين:**

القول الأول: أن المراد به **صدقة التطوع**؛ لأن الآية مكية، والزكاة لم تفرض إلا في السنة الثانية من الهجرة، ثم نسخ هذا بوجوب الزكاة حسب التفصيل في الكتاب والسنة، ولكن بقيت الآية وغيرها مما يدل على الحث على الصدقة، **وهذا مذهب ابن جرير الطبري.**

القول الثاني: أن المراد بها هنا **الزكاة الواجبة**، وإن كانت الآية مكية فلا يمنع أن يؤمر بالزكاة، ثم جاء بيانها وتخصيصها وتفاصيل أمور الزكاة بعد ذلك، **وهذا قول ابن العربي، وابن كثير، وهو الراجح والأقرب** إن شاء الله تعالى؛ يعني الآية تدل على الزكاة، وإن كان هذا في العهد المكي لا يوجد بيان وتفصيل للزكاة لكن أمر بالزكاة ثم جاء تفصيلها وبيانها بعد ذلك، وهو مذهب جماعة من المفسرين.

قوله تعالى {وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} (الإسراف) في اللغة : مجاوزة الحد وخلاف القصد.

وقد اختلف في المراد به على أربعة أقوال:

القول الأول /أن ينفق الإنسان ماله كله ولا يبقي لنفسه ولا لمن يعوله شيئا. واستدلوا بقصة ثابت ابن القيس عندما جذ نخله وتصدق به كله، فنزلت فيه هذه الآية.

القول الثاني /أن الإسراف **ما يبذل في المعصية** وإن كان قليلا، أما الطاعة فلا يضر ولو كان كثيرا.

قال مجاهد رحمه الله : "لو كان لأحد مثل جبل أبي قبيس ذهبا فأنفقه في طاعة الله لم يكن مسرفًا ، ولو كان لأحدهم درهم واحد فأنفقه في معصية الله كان مسرفًا".

[1] /فائدة : هذه المسألة تسمى عند الأصوليين دلالة الاقتران وهي حجة عند الحنفية أما الجمهور فليس بحجة عندهم.

القول الثالث /أن المراد بالإسراف **ما ينفق على الأصنام والمعبودات** التي تعبد من دون الله عز وجل، وذكروا هذا لأن الآيات مرتبطة بالحديث عن الأصنام.

القول الرابع /أن المراد بالإسراف **إمساك الحق الواجب** فلا ينفقه على مستحقيه. قال تعالى {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا (٢٩)} وقال تعالى {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٦٧)} الفرقان.

وختامًا: فإن **هذه الآية تدل على إثبات المحبة لله عز وجل على الوجه اللائق به سبحانه**، فإنه قد نفاه هنا عن المسرفين المعتدين المتجاوزين، ولكنه أثبته في مواضع أخرى لأوليائه وأهل طاعته. ففي هذا إثبات المحبة وأن الله جل وعلا يحب التوابين ويحب المتطهرين، يحب أولياءه وأهل طاعته محبة تليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، عل وجه لا يشابهه فيها خلقه.

الحلقة (٥)

موضوع الحلقة تفسير الآيات ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ من سورة الأنعام

{وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٤٢)}

➢ في قوله تعالى {حَمُولَةً وَفَرْشًا} ذكر المفسرون أقوالاً كثيرة نقتصر على قولين :-

القول الأول /أن (الحمولة) ما يُحمل على ظهره غالبًا كالإبل ، وقليلاً كالبقر -والبقر كان يحمل عليها في بعض الأحيان خاصة عند الزراعة والحرث وسقي الماء- وأما (الفرش) هي القريبة اللاطئة بالأرض والمقصود بها : الأغنام فهي قريبة من الأرض ، يعني قوائمها قصيرة.

القول الثاني /أن (الحمولة) هي كبار الأنعام في السن من الإبل والبقر والغنم ، وأما (الفرش) فهي صغارها ولذلك يدخل فيها (الفُصْلان) جمع فصيل وهو ولد الناقة ، و (العجاجيل) جمع عجل وهو ولد البقرة ، وكذلك صغار الغنم.

- إذن القول الثاني نظر إلى السن فما كان كبيرًا فهو (الحمولة) من الإبل والبقر والغنم ، وما كان صغيرًا فهو (الفرش) سواء من الإبل أو البقر والغنم ، فالقول الأول نظر إلى الحجم ، والقول الثاني نظر إلى السن.[1]

{حَمُولَةً وَفَرْشًا} مفعول به لفعل محذوف تقديره : أنشأ. (ومن الأنعام أنشأ حمولةً وفرشًا) والفاعل هو الله سبحانه وتعالى.

{كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ} دلت هذه الجملة على إباحة الأكل عمومًا مما كان على وجه الأرض يراه الناس ، أو ما غاب عن أعينهم في بحر أو جو. **(الشرح)** فهذه الآية تدل على العموم {كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ} أيُّ رزق من الله جل وعلا إلا ما جاء استثنائه ، حرَّم كل ذي ناب من السباع أو كل ذي مخلب من الطير ، أو الميتة فهذا أمر آخر لكن الأصل {كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ} سواء مما يُرى بالعين ، أو مما غاب عنه في جو من طيور أو في بحر من الأسماك بجميع أنواعها.

{وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ} (خطوات الشيطان) أي : مسالكه وطرقه ، والتعميم بخطوات الشيطان دليل على أن الشيطان له مسالك وطرق وأنه قد يأتي الإنسان عن طريق المعصية -كما قال بعض السلف- فإن عجز أتاه من باب الطاعة فجعله يرائي بالعمل أو يوسوس له في الصلاة (هل كبرت ما كبرت ! هل توضأت ما توضأت) يدخل معه في دوامة ، في حلقة مفرغة لانهاية لها فالشيطان له مسالك وطرق كثيرة حتى يوقع الإنسان فيما أراد ، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله

---

[1] /كرر الشيخ الشرح في هذا المقطع.

أن للشيطان مع الإنسان مراتب أعلاها : الشرك والكفر ، ثم البدع بأنواعها ، ثم الكبائر ، ثم الصغائر ، ثم الاشتغال بالمباحات ، ثم الاشتغال بالمفضول عن الفاضل فإذا عجز الشيطان عنه سلَّط عليه حزبه من الجن والإنس بأنواع الأذى (ليُشوِّش) ذهنه ويضعفه عن الخير.

➢ قوله تعالى {وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ} كلمة (الشيطان) اختلف في اشتقاقها على قولين:-

القول الأول /أنه مشتق من الفعل شَطَنَ بمعنى : بَعُدَ ؛ وذلك لأن الشيطان مبعد مطرود من رحمة الله تعالى .

القول الثاني /أنه مشتق من الفعل شَاطَ بمعنى : احترق ؛ وذلك بالنظر إلى أمرين :

- بالنظر إلى خلقته فإنه مخلوق من نار قال تعالى {قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (١٢)} الأعراف. **وروى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (خُلقت الملائكة من نور وخُلق الشيطان من نار وخُلق آدم مما وصف لكم)**
- أو بالنظر إلى مآله ومآل من يتبعه والأدلة على هذا كثيرة منها قوله تعالى {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦)} فاطر. أي : من أصحاب نار جهنم عياذاً بالله

{ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٤٣)} .

٨٨ **إعراب/**/قوله تعالى { ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ} اختلف في نصب (ثمانيةَ) على وجهين :-

الوجه الأول: أنها مفعول به لفعل محذوف والتقدير : كلوا لحمَ ثمانيةِ أزواج ، فحذف الفعل وحذف المفعول به وانتقل النصب إلى المضاف إليه. إذن (لحم) هو المفعول به ، (ثمانية) مضاف إليه ، فلما حذف المضاف (لحم) انتقل النصب إلى المضاف إليه.

الوجه الثاني : أنها بدل من (حمولة وفرشا) منصوب بالفتحة ، والبدل من التوابع يأخذ حكم ما قبله.

(أزواج) جمع زوج ضد الفرد والمراد : ما يطلق على الشيء إذا اقترن به غيره. كما قال تعالى {وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٤٥)} النجم. وكقول العرب للكأس : "كأس" إذا كان فيها خمر ، وإذا لم يكن فيها خمر لا تسمى كأسًا! إذن الزوج : ما اقترن به غيره. يعني ذكر وأنثى ، ليل ونهار ، حلو وحامض. ونحو ذلك.

قوله تعالى {مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ} (الضأن) في اللغة : أصله من القرب واليسر والسهولة ، هذا جمع ، مفرده : ضائن وضائنة. **(الشرح)** الضأن والنعاج والخرفان فيها من اليسر والليونة والسهولة شيء معروف ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم رعى الغنم ولم يرعَ الإبل ؛ لأن الغنم فيها اليسر والسهولة واللين وهو عليه الصلاة والسلام مهيَّأ ليقود الأمة بعد ذلك بهذا الدين العظيم بخلاف الإبل فإن فيها الغلظة والجفوة ولذلك قال عليه الصلاة والسلام (**الغلظة والجفوة في أهل الإبل ، واللين والرِّقة في أهل الغنم**)

قوله تعالى {وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ} يقال مَعَزَ الكلام وأَمْعَزْ بمعنى : علا وارتفع. ويطلق أيضاً على الخفة والنشاط. (المعز) جمع ماعز وماعِزَة –ذكر وأنثى- (المعز) في اللغة بمعنى : العلو والارتفاع ، ويطلق أيضاً على النشاط والخفة. وهذا شيء معروف فالماعز فيها نشاط وخفة وتحب الارتفاع والصعود على الأحجار والأشياء المرتفعة.

** قراءات/ كلمة { الْمَعْزِ } فيها قراءتان :

القراءة الأولى/ قرأ نافع ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي بفتح الميم وسكون العين (المَعْز) .

القراءة الثانية/ قرأ الباقون بفتحتين (المَعَز) بفتح الميم وفتح العين .

قوله تعالى {قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ} حكم التجويد هنا هو : مد كلمي مثقل يُمَدّ ست حركات

٨٨إعراب/ /(ءَالذَّكَرَيْنِ) الهمزة للاستفهام الذي يفيد الإنكار والتوبيخ ، (الذكرين) مفعول به منصوب وعلامة نصبه الياء لأنه مثنى ، وفعله (حَرَّمَ).

{أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ} أي : ما ضمَّته أجنة أرحام أنثى المعز وأنثى الضأن **(الشرح)** يعني الله جل وعلا حرم الذكرين أم الأنثيين الذي في رحم المعز ورحم الضأن ؟ أنتم الذين فرقتم قلتم هذا حرام وهذا حلال ! وإلا فهذا كله حلال ، الذكر حلال والأنثى حلال للذكور من الرجال وللإناث من النساء ، هذا كله حلال إذا ذُكِّي الذكاة الشرعية. {نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ} أي : أقيموا الحجة والدليل الواضح على صدق كلامكم ودعواكم. {إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (إن) أداة شرط ، (كنتم) فعل الشرط ، وجواب الشرط محذوف والتقدير : إن كنتم صادقين فهاتوه ، لكنهم ليس لهم لا دليل ولا حجة ولا برهان ، وهذا كثير في القرآن أنّ جواب الشرط يُحذف .

{وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٤٤)}

قوله تعالى {أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا} أي : أم كنتم شهودًا على الله حين حكم وفصَّل ما أنتم عليه، **(الشرح)** يعني هل أنتم حينما قسَّمتم هذه المطعومات هذا حلال وهذا حرام ، وهذا يجوز للذكور ولا يجوز للإناث ، هل أنتم كنتم شهودًا على الله حين فصَّل وحين بيَّن وحين حرَّم ! لا والله لكن هذا هو الجهل.قوله تعالى {إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا} (إذ) ظرف زمان في محل نصب على القول الراجح.

قوله تعالى {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا} هذه الجملة في جميع مواضعها في القرآن تدل على النفي العام والتقدير : لا أحد أظلم. (الظلم) في الاصطلاح : وضع الشيء في غير موضعه. **(الشرح)** وأعظم الظلم هو الشرك بالله عز وجل كما قال تعالى { إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣)} لقمان. كيف تعبد من لا يستحق أن يعبد من دون الله ! كيف تعبد الأصنام ! كيف يعبد أصحاب الأضرحة ! كيف تصرف أنواع العبادة لهم فيستغاث بهم من دون الله ! أو يدعون من دون الله ! أو يذبح لهم من دون الله ! هذا كله شرك وكفر وهو أعظم الظلم ، أما المراد به في هذه الآية فهو : إيقاع الحلال مكان الحرام وإيقاع الحرام مكان الحلال. وهذا نوع من عبادة مَنْ يُشرِّعون هذه الأحكام ، **ولذلك في حديث النبي صلى الله عليه وسلم مع عدي عندما قرأ عليه هذه الآية {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ (٣١)} التوبة. قال : يا رسول الله ما كنا نعبدهم ، فقال عليه الصلاة والسلام** (أليسوا يحرمون الحلال فتحرمونه أليسوا يحلون الحرام فتحرمونه ؟ قال : نعم ، قال : فتلك عبادتهم)

سبب نزول هذه الجملة {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا} من الآية :

ذكر المفسرون -عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما- أن هذه الآية نزلت في "عمرو بن لحي" الذي بحَّر البحائر وسيَّب السوائب وغيَّر دين إبراهيم عليه السلام ، وقصته معروفة أنه كان ممن يسافر ويتنقل ، فانتقل إلى الشام ورآهم

يعبدون الأصنام فهو أول من جاء بالأصنام إلى جزيرة العرب شيئًا فشيئًا حتى انتشرت فيهم وحرَّم عليهم أشياء وحلَّل لهم أشياء وتوسعوا في هذا الباب حتى وقع ما هو موجود قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ،

لكن الراجح أن هذه الآية عامة في عمرو بن لحي وفي غيره لأمرين :-

١) عموم النفي الذي دل عليه ظاهر الآية. قال تعالى {فَمَنْ أَظْلَمُ} وهذا عام وليس خاصًا في ابن لحي.

٢) عموم العلة المقتضية للحكم على هذا الوصف وهو الكذب والافتراء على الله.

- فالحكم عام في الافتراء والكذب على الله ليس عمرو بن لحي فقط ! نعم النبي صلى الله عليه وسلم رآه في النار يَـجُرُّ قُصْبَه -يعني أمعاءه- لأنه سيب السوائب وبحر البحائر وغير دين إبراهيم عليه السلام. لكن الآية عامة فيه وفي غيره للأمرين المذكورين.

قوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} المراد بـ(الهداية) هنا : الداخلة في المشيئة العامة وإلا فالعباد لهم مشيئة خاصة يزاولون بها أعمالهم ويبحثون بها عن الأسباب وإليهم تنسب أعمالهم ، وعليها الجزاء والحساب. فالمقصود بهذه الآية : الهداية العامة. **(الشرح)** فبعض الناس يقول : "أنت الله هداك ولكنه لم يهدِني" نقول له كما قال العلماء : أنت تكذب وتدعي علم الغيب فمن الذي أدراك بأن الله ما هداك ! فأنت مطالب بأن تبذل وأن تسعى وأن تبحث على ما ينفعك، فأنت في الدنيا تبحث عمّا ينفعك ، فإذا اشتريت السيارة فإنك تشتري الجيد وتترك الرديء وإذا جئت للطعام والفواكه فإنك تشتري من أحسن الأنواع وتسأل وأنت لا تلام ، وإذا قُدِّم لك طعام تأكل الجيد والذي تشتهيه، فهذا في دنياك فلماذا في دين الله لا تبحث عمّا ينفعك في الآخرة ! لماذا لا تبحث عن أسباب الهداية : دعاء الله، حضور مجالس العلم، صحبة الأخيار، القراءة في كتب العلماء إلى غير ذلك يقول الله تبارك وتعالى {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}.

الحلقة (٦)

موضوع الحلقة تفسير الآيات ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ من سورة الأنعام

وبتفسيرنا لهذه الآيات الثلاث إن شاء الله تعالى ننتهي من تفسير آيات الأحكام في سورة الأنعام لننتقل بعد ذلك في الحلقات القادمة إلى تفسير الآيات من سورة الأعراف ثم الأنفال ثم التوبة ثم سورة النحل إن شاء الله تعالى.

{قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤٥)}.

مناسبة الآية لما قبلها /أن الله عز وجل لما عاب على المشركين التحليل والتحريم على تفصيل اعتمدوه بينهم ، بيّن الطريق الصحيح والمنهج الحق في أخذ التحليل والتحريم وذلك عن طريق الوحي من الكتاب والسنة.

{قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ} فأنا لا آخذ تحريمي وتحليلي إلا من كتاب الله ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا هو المنهج الحق.

قال المفسرون : هذه الآية مكية اشتملت على عدد من المحرمات ، ثم زيد عليها آية المائدة. قال بعضهم : يمكن إدخال بعض ما ذكر في آية الميتة -يعني مما سبق- في حكم الميتة هنا مثل المنخنقة والموقوذة إلى آخره فإنها ميتة، لكن رُدَّ هذا بأن هذه المذكورات في آية المائدة اشتملت على تفصيل في موتها، فهي لم تمت حتف أنفها وإنما بأسباب أخرى لكنها خالفت الذكاة الشرعية.

(الشرح) يعني هنا الآية مكية فهل يقال أن هذه الآية ما ذكر فيها من الميتة يدخل فيها الميتة التي هناك ؟ أو أنها ذكرت

هنا على وجه العموم وجاء تفصيل الميتة هناك ؟ على كل حال الحمد لله الميتة حرام سواء ماتت حتف أنفها مثل ما دلت عليه الآية هنا، أو ذِكر أول ميتة هناك لأن الله جل وعلا قال في سورة المائدة {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ}، أو ما مات على غير ذكاة شرعية كالمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة، إلى آخره، على كل حال هذا حرام وهذا حرام، ونحن ولله الحمد نجمع بين النصوص، سواء ما جاء في هذه الآية في سورة الأنعام وإن كانت مكية، أو ما جاء في سورة المائدة، ولا شك أن سورة المائدة مدنية بل هي من آخر ما نزل من القرآن الكريم.

قوله تعالى {قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا} (مُحَرَّمًا) صفة لموصوف محذوف، والتقدير : طعاماً محرماً (قل لا أجد في ما أوحي إلي طعامًا محرمًا) هذا هو التقدير، لكن حُذف الموصوف وبقيت الصفة منصوبة.

** قراءات/قوله تعالى {إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً} فيها ثلاث قراءات:-

القراءة الأولى /قرأ ابن عامر {إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةٌ} وعلى هذا تكون (كان) تامة وتأخذ فاعل وهو (ميتة) ، أي لا تأخذ اسم ولا خبر. و (كان) التامة بمعنى حدث ووجد ووقع أو نحو ذلك ، أي : وقعت ميتة أو حدثت ميتة.

القراءة الثانية /قرأ ابن كثير ، وحمزة {إِلَّا أَنْ تَكُونَ مَيْتَةً} بالتاء في {يَكُونَ}.

القراءة الثالثة /قرأ الباقون {إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً}.

وعلى هذا فالقراءة الثانية والثالثة تكون (كان) هنا ناقصة، واسمها محذوف تقديره : المأكول أو الموجود، و (ميتة) هو الخبر المنصوب

➢ اشتملت هذه الآية على أربع محرمات {إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا}

الأول /الميتة : وهي التي ماتت حتف أنفها دون ذكاة شرعية. أدخل بعضهم فيها المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة لكن هذه ماتت بأسباب لا تُحِلُّها وهي لم تذكى ذكاة شرعية.

الثاني /الدم المسفوح : ومعنى المسفوح هو المصبوب السائل المندفع بقوة عند الذبح فهو نجس لا يؤكل ولا يشرب. **(الشرح)** يعني الدم المسفوح هو الذي يخرج دفعا، عندما يُذبح، يَقطع الذابح الودجين ينهر الدم، يعني يخرج باندفاع بقوة، هذا هو الدم المسفوح، هذا نجس، حتى لو أصاب الثياب يجب أن يغسل، و لا يؤكل ولا يشرب، أما ما يكون على اللحم أو في العروق بعد ذلك فليس بنجس ولكنه لا يحل، إنما يحل **ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم (أحلت لنا ميتتان ودمان)** أما الميتتان فهما الجراد والحوت، وأما الدمان فهما الكبد والطحال لكنه دم متجمد. و ما في العروق وعلى اللحم لا شك أنه لا يجوز أن يشرب لكنه ليس بنجس، لو وقع على الثياب أو شيء وصلى به الإنسان لا حرج عليه، وإن كان المطلوب أن يغسله ليقف أمام ربه وقفة متهيئة متزينة متجملة .

الثالث /لحم الخنزير : ويشمل جميع أجزاء بدنه، ليس المقصود اللحم فقط بل الشحم والكبد والأمعاء ، لكن ذكر اللحم لأنه هو الأكثر الذي يُنتفع به. **(الشرح)** لا يقول أحد مادام أنه ذُكر بالآية اللحم إذن سأستفيد من شحوم الخنزير أو من كبدها، نحن نقول لا ! هذا حرام، طيب لماذا؟ نقول نعم اللحم ذُكر لأنه أهم شيء أو هو الشيء الكثير الذي يُنتفع به، مثل قول الله عز وجل {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (١٠)} النساء. لو جاء إنسان وقال "أنا والله لا آكل مال اليتيم، أنا سآخذ ماله أشتري به سيارة لي أو قطعة أرض أو أسدد بها ديوني" لا ! نقول له هذا حرام، طيب يقول "يا أخي الآية فيها الأكل" نحن نقول نعم الآية ذكر فيها الأكل لأنه أقرب مقصود يُنتفع به وهو الأكثر، فعلى كل حال هنا لحم الخنزير يشمل الشحم والكبد والطحال وكل شيء. قوله تعالى {فَإِنَّهُ

رِجْسٌ} بيان لعلة تحريم لحم الخنزير فهو نجس لأنه يأكل القاذورات يأكل العذرات. **(الشرح)** الخنزير –الله يعافينا وإياكم- كما يلاحظ في الحظائر التي يعيش فيها يأكل من عذرته ويأكل القاذورات والأشياء الخبيثة، ولكن هو مع ذلك –سبحان الله- النصارى مفتونون بأكله وكله أمراض وكله أوبئة –نسأل الله العافية-.

الرابع /الفسق {أَوْ فِسْقًا} وهو في اللغة : الخروج، يقال لصاحب المعصية فاسق لأنه خرج من الطاعة وهي الأصل إلى المعصية، والمراد به هنا : ما خُرج به من الحِلِّ إلى الحرمة ، مثل ما يُذبح لغير الله عز وجل. **(الشرح)** أنت خرجت به من الحلال إلى الحرام، أنت جئت بخروف وذبحته عند قبر، صاحب ضريح أو لجن أو للشياطين عند عتبة الباب أو للسحر، فك سحر هذا ذبح لغير الله باسم الشياطين، هو كان حلال لكن أنت خرجت به من الحلال إلى الحرام بفعلك هذا الذي لا يجوز بل هو شرك ! {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}

قوله تعالى {فَمَنِ اضْطُرَّ} هذا بيان لحال الضرورة. **(الشرح)** أنه يجوز للإنسان في حال الضرورة أن يأكل من الميتة ، من الخنزير ، من أي شيء –الشكوى لله- حتى لا يموت، حتى للشرب لو ما وجد إلا كأس خمر يشرب، يشرب ما يسد رمقه، ما يشرب ما يكفيه، لا، يشرب ما يبلغه، أيضاً اللحم يأكل ما يكفيه فقط، يعني ما ينقذه، وليس المقصود ما يشبع بطنه، لا، المقصود ما ينقذه.

قوله تعالى {غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ} (باغٍ) اسم منقوص والأصل (باغي) بالياء ، ولكن حُذفت الياء للتنوين والمقصود هنا : غير معتدٍ على من حاله مثله.

وقيل : غير متجاوز ما أبيح له من الأكل. وهذا القول هو المراد بقوله {وَلَا عَادٍ} – هذا القول يناسب الكلمة الثانية-

(الشرح) {غَيْرَ بَاغٍ} يعني المقصود غير معتدي على من حاله مثله {غَيْرَ بَاغٍ} يعني لا يجوز أن يكون معتدياً متجاوزاً على من حاله مثله ، الباغي هو المعتدي. القول الثاني : أنه غير متجاوز ما أبيح له من الأكل من هذا الشيء ، يعني لا يشبع بطنه ، هذا يناسب الكلمة الثانية {غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ}.

قوله تعالى {وَلَا عَادٍ} (عادٍ) أيضاً اسم منقوص وأصله (عادي) بالياء، ولكن حُذفت الياء للتنوين، والمراد غير متجاوز ما أبيح له من الأكل مما تقوم به حياته ويشتد به صلبه. **(الشرح)** يعني المقصود أنه لا يتجاوز، يعني يأكل، خذ ما يكفيك، ليس تأكل ما يشبع بطنك وتستمر بعد ذلك ، لا ! المقصود خذ حاجتك فقط ما ينقذك والحالة هذه.

➢**والجملة** {غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ} جملة معترضة بين قوله {فَمَنِ اضْطُرَّ} وقوله {فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} والفائدة : زيادة بيان وتفصيل.

قوله تعالى {فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} أي : من دعته الضرورة فطلب الحرام فأكله فإن ربك غفور رحيم. **(الشرح)** وهذا ولله الحمد من سماحة هذا الدين ومن تيسيره أن الإنسان إذا احتاج واضطر يأكل والحمد، الله غفور رحيم، الضرورات تبيح المحرمات، فاللَّهُمَّ لك الحمد بالإسلام والإيمان ولك الحمد أن علمتنا القرآن.

{وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (١٤٦)}

مناسبة الآية لما قبلها /أن الله عز وجل لما بين لنا فيما سبق ما حُرِّم على أمة محمد –صلى الله عليه وسلم- بين لها في هذه الآية ما حُرِّم على اليهود. –وهذه الحقيقة مناسبة واضحة-

قوله تعالى {وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا} المقصود هم : اليهود.

{حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ} اختلف بالمراد بقوله جل وعلا {ذِي ظُفُرٍ} على ثلاثة أقوال:-

القول الأول /أن المراد به غير منفرج الأصابع ، مثل الإبل والإوز والبط، هذا كان محرماً عليهم.

القول الثاني /أنه خاصٌ بالإبل فقط.

القول الثالث /أن المراد به كل ذي مخلب من الطير ، وكل ذي حافر من الدواب.

وهذا بلا شك من الإصِّر والأغلال والتشديد عليهم، هذا هو المحرم من اللحوم.

أما من الشحوم فيقول الله عز وجل {وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا} إلى آخر الآية ، أي : حُرِّمت عليهم الشحوم الخالصة النظيفة عقوبة لهم من الله عز وجل ، واستُثني في الآية ثلاثة أشياء.

(الشرح) يعني أن الشحوم الخالصة الطيبة التي يمكن الاستفادة منها بيسر وسهولة حرمت عليهم ، إلا أموراً أبيحت لهم من هذه الشحوم، وهي ما يلي:-

الأول : قوله تعالى {إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا} أي : الشحم الذي فوق الظهر، فهذا مباحٌ يجوز لهم لكن فائدته ليست كبيرة {حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا}ما كان عليها من فوق هذا يجوز أكله.

الثاني : مما أُبيح لهم {الْحَوَايَا} وفي المراد بها قولان :-

- **القول الأول** /أنها الشحم المحيط بالجسم ككل. -وهذا يصعب أخذه-
- **القول الثاني** /أنها الشحم القريب من (المباعر) جمع مِبعر وهو مخرج خروج الغائط.

كلمة {الْحَوَايَا} اختلف في مفردها على ثلاثة أقوال :-

- **القول الأول** /أن مفردها حَوِيَّة، مثل سفينة جمعها سفائن، فيكون وزن حوايا فعائل.
- **القول الثاني** /أن مفردها حاوية، مثل ظاربة جمعها ظوارب، فيكون الوزن فواعل.
- **القول الثالث** /أن مفردها حاوِياء، مثل قاصعاء جمعها قواصع فيكون الوزن فواعل.

على كل حال هذا الأمر سهل إن شاء الله.

الثالث : أيضاً مما استثني {أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ} مثل : شحم الإلية ، وهذا يكون في الضأن ، ومثل الشحم الملاصق لعظام الصدور ونحو ذلك ، هذا أيضاً مما أبيح لهم. يعني الشحم القريب من العظم سواء شحم الإلية بالنسبة للضأن أو ما كان قريباً من الصدور.

قوله تعالى {ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ} (ذلك) اسم إشارة يرجع إلى العقوبات السابقة من الله عز وجل لهم يرجع إلى ما سبق. قوله {بِبَغْيِهِمْ} أي : بتعديهم على الأنبياء وبالقتل أو برد دعوتهم. كما قال تعالى {فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ} إلى آخر الآية فقد كانت هذه الأشياء طيبات أحلت لهم من قبل لكن حرمت عليهم بعد ذلك لما ذكره الله عز وجل في هذه الآية. قوله تعالى {وَإِنَّا لَصَادِقُونَ} أي في الإخبار عن هذه المحرمات عليهم. لا شك {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا(١٢٢)} النساء.

{فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١٤٧)}

قوله {فَإِنْ كَذَّبُوكَ} في المراد به قولان:-

القول الأول /أي تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم في إخباره بما حرم الله عليهم.

القول الثاني /أنهم طعنوا في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وكذبوه وردوا رسالته، وهذا القول أعم من السابق. **(الشرح)**

بلا شك القول الثاني أعم أنهم طعنوا في نبوة النبي – صلى الله عليه وسلم- مع أنهم يعلمون صدقه ! واجتمعوا في يثرب قبل أن تسمى المدينة وطابة وطيبة، اجتمعوا من أجل النبي صلى الله عليه وسلم ومع ذلك كذبوه وناوئوه وناصبوه العداء مما هو مُثْبَتٌ في كتب السيرة ، وهذا القول الثاني أعم مما سبق.

ختام هذه الآية يقول الله عز وجل {فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ} هذه الجملة دلت على أنه ينبغي للمؤمن أن يجمع في حياته بين الخوف والرجاء ، بين الترغيب والترهيب.

(الشرح) هنا الله عز وجل يقول {فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ} رحمة الله واسعة نعم {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} والله جل وعلا جعل عنده مائة رحمة، أنزل رحمةً واحدة يتراحم بها الخلائق وأبقى عنده تسع وتسعين رحمة ، ومع ذلك الله جل وعلا لا يُرَدُّ بأسه عن القوم المجرمين ، فينبغي للمؤمن الحقيقة في حياته أن يجمع بين الخوف والرجاء، بين الترغيب والترهيب، إلا أن أهل العلم قالوا في حال الصحة والعافية يزيد شيئاً ولا نقول كثيراً في باب الخوف، وإذا جاء عند الخاتمة وعند الموت يُغلب جانب الرجاء ومع ذلك التوازن بينهما مطلوب، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: "المؤمن في هذه الحياة كطائر له رأس وجناحان، أما الرأس فمحبة الله عز وجل ، وأما الجناحان فالخوف والرجاء" وهل يمكن أن يعيش طائر بدون واحد من هذه الأمور الثلاثة ! هكذا المؤمن ، المحبة والخوف والرجاء يجمعها ويسأل الله عز وجل التوفيق للعمل الصالح.

الحلقة (٧)

موضوع الحلقة تفسير الآيات ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ من سورة الأعراف

{يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١)}

 # سبب نزول هذه الآية / أن المشركين من غير قريش - يعني من قبائل العرب غير قريش - كانوا يطوفون بالبيت عراةً إذا لم يكن عندهم مالٌ يشتريون به ثيابًا من الحمس للطواف - و الحمس هم قريش- ، أو لم يجدوا من يعيرهم ثيابًا من الحمس. وكان الرجال يطوفون بالنهار والنساء يطفن بالليل ، وكان هذا غاية الجهل والضلالة حتى بعث الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزل الله هذه الآية , وبعث النبي صلى الله عليه وسلم من ينادي في حجة أبي بكر رضي الله عنه - وكانت قبل حجه عليه الصلاة والسلام – أنه (لا يطوف بالبيت عريان ولا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يدخل الجنة إلا نفسٌ مؤمنة)

وهذا كان من ضلالة الجاهلية أنه من كان من العرب يريد الحج فلا يطوف إلا وهو عريان ، إلا أن يكون عنده مال يشتري ثيابا من الحمس وهم كفار قريش ، أو أنه يعرف صديقًا أو قريبًا فيعيره ثيابًا من ثيابه فلا بأس ، يلبس الثياب ويطوف بها بالبيت ، أما إذا لم يستطع الشراء ولم يجد من يعيره فإنه يطوف بالبيت عرياناً.

وجاء عنهم أن المرأة كانت تضع النِّسعة على قبلها وتطوف وهي عارية. وهذا لا شك أن من قبح أعمال الجاهلية ومن سفه العقول أن يطوف الإنسان بالبيت عرياناً.

قوله تعالى {يَا بَنِي آدَمَ } الخطاب هنا: عام لجميع الناس وإن كان المقصود من كان يطوف بالبيت عريانًا {خُذُواْ زِينَتَكُمْ} هذا دليل على وجوب ستر العورة ، وهو مذهب جمهور أهل العلم ، حيث عدّوه شرطاً من شروط الصلاة ، ولا يخفى على شريف علمكم أن من شروط الصلاة ستر العورة. ولأهل العلم خاصة الفقهاء رحمهم الله لهم كلام في عورة الرجل من أين تبدأ وأين تنتهي ، وعورة المرأة ، والتفريق بين عورة المرأة الحرة والأمة ، هذا تفاصيله في كتب الفقه ، إذن

هذا مما يستدل به على وجوب ستر العورة .

قوله تعالى {عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ} معظم كلام المفسرين على أن المراد بـ(المسجد) هنا : الصلاة ، عند كل مسجد : أي عند كل صلاة ، وهذا يتناول بيوت الله والمُكث فيها. يعني بيوت الله أحق بالاحترام وأحق بالتجمل والتزيّن ومن ذلك ما يقام فيها من شعائر وأعظم الشعائر الصلاة بعد الشهادتين أعظم أركان الإسلام.

قوله تعالى {وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُوا} أحل الله في هذه الآية الأكل والشرب ما لم يكن سرفاً أو مخيلة ، أي كبرًا ، فلابد من الاعتدال في الأكل والشرب قال النبي صلى الله عليه وسلم **(ما ملأ آدمي وعاء شر من بطنه ، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس)** فهذه الآية آية كريمة جمعت الطب كله {وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُوا}، لذلك يقال أن أحد الأطباء اليونانيين زار هارون الرشيد الخليفة العباسي وقال : إن آية في كتابكم جمعت الطب كله ، فقال : ما هي ؟ فقرأ هذه الآية.

- استطراد//ولذلك يروى أن أحد ملوك بني كلدة وهو من ملوك العرب أنه كان يقول : "المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء و أعط كل بدن ما تعود" ، وإن كان بعض الناس يزعم أن هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وهذا غير صحيح فهذا حديث موضوع على النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما هو من قول الحارث بن كلدة . يعني هو كلام صحيح أن المعدة بيت الداء الإنسان ما تأتيه الأمراض إلا من كثرة الأكل وعدم الترتيب والتنظيم ، والحمية رأس الدواء .

قوله تعالى { وَلاَ تُسْرِفُواْ } اختلف في المراد فيها على أقوال :-

القول الأول /أي : لا تتجاوزوا في كثرة الأكل والشرب لأن ذلك يثقل المعدة ويثبط الإنسان عن عبادة ربه والأخذ بحظه من نوافل الخير . **(الشرح)** وهذا رُوي عن السلف رحمهم الله أنهم كانوا يقولون من أكل كثيرًا نام كثيرًا ففوت كثيرًا يعني من الأعمال الصالحة وهذا شيء معلوم ، الإنسان إذا أكثر الأكل و اتخم بطنه بأنواع المأكولات فإنه بلا شك يحتاج إلى النوم وإذا نام ثَقُل عليه أن يؤدي الفريضة ، على كل حال هذا أحد الأقوال يعني لا تتجاوزوا في كثرة الأكل والشرب

القول الثاني /أي : لا تأكلوا حراماً. وذلك بتجاوز الحلال إلى الحرام بعض الناس يأكل هو الحلال لكنه يتجاوز ويتعدى من الحلال إلى الحرام.

القول الثالث /أي : لا تسرفوا في تحريم ما لم يحرم عليكم. **(الشرح)** فإن العرب في الجاهلية كانوا لا يأكلون الدسم في أيام حجهم و يكتفون باليسير من الطعام ، ويطوفون عراة ، فقيل لهم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، نعم كون الإنسان يحرم على نفسه أنواع الطيبات في بعض المناسبات هذا لا يجوز من أين لك أن تحرم شيئا أباحه الله ؟؟! نعم فكانت العرب لا تأكل الدسم، اللحوم الدسمة أو الشحوم كانوا لا يأكلونها في حجهم ويرون أن ذلك قربةً وطاعة وهذا لا يجوز .

في ختام هذه الآية يقول الله جل وعلا {إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} في هذا إثبات صفة المحبة لله عز وجل على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى ، على وجهٍ لا يشابه فيه خلقه قال تعالى {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ(١١)}الشورى. فنحن نثبت من صفات الله المحبة ، نعم الله (في الآية) نفاها أنه (لا يحب المسرفين) لكن في مواضع أخرى أثبتها الله فهو (يحب التوابين) و (يحب المتطهرين) ، على كل حال في هذه الآية إثبات صفة المحبة لله عز وجل على الوجيه اللائق به من غير تأويل ولا تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل على وجه لا يشابه فيه خلقه على حد قوله {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ(١١)}الشورى.

{قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢)}

قوله تعالى {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ} (زينة الله) اختلف في المراد بها على قولين :-

القول الأول /أنها الملبس الحسن إذا قدر عليه صاحبه .

القول الثاني /أنها جميع الثياب كما رُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : "إذا وسع الله عليكم فأوسعوا"

***فائدة/ /**دلت هذه الآية على جواز لبس الرفيع من الثياب والجميل منها وبخاصة في الجمع والأعياد والصلوات وعند لقاء الناس والزيارات وهكذا كان هدي النبي صلى الله عليه وسلم ، كان عنده ثوبان ثوبٌ يلبسه في العموم في عموم حياته والثوب الثاني كان يلبسه في الجمع والأعياد وحين استقبال الوفود ، قال أبو العالية كان المسلمون إذا تزاوروا تجملوا **وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) فقال رجلٌ : يا رسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنه , فقال النبي صلى الله عليه وسلم (إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس)** فهذا تعريف الكبر: بطر الحق : يعني دفعه وعدم قبوله ، وغمط الناس : احتقارهم و الاستهزاء بهم

قوله تعالى { وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ} اختلف في المراد هنا بـ(الطيبات) على أقوال:-

القول الأول /أن الطيبات : اسم عام لكل شيء طاب كسباً وطعماً. يعني لابد أن يكون كسبه طيب فلا يكون من الحرام وطعمه يعني مطعومه تحبه النفس وتألفه.

القول الثاني /قال ابن عباس وقتادة : "هي ما حرمه أهل الجاهلية من البحيرة والوصيلة والسائبة والحام"أي أن الطيبات ترجع إلى ما سبق ذكره عند حديثنا سواء الإشارة إليها كما في سورة الأنعام أو التصريح بها كما في سورة المائدة.

القول الثالث / أن الطيبات من الرزق : هي كل مُستلذ من الطعام. أي ما تحبه النفس وتألفه ، قال بعض أهل العلم: وفي هذا ردٌ على الصوفية الذين كرهوا أو حرموا الطيبات مستدلين ببعض الآثار عن الصحابة أو عن بعض التابعين ، ولكن هذا محمولٌ على من خشي منه إيثار التنعم في الدنيا والتشاغل بشهواتها والمداومة على ذلك حتى ينسى الآخرة .

نعم رُوي آثار صحيحة عن بعض السلف تركوا بعض الطعام في حالةٍ معينة وهذا فيه علاجٌ للنفس ، نعم الإنسان عندما يرى أن في نفسه كبراً وعلواً فيكسر حدتها بألا تأكل كذا ، يعاقب نفسه هذا محمول على علاج النفس وعدم التنعم لئلا تنسى مشاغل الآخرة ، أما أن يحرم الإنسان ما أحل الله فهذا ليس بصحيح لا عن الصحابة ولا عن غيرهم من أهل العلم ، ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم وهو سيد الأولين والآخرين ، أتقى الناس في الله وأشدهم له خشية وأسرعهم دمعة عليه الصلاة والسلام يأكل الحلوى والعسل والرطب ، وكان عليه الصلاة والسلام ما عاب طعاما قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه ، كان لا يطلب مفقودًا ولا يرد موجودًا هكذا كان منهجه عليه الصلاة والسلام : الموجود- اللَّهُمَّ لك الحمد- يأكل منه ، إن اشتهاه أكل واحتمال لا يأكل إن كان لا يريده ، أما أن يطلب أهله مفقودًا ويثقل على أهله ويتكلم ويتبرم ويتضايق لم يكن هذا من هديه عليه الصلاة والسلام .

قوله تعالى {قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} أي بحقها من توحيد الله جل وعلا والتصديق به ، فإنه الله هو المنعم الرازق فمن آمن بالله عز وجل وقام بتوحيده وقام بشكره جل وعلا فقد قام بحق هذه النعمة ، وفي الحديث الصحيح **(لا أحد أصبر على آذىً من الله يعافيهم ويرزقهم وهم يدعون له الصحابة والولد)** {قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} يعني

بحقها من توحيد الله وشكره على هذه النعمة . وهنا الأفضل أن يقف الإنسان عندما يقرأ الآية {قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} ثم بعد ذلك يقرأ {خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ}

** قراءات/ /قوله تعالى { خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ }

القراءة الأولى /قرأ السبعة عدى نافع : بالنصب على أنها حال

القراءة الثانية /قرأ نافع : بالرفع يعني {خالصةٌ يوم القيامة} على أنها خبر لمبتدأ محذوف والتقدير : هي خالصةٌ يوم القيامة .

إذن قراءتان : قرأ نافع بالرفع {خالصةٌ} على أنه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير : هي خالصةٌ يوم القيامة ، الباقون قرؤوا بالنصب {خالصةً يوم القيامة} ومعناها أن الله عز وجل يجعل الطيبات في الآخرة للذين آمنوا خاصة بهم ليس للمشركين فيها شيء

يعني كما كانوا في الدين المؤمنون ملتزمون بدين الله فإنهم يأخذون هذه الطيبات خالصة يوم القيامة ، أما في الدنيا فكلهم يشترك فيها **كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (الدنيا يعطيها الله من يحب ومن لا يحب أما الآخرة الجنة فلا يعطيها الله إلا من يحب)، وقال عليه الصلاة والسلام (لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء)**

قوله تعالى {كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} أي : كما فصلت لكم الحلال والحرام أُفصل لكم ما تحتاجون إليه .

{قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ (٣٣)}

هذه الآية الكريمة تسمى (آية المحرمات الخمس) كما نص على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رسالته الفتوى الحموية ، قال : "أن هذه المحرمات الخمس وأعظمها ما ختم الله بها وهو القول على الله بغير العلم" .

قوله تعالى {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ} الفواحش : جمع فاحشة وهي العمل المفرط في القبح ، فهي أعظم من المعصية وأشد جرماً من المعصية

قوله تعالى {مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} في المراد به قولان :-

الأول /أن ما ظهر منها : هو نكاح الأمهات في الجاهلية ، وما بطن : هو الزنا ، **هذا قول مجاهد**.

الثاني /أن ما ظهر منها : هو الزنا المعلن الظاهر ، وأن ما بطن : هو الزنا في السر والخفاء ، **وهذا قول قتادة.**

كانت العرب كما ذكرت آنفاً يستعيبون الأول - الذي هو الزنا المعلن- أما الزنا الخفي فكانوا لا يستعيبونه ، لكن على كل حال هذا حرام وهذا حرام .

وهذان القولان مجرد ضرب أمثلة فقط وإلا كلمة (ما ظهر منها وما بطن) عامة تشمل جميع المعاصي الظاهرة والباطنة

قوله تعالى {وَالإِثْمَ } (الإثم) اسم يطلق على جميع المعاصي ،،، قال الحسن : "هو الخمر" واستدل بقول الشاعر :

شربت الإثم حتى ضلّ عقلي .. كذاك الإثمُ تَذهبُ بالعقول

يقصد بالإثم هنا : الخمر ، على كل حال يعني الخمر نوعٌ من الآثام نوع من المعاصي ، وإلا لا شك أن الإثم كلمة أعم.

وقوله تعالى {وَالْبَغْيَ} (البغي) هو /الظلم وتجاوز الحد. وقيل هو: الإفساد في الأرض.

وهنا يذكر بعض المفسرين قالوا : لماذا أخرج البغي والإثم من الفواحش ؟ مع أنه يدخل في الفواحش الإثم والظلم

والبغي كلها تدخل !

قالوا : السبب لعظمهما وفحشهما ، فنص على ذكرهما بالعطف على ما سبق تأكيدًا لأمرهما وقصدًا للزجر عنهما. يعني كلاهما صحيح يدخلان في الفواحش لكنهما أفردا بالذكر وعُطفا بالنص تأكيدًا لأمرهما وقصدًا للزجر عنهما.

قوله تعالى { بغير الحق} أي بغير حجة ولا برهان ولا مسوغ ، أما إن كان من له الحق له بينة واضحة فله أن ينتصر لنفسه ويأخذ حقه ولا يسمى ذلك بغيًا {وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢)}الشورى. إنسان له حق وانتصر لنفسه وطلب أن يُأخذ له حقه يعني لا حرج عليه لكن ليس المراد أنه يمد يده ويعتدي ويتجاوز لا ، بل يرفع شأنه على ولي الأمر أو من ينيبه كالقاضي أو الشرطة أو رجال الأمن يعني يأخذوا له حقه لكي ما تصير المسألة مشتبكة بين الناس هذا يضرب هذا وهذا يقتل هذا ، هذا غلط هذا معناه انفكت عرى المجتمع وحدث الاضطراب وعدم الاستقرار .

قوله تعالى {وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانا} (سلطانًا) بمعنى : الحجة والدليل والبرهان. بلا شك أن من أشرك مع الله ليس له لا حجة ولا دليل ولا برهان.

ختام هذه المحرمات الخمس قوله تعالى {وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} ختمت الآية بهذا الأمر الخامس بيانًا لخطورته وعظم جرمه وهو /القول على الله بلا علم. إذ هو مصدر الشرك وسبب الشرور في العقائد وغيرها ، بل هو مصدر ضلال الناس وأنهم يسيرون في متاهات وفي طرق خارجة عن منهج أهل السنة والجماعة أو حتى عن طريق الإسلام عموماً ، فعلى الإنسان أن يتقي الله وأن يحذر فلا يتكلم إلا بعلم. والحمد لله كان السلف يتدافعون الفتوى ، الإمام مالك جاءه رجل يسأله عن أربعين مسألة ، فأفتاه في أربع مسائل ، وستة وثلاثين مسألة ما عرف الجواب ! فلما قيل له في ذلك، قال : "اذهب وقل للناس أنني سألت مالك ولم يجبني إلا عن أربع" . هكذا كانوا رحمهم الله

الحلقة (٨)

موضوع الحلقة تفسير الآيات ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، وهي الآيات الأخيرة من سورة الأعراف .

{وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}

سبب نزول هذه الآية /قال سعيد بن المسيب رحمه الله : كان المشركون يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى فيقول بعضهم لبعض -و هذا في مكة قبل الهجرة- "لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه"[1] فأنزل الله تعالى جواباً لهم {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}

وقد اختلف العلماء رحمهم الله في المراد بهذه الآية على أربعة أقوال :-

القول الأول /قال عبدالله بن مسعود وأبو هريرة وجابر وغيرهم رضي الله عنهم : أن هذا في الصلاة فلا يجوز للمأموم أن يتكلم والإمام يقرأ ، بل عليه الإنصات له ويدل على هذا سبب نزول الآية.

يعني أن هذه الآية محمولة على في الصلاة فلا يجوز الكلام في الصلاة ، وقالوا سبب النزول يدل عليها لأن هذه الآية نزلت لما كان المشركون يحاولون التشويش واللغو والكلام ليفسدوا على النبي صلى الله عليه وسلم صلاته.

القول الثاني /قال سعيد بن جبير ومجاهد : أنها نزلت في خطبة الجمعة والاستماع لها. ولكن هذا ضعيف لأن القرآن

[1] /قال تعالى {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (٢٦)} فصلت

في خطبتي الجمعة قليل ، والإنصات يجب في جميعها والآية أيضاً مكية ولم يكن بمكة خطبة ولا جمعة.

القول الثالث /أن المراد بالإنصات يوم الأضحى ويوم الفطر ويوم الجمعة وفيما يجهر به الإمام في الصلوات الأخرى فهو عام.

والراجح على كل حال /أنه يجب الاستماع والإنصات لتلاوة القرآن في الصلاة وخارج الصلاة .

القول الرابع /أن المراد به ترك الكلام في الصلاة حيث كانوا يتكلمون في الصلاة بحاجتهم ، فيأتي الرجل وهم وفي الصلاة فيقول : كم صليتم ؟ كم بقي ؟ فيتكلم الذي بجواره يقول : صلينا ركعتين أو ثلاث أو بقي ركعة ، ونحو ذلك فأنزل الله هذه الآية.

على كل حال الإنصات لابد منه لسماع القرآن الكريم داخل الصلاة وخارجها ، وأيضا من مبطلات الصلاة الكلام فيها ، والفقهاء رحمهم الله لهم تفصيل : ثلاثة أحرف أو غير ثلاثة أحرف ، أو لو إنسان نطق لا شعوريًا بكلمة ، أو هل تكلم بكلمة خارج الصلاة إلى غير ذلك ، على كل حال القرآن له شأنه فلابد من الاستماع والإنصات له .

{ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ } هنا جُمع بين الأمرين ، لا يتكفي الاستماع فقط بل لابد من الإنصات ، الإنسان قد يكون يستمع لكنه يتكلم وهذا لا يكفي ، فنحن نقول لابد أن تستمع للقرآن وأن تنصت له ، يجب أن تُقبل بقلبك وقالبك على كلام الله عز وجل .

إذن (الإنصات) هو السكوت والإصغاء للاستماع ، وفعله ثلاثي ورباعي يقال : نصت(الثلاثي) و أنصت(الرباعي).

(الشرح) وهنا يدل على أن للأمر أهميته فجُمع بين الأمرين : الاستماع والإنصات ، فلا يكفي الاستماع بدون إنصات ؛ لأن الإنسان قد يستمع للقرآن ولكنه يتكلم مع زميله أو قريبه وهذا غلط !! نحن نقول أنصت واستمع حتى تتحقق على الفضل والخير الذي جاء الوعد به في هذه الآية وهو قوله تعالى {لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}

قوله تعالى { لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ }في هذا دعوة للاستماع والإنصات للقرآن ورجاء هذه الرحمة لهذا السبب إن شاء الله ، وفي هذا ترغيب لهذا الأمر . ولا شك نحن نقول للناس أن من أسباب الحصول على رحمة الله الاستماع والإنصات للقرآن ، وابن عباس وغيره مما يروى عنهم أن (عسى) من الله واجبة ، وجوب تفضل وإحسان من الله تبارك وتعالى.

{وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ (٢٠٥)}

قوله تعالى {وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ } اختلف في المراد به فقيل :-

القول الأول /المراد القراءة في الصلاة . خاصة بالصلاة

القول الثاني /العموم ، أي اقرأ القرآن بتدبر وتأمل وكذلك بقية الأذكار. بلا شك أنه لابد من التأمل والتدبر {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً (٨٢)}النساء. {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤)}محمد. **والله جل وعلا يقول** {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ (٢٩)}ص. فلابد من التأمل والتدبر في كلام الله حتى نحصل على الخير والفضل الذي وعدنا به.

٨٨**إعراب**/قوله تعالى {تَضَرُّعاً وَخِيفَةً } يجوز أن يكون هذا مصدر يعني : مفعول مطلق منصوب ، ويجوز أن يكون : حال منصوب .

قوله تعالى {وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ} أي : دون الرفع في القول ، يعني بين الجهر والمخافتة كما قال تعالى {وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١١٠)}الإسراء. **وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمشي فسمع قراءة أبي بكر وكانت قراءةً ضعيفة ،**

ومر على عمر فوجده يرفع صوته ! فسأل أبا بكر فقال : "قد أسمعتُ من ناجيت يا رسول الله" ، ولما قال لعمر قال : "يا رسول الله اطردُ الشيطان و أوقظُ الوَسْنان" يعني النائم أو النعسان ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر (ارفع شيئاً) وقال لعمر (اخفض شيئاً) فنزل قول الله تعالى {وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١١٠)}الإسراء. فالوسط كله خير . إذن {وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ} أي دون الرفع من القول.

فائدة/ /دل هذا على أن رفع الصوت بالذكر ممنوع إنما المراد أن يسمع نفسه فقط ، إلا ما جاء النص برفع الصوت به كالأذان ، والإقامة ، وقراءة الإمام ، والتلبية في الحج والعمرة ، والذكر بعد الصلاة نعم هذه جاءت فيها أحاديث ونصوص تدل على أنه ينبغي رفع الصوت فيها .

قوله تعالى {بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ} (الغدو) جمع غدوة وهو أول النهار. (الآصال) يقال عنه هو جمع الجمع . مفرده : أُصل ، ومفرد أُصل : أصيل.

يعني عندنا مفرد وعندنا جمع ، وعندنا جمع الجمع ، فالمفرد : أصيل ، والجمع : أُصل ، وجمع الجمع : آصال ، مثل بيت : هذا مفرد ، والجمع : بيوت ، وجمع الجمع : أبيات. فالمقصود أن (الآصال) /جمع أصيل وهو العشي آخر النهار.

والمراد /المداومة ، أن الإنسان يداوم على ذكر الله ، هنا جاء في أول النهار وجاء في أخر النهار ، المقصود أن المؤمن يكون مرتبطا مداوماً على ذكر الله عز وجل لا يفتر عنه ، **في السنن عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : جاء رجلٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :** يا رسول الله إن شعائر الإسلام كثرت علي فدلني على عمل فقال (لا يزال لسانك رطباً بذكر الله) ، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في كتابه (الوابل الصيب من الكلم الطيب) ذكر مائة فائدة للذكر ، وقد نقل عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنه كان يقول : "المؤمن مع الذكر كالسمك مع الماء ، فهل يمكن أن يعيش السمك بدون ماء" هكذا أيضاً المؤمن أيضاً لا يمكن أن يعيش بدون ذكر الله ، فلتطب أنفسنا ولنداوم على ذكر الله سبحانه وتعالى.

قوله تعالى {وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ} أي عن ذكر الله. فمما يدل على أن الذكر ـ يعني على أهمية الذكر ـ أن الله أمر به في أول الآية ثم حذرنا من الغفلة عنه في آخرها فهذا بلا شك يدل على أهمية الذكر ، أن الله أمر به {وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ} هذا أمرٌ بذكر الله ، ثم في ختام الآية نهي عن الغفلة عن ذكر الله عز وجل فهذا بلا شك يدل على أهمية الذكر وأن حياة المؤمن مرتبطةٌ به ولله الحمد.

{إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُون }

مناسبة الآية لما قبلها /أن الله لما أمر بذكره وعبادته في الآية السابقة ذكر في هذه الآية أن الملائكة قائمون بعبادته وذكرِه ، لا يفترون عن ذلك ولا يملون منه ولا يتوقفون عنه ، فالملائكة خلقٌ عظيم من خلق الله خلقهم لذكره وطاعته وعبادته يفعلون ما يأمرون ، **وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم** (أطّت السماء – **يعني سمع لها أطيط يعني نقيض صوت** – وحُقّ لها أن تئط ، ما فيها موضع أربعة أصابع إلا وملك راكع أو ساجد وكلهم يقولون سبحانك ربنا ما عبدناك حق عبادتك)

قوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ} المراد بهم /الملائكة إجماعاً ، لا أحد يناقش في هذا ! وقوله {عِندَ رَبِّكَ} هذا من أدلة إثبات العلو والفوقية لله تبارك وتعالى ، وذلك لأن الملائكة شرفوا وارتفعت رتبتهم قريبون من الله تبارك وتعالى. إذن المقصود {عِندَ رَبِّكَ} يستفاد منها إثبات صفة العلو ، وأدلة العلو كثيرة يقول شيخ الإسلام : "أستطيع أن آتي بألف دليل

على إثبات صفة العلو" وابن القيم في نونيته ضم الأدلة وجعلها في واحد وعشرين نوعًا ومنها التصريح ، يعني ذكر جملة من الأدلة رحمه الله : صعود وعروج الأشياء إلى الله ، ونزول الأشياء من السماء ، واستواء الله على عرشه ، هذه الأدلة مثل {عِندَ رَبِّكَ}، الفوقية ، كل هذه الأدلة تدل على إثبات علو الله سبحانه وتعالى على خلقه . قوله تعالى {وَيُسَبِّحُونَهُ} يعني يعظمونه وينزهونه من كل سوء .

قوله تعالى {وَلَهُ يَسْجُدُونَ} (١) قيل : يصلون. (٢) وقيل : يذلون أنفسهم وينكسرون بين يدي الله عز وجل، خلاف أهل المعاصي.

وهذه تعتبر أول سجدة يسجد فيها ، المقصود أن السجود هو السجود لله تعالى و فيه من التعظيم والإجلال لله عز وجل ، لذلك لا يجوز السجود لغير الله ، **قال عليه الصلاة والسلام (لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأجد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها)** . أما ما في قصة يوسف عليه السلام {وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا} فأجيب عن هذا : أن هذا كان جائزاً في شرعهم ، القول الثاني قيل أنه مجرد سجود تحية وليس تعظيم ، وقيل إن الضمير (وخروا له) يعني لله عز وجل ، على كل حال فيه أجوبة ذكرها المفسرون رحمهم الله تعالى.

أختم هذه الحلقة بذكر بعض المسائل المرتبطة بسجود التلاوة

(١) **اختلف العلماء في عدد سجدات التلاوة في القرآن** ، قيل : خمسة عشر ، وقيل : أربعة عشر ، وقيل : ستة عشر ، لأن بعضهم زادوا السجدة التي في آخر سورة الحجر وهي قوله تعالى {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ } الحجر. فبعضهم عد هذه سجدة سادسة عشر. والراجح أن السجدات هي ما في /الأعراف والرعد ، والنمل ، والنحل ، والإسراء ، ومريم ، واثنتان في الحج ، والفرقان ، والسجدة ، وفصلت ، والنجم والانشقاق ، والعلق. أما الخامسة عشر [1] وهي سجدة ص ففيها خلاف بين العلماء : من العلماء من يرى أنها سجدة تلاوة ومنهم من يرى أنها سجدة شكر ، الحقيقة لعل القول الوسط -والله أعلم- أنه : يسجد بها خارج الصلاة أما في الصلاة فلا يسجد بها .

(٢) **سجود التلاوة سنة مؤكدة وليس بواجب** ، وقد ثبت في صحيح مسلم **أن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (إذا قرأ ابن آدم سجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويله) وفي رواية (أُمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة ، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار)** . على كل حال سجدة التلاوة سنة مؤكدة ينبغي للقارئ ألا يغفل عنها ، وقد ذكر أهل العلم أنه يسجد لها من سمعها ، القارئ يسجد هذا من جهة ، وأيضا هناك فرق بين السامع والمستمع ، قالوا أن المستمع هو الذي منتبه للقراءة فهذا يسجد معه ، أما السامع الذي قد ينشغل وقد يستمع قليلا وقد ينشغل قليلا فإنه لا يلزم بهذه السجدة ، وعلى كل حال هي ليست لازمة هي سنة مؤكدة.

(٣) **صفة سجود التلاوة :** دلت سنة النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يكبر في هويه وارتفاعه إذا كانت السجدة في الصلاة ، لحديث ابن عمر **(أنه عليه الصلاة والسلام كان يكبر في كل خفض ورفع)** فلو كان في سجدة تلاوة في الصلاة فإنه يكبر ويقول : الله أكبر ، ويسجد ، ثم إذا رفع قال : الله أكبر ، واستمر في قراءته أو ركع بعدها على حسب ما يراه الإمام . في خارج الصلاة /أيضاً يكبر في كل خفض ورفع ولا يشير بيده ، بعض الناس وهو جالس يقرأ في المسجد في خارج الصلاة يأشر بيديه وليس له داعي . [فقط] تقول : الله أكبر وتسجد ، ثم إذا رفعت تقول : الله أكبر ، وخلاص ولا تسلم عن يمينك ولا عن شمالك ، بعض الناس يسلم يمين وشمال وهذا ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم .

---

[1] /قال الأستاذ (الرابعة عشر) لكنه سبق لسان وسيأتي

(٤) **ماذا يقال في سجود التلاوة ؟** يقال فيها ما يقال في سجود الصلاة **(سبحان ربي الأعلى)** ثلاثاً هذا هو الأصل ، ويزيد إن تيسر **(اللّهُمَّ ربي لك سجدت وبك آمنت وعليك توكلت سجد وجهي لله الذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره اللّهُمَّ اكتب لي بها أجراً واحطط عني بها وزرا واجعلها لي عندك ذكرا -أو ذخرا- وتقبلها مني كما تقبلتها من نبيك داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم)** . هذا ذكر إن تيسر فهو أن يأتي به فهو حسن .

(٥) **المسألة الأخيرة سجود التلاوة يعتبر من ذوات الأسباب فيسجد له ولو كان في وقت نهي ،** لو أن إنسانًا يقرأ بعد العصر وجاءته سجدة تلاوة فيسجد ولو كان في وقت النهي ، أو مثلا بعد الفجر يقرأ وجاءت سجدة تلاوة فيسجد ولو كلن وقت نهي ، ثم أيضاً حتى لو كان على غير طهارة ، أو حتى لم يستطع استقبال القبلة يسجد . ولنفرض أنه يقرأ القرآن وهو على دابة أو في السيارة أو في الطائرة فيومئ إيماءً ويأتي بهذا الذكر كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم.

الحلقة (٩)

موضوع الحلقة مقدمة حول سورة الأنفال + تفسير الآية الأولى من هذه السورة

سورة الأنفال القول المشهور فيها أنها مدنية. وهناك رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه استثنى منها سبع آيات أولها قوله تعالى :{وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٣٠)}الأنفال. وهي الآية الثلاثين وما بعدها هذه الآيات استثنيت في رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما أما السورة فهي مدنية .

وكان المسلمون في الجهاد في سبيل الله قبل دخول المعارك يقرؤون هذه السورة ، يطلبون من شخص يقرؤها في الجيش أو في مجالسهم في الليل قبل الصباح الذي يدخلون المعركة فيه ، يقرؤون هذه الآية ويفسرونها ويتأملون فيها أو أن قائد الجيش يقرؤها عليهم يشجعهم ويرغبهم في الخير والشهادة في سبيل الله عز وجل .

هذه السورة الكريمة في أولها حديث عن الأنفال وهي قضية حصلت للصحابة رضي الله عنهم أثناء غزوة بدر وبعدها ، ثم جاء الكلام في منتصف هذه السورة عن حكم الأنفال وعن كيفية قسمتها إلى غير ذلك ، وأيضا هناك آيات مرتبطة بهذه القضية وهي قضية الغنائم ، ومن المعروف أن الغنائم حِلّها من خصائص هذه الأمة ولم تكن حلالاً على من قبلنا ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم (أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي - وذكر منها - وأحلت لي الغنائم) أما فيمن كان قبلنا كانوا يجمعون الغنائم فتأتي نارٌ فتحرقها ولا يستفيدون منها بشيء .

هذه الآية الأولى في بداية سورة الأنفال وهي قول الله تبارك وتعالى {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١)}

 # ذكر العلماء في سبب نزولها ثلاثة أقوال :-

القول الأول /أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر (من قتل قتيلاً فله كذا وكذا ، ومن أسر أسيراً فله كذا وكذا) فأما المشيخة الكبار فثبتوا تحت الرايات وجاهدوا واستمروا وأما الشبان فسارعوا إلى القتل والغنائم ! فقال المشيخة للشبان : "أشركونا معكم [في هذه الغنائم] فإنا كانا لكم ردئاً" فأبوا فاختصموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت سورة الأنفال رواه عكرمة عن ابن عباس . [قام الأستاذ بشرح هذا الأثر بشكل مبسط]

القول الثاني /أن سعد بن أبي وقاص أصاب سيفًا يوم بدر فقال يا رسول الله "هبه لي" فنزلت هذه الآية. وفي رواية أخرى أن سعدًا قال : "قتلت سعيد بن العاص وأخذت سيفه ، فأتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (اذهب فاطرحه

في القبض) [يعني اجعله مع الغنائم] فرجعت وبي ما لا يعلمه إلا الله فما جاوزت إلا قريبًا حتى نزلت سورة الأنفال فقال (اذهب فخذ سيفك)

(الشرح) هذا أيضاً مرتبط بواقعة لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مع سيفه ، في البداية قال له النبي صلى الله عليه وسلم (اذهب فاطرحه مع القبض) يعني مع ما قُبض ، فلما ذهب وكان يرغب أن يأخذ هذا السيف لأنه هو الذي قتل سعيد بن العاص ، فنزلت هذه السورة **فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال** (اذهب فخذ سيفك)

القول الثالث /أن الأنفال كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لأحدٍ منها شيء ، فسألوه أن يعطيَهم منها شيئا فنزلت هذه الآية.

- على كل حال هذه ثلاثة أقوال سواءً قلنا أنها خلاف المشيخة مع الشباب ، أو في قصة سيف سعد بن أبي وقاص ، أو في أن الغائم كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس لأحد فيها شيء فسألوه أن يعطيهم فأعطاهم منها ، كلها يدور في فلك واحد وهي الغنائم يوم بدر .

مفردات هذه الآية :-

يقول تعالى {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ} (الأنفال) في اللغة : جمع نَفَل وهي الزيادة على الشيء ،

وقد اختلف في المراد بها هنا في هذه الآية على ستة أقوال :-

القول الأول /أنها الغنائم. **وهذا هو القول المشهور رواه عكرمة عن ابن عباس وقال به الحسن ومجاهد وعطاء وعكرمة وغيرهم سلف هذه الأمة ومن المفسرين .**

القول الثاني /أنها ما نفّله رسول الله صلى الله عليه وسلم القاتل من سلب قتيله. وجاء في هذا حديث (من قتل قتيلاً فله سلبه) وهذا للإمام قائد الجيش من باب التشجيع للمجاهدين يقول لهم مثلا من قتل قتيلا فله سلبه حتى يعملوا القتل في الأعداء .

القول الثالث /أنه ما شذ من المشركين إلى المسلمين من عبدٍ أو دابة بغير قتال. مثلا لو فرَّ عبدٌ من المشركين إلى المسلمين وأخذوه هذا يدخل في الأنفال ، أيضاً لو أن دآبة ناقة أو بقرة أو غنم خرجت منهم إلى المسلمين فأخذوها هذه تعتبر من الأنفال.

القول الرابع /أنه الخمس الذي أخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغنائم.

القول الخامس /أنه أنفال السرايا، والسرية هي : القطعةُ من الجيش يأمرهم الإمام مثلا أن يغيروا على مكان فلان أو أن يعترضوا الطريق على مثلا قطعة صغيرة من جيش الكفار ، هذه تعتبر سرية.

القول السادس /أنه زيادات يؤثر بها الإمام بعض الجيش لما يراه من المصلحة. لو رأى الإمام أنه يضع جوائز الذي يقتل كذا فله كذا وكذا ، الذي يتقدم في المقدمة سنعطيه كذا هذا لا حرج ، إذا رأى الإمام أنه يعطي بعض الناس ليس محاباة ومصالح لا ! بل من باب التشجيع وإذكاء الحماس والقوة في القلوب فهذا لا حرج.

قوله تعالى {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ } حرف الجر (عن) اختلف فيه على قولين :-

القول الأول /أنه زائد. وكلمة زائد حقيقة لا تجوز في القرآن الكريم ! لكن يقال (صلة) أما الزيادة لا تجوز هذا القرآن كلام الله جل وعلا ما فيه شيء زائد ، لا حرف ولا حركة ولا أي شيء ، هذا كلام الله لا يجوز أن يقال زائد وهذا تعبير يخطئ فيه بعض المفسرين عفا الله عنهم وإن شاء الله نحن نلتمس لهم العذر وإلا لو اعتقد أحد أن في القرآن شيء زائد

أو شيء ناقص هذا نعوذ بالله كفر وضلال{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)}. فلا يجوز أن يقال فيه شيء زائد لكن العلماء يقولون الأصوب أن يقال (صلة) إذ لا شيء زائد في القرآن وما يقع فيه بعض المفسرين يجب أن تعدل العبارة ، ما نسكت ! بل نعدل العبارة ونقول عفا الله عنهم ونلتمس لهم العذر أنهم أخطؤوا أو زل لسانهم أو تسرعوا أو كذا لكن من يعتقد هذا الشيء نعوذ بالله هذا كفر وضلال نسأل الله العافية . يعني يقول واحد احذفوا كلمة كذا هذه زائدة ، الحرفين هذه زائدة أعوذ بالله هذا كفر وضلال ،

- استطراد/ / ويذكرون في كتب التراجم جيء بزنديق إلى أحد خلفاء بني العباس لعله هارون الرشيد أو أبو جعفر المنصور أو المأمون وقالوا أنه يزعم أن في القرآن أشياء زائدة وكان يعتقد هذا اعتقاداً وهذا من الزنادقة فقال له الخليفة : أنت الآن لك عشرة أصابع لابد أن نقطع بعضها ، فقطع بعضها وقال أن لك يدين يكفي يد واحدة فقطع يداً ، الرجلين قطع بعضها وبدأ يقطع فيه حتى قتله لأن فعله هذا كفر وضلال ، والله أعلم بصحة هذه القصة لكن المقصود أنه لا يجوز أن يقال في القرآن شيء زائد.

القول الثاني /أنها أصل وليست صلة. فهم يسألون عن الأنفال وعن حكمها والسبب لأنها كانت حراماً على الأمم قبلنا ، يعني الصحابة كانوا يعرفون أن الأنفال حرامٌ على من قبلنا وكما قلت أنهم كانوا يجمعون الغنائم فتأتي نار فتحرقها ، أما ولله الحمد فمن رحمة الله بهذه الأمة ومن كرامتها ومن علوّ قدرها عند الله عز وجل أن الله أباح لهم الغنائم ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي .. وأحلت لي الغنائم)

- مسألة (١) اختلف العلماء هل هذه الآية منسوخة أو ناسخة ؟

والصحيح أنها ناسخةٌ من وجه ومنسوخةٌ من وجهٍ أخر ، يعني هي نَسَخَتْ شيئا وهي أيضاً نُسِخت فكيف ؟

هي ناسخة لأنها نسخت تحريم الغنائم الذي كان في شرع الأنبياء قبلنا ودلت على الإباحة لنا ، فهي ناسخة من هذا الوجه.

وهي أيضاً منسوخة لأن الله جل وعلا قال هنا {قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ } الآية دلت على أن الأنفال لله وللرسول ولكن نُسخ هذا في منتصف السورة في بداية الثمن الثالث بقول الله عز وجل {وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى} إلى ما سيأتي بيانه إن شاء الله.

مسألةٌ (٢) قال العلماء : يجوز النفل قبل إحراز الغنيمة كأن يقول الإمام من أصاب شيئا فهو له ، يعني هذا قبل إحراز الغنائم قبل أن تجمع الغنائم يقول الإمام : من قتل قتيلا فله سلبه ، من تقدم فصار في المقدمة فله كذا وكذا فقبل أن تجمع الغنائم نعم هذا يجوز ولا حرج فيه. لكن بعد إحرازها هل يجوز أو لا يجوز ؟ فيه قولان للعلماء :-

القول الأول /أنه يستحقه وبخاصة إذا نص الإمام عليه فقال مثلاً "من قتل قتيلا فله سلبه" ثم ترك المقاتل السيف وجاؤوا وجمعوه ووضعوه مع الغنائم ، هل يجوز أن يقول هذا السيف من شخص كنت قد قتلته ؟ على القول الأول يقول نعم يستحقه ،فيأخذ السيف أو الدرع أو الحربة أو الخوذة أو أي شيء من أدوات المشرك الذي قتله.

القول الثاني /قالوا لا يستحقه ما دام أنه دخل في ضمن الغنائم. مثلا قتل مشركاً وترك السيف جنبه ثم ذهب وقتل آخراً والمسلمون جمعوا الغنائم ومن ضمنها السيف ودخل في الغنائم هل يستحقها ! القول الثاني يقول لا يسحقها ! ولعل الأقرب هو القول الأول أنه يسحقها ما دام أن الإمام قال من قتل قتيلا فله سلبه.

يقول تعالى { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ } المراد : أنهما يحكمان فيها بما أرادا. أي أن حكم الأنفال

لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم يحكمان فيها وعلى المؤمنين السمع والطاعة.

قوله تعالى {فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ } (التقوى) أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه. وقد روي عن السلف رحمهم الله أقوال تشير إلى بعض أسس التقوى وقواعدها فهي ليست تعاريف لكنها تشير إلى بعض أسس التقوى وقواعدها :

كقول علي رضي الله عنه : "التقوى هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والقناعة من الدنيا بالقليل و الاستعداد ليوم الرحيل"

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : "التقوى أن يطاع الله فلا يعصى وأن يذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر"

وقال طلق بن حبيب رحمه الله : "التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخشى عقاب الله"

وقال الحسن البصري رحمه الله : "التقوى أن لا يفقدك الله حيث أمرك ولا يراك حيث نهاك"

هذه جملة من الأقوال عن السلف رحمهم الله تشير إلى بعض أسس التقوى وقواعدها .

قوله تعالى {فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ } (البَيْن) هو الوصل. كما قال تعالى {لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ} المقصود أي : اتقوا الله وأصلحوا ذات الوصل فيما بينكم ، فإنه لا يجوز هذا الشقاق وهذه القطيعة والنزاع من أجل هذه الغنائم ، والحمد لله الصحابة رضي الله عنه انصاعوا وائتمروا واجتمعوا على كتاب الله عز وجل وعلى هدي النبي صلى الله عليه وسلم ، قد يقول قائل لماذا الصحابة يختلفون هل هم يحبون الدنيا ؟ الصحابة بشر يعتريهم ما يعتري البشر رضي الله عنهم لكن لهم من الفضل المزية أمرٌ عظيم ، ثم أيضاً استجابوا لله وللرسول صلى الله عليه وسلم لم يترددوا ولم يتلكؤوا في السمع والطاعة لله وللرسول صلى الله عليه وسلم والإنسان معرض قد يزل قد يخطئ **والنبي صلى الله عليه وسلم يقول (كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)**

وهنا في هذه الآية {وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ } اختلف بالمراد بهذه الجملة على قولين أو على معنيين :-

القول الأول / أن يرد القوي على الضعيف. لا شك أنه في المعركة دخل من هم أقوياء ومن هم أقل قليلا فمن أخذ كثيرًا فليعطي هذا الضعيف قليلاً ، لابد أن يكون هناك كما يسميه العلماء (تكافل اجتماعي) صحيح ليس بمنطق الناس كلهم يكونون أغنياء ! كلهم أقوياء ! لا ، فيه قوي وفيه أقل من القوي ، فيه الغني وفيه فقير ، فالمفترض أن يرد الغني على الفقير والقوي على الضعيف.

القول الثاني / ترك المنازعة تسليمًا لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم. وقد فعل الصحابة رضي الله عنهم فقد ائتمروا وقد استجابوا لله وللرسول صلى الله عليه وسلم.

قوله تعالى {وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } أي : اقبلوا ما أمرتم به في الغنائم وغيرها وهذا هو الصحيح أن الآية عامة أي : اسمعوا وأطيعوا وائتمروا سواءً في شان الغنائم أو غيرها {إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} { إِن } أداة شرط ، { كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } فعل الشرط ، جواب الشرط : إن كنتم مؤمنين فالتزموا واسمعوا وأطيعوا. **(الشرح)** وهكذا ينبغي أن يكون المؤمن وهكذا كان الصحابة رضي الله عنهم. وعلى كل حال أن ما حصل من الصحابة رضي الله عنهم مع الغنائم وتلك الأنفال هذا أمرٌ يقع من البشر لكن العبرة ما كان لهم بعد ذلك ، كان لهم السمع والطاعة و الاستجابة والانقياد لأمر الله ولرسوله صلى الله عليه وسلم .

الحلقة (١٠)

موضوع الحلقة : تفسير الآيات ١٥ ، ١٦، ٣٨ من سورة الأنفال .

ذكرت في الحلقة السابقة أن سورة الأنفال سورة عظيمة فيها الحديث عن الجهاد في سبيل الله وفضل الجهاد وآداب الجهاد وشروط النصر على الأعداء ، وذكر حال النبي صلى الله عليه وسلم في مكة ، وفيها الأمر بالسمع والطاعة ، وفيها حكم الغنائم ، ومسائل كثيرة ، ولذلك كان المسلمون في أيام الجهاد في سبيل الله يقرؤون هذه السورة ليلة الجهاد ليلة الدخول في المعركة ويقرؤونها في مجالسهم ويتدبرون ويتأملون في آياتها فقد اشتملت على جملة من الأحكام

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (١٥) وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦) }

اشتملت هاتان الآيتان (١٥ -١٦) على أحكام مهمة بالنسبة للدخول في المعركة والخروج منها

يقول تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا} (الزحف) هم الجماعة يزحفون إلى عدوهم. و (التزاحف) هو التداني والتقارب. إذن {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا} يعني يتزاحفون ويتقاربون {فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ} (الأدبار) جمع دبر وهو مؤخرة الإنسان ، وقد يطلق على الخلف كله ، ولكن تخصيصه بهذا فيه تشنيع على من يفر من المعركة. **لذلك قال الزجاج :** "معنى الكلام إذا واقفتموهم للقتال فلا تدبروا" ، أي لا تفروا ولا تنكسوا.

ولذلك ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال **(اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا : وما هن يا رسول الله ؟ قال: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات)** معنى الموبقات كما ذكر شُرّاح الحديث أي : المهلكات ، فهذا يدل على شناعة هذا الجرم وأنه لا يجوز التولي يوم الزحف ومادام أن الإنسان دخل المعركة لا يجوز له أن يهرب من المعركة .

وقد ذكر العلماء في كتاب الجهاد أنه على نوعين :

(١) فرض عين (٢) فرض كفاية

ففرض الكفاية هو العام ، **وفرض العين في ثلاثة أحوال وأيضاً فيه تفصيل عند أهل العلم :-**

١. **الحالة الأولى** /عندما يتقابل الصفان. **(الشرح)** عندما يأتي جيش المسلمين ويأتي جيش الكفار لا يجوز لأحد أن يقول أنا أريد أن أذهب للبيت ! خلاص أنت وصلت وصلت ! أدخل في المعركة ، لا تُثبط المسلمين ، لا تكن عونًا على خذلانهم.

٢. **الحالة الثانية** /إذا استنفر الإمام الناس. **(الشرح)** إذا قال ولي الأمر : أيها الناس اخرجوا للجهاد في سبيل الله نمضي لقتال العدو فإذا طلب الإمام ، ولي الأمر-الحاكم- الخروج إلى الجهاد يجب السمع والطاعة له.

٣. **الحالة الثالثة** /أن يداهم العدو البلد. **(الشرح)** إذا دخل العدو البلد هنا يجب على كل إنسان أن يخرج يدافع عن بلده عن وطنه ولا يجوز له أن يرضى أن يدخل العدو في بيته ويقتله ويقتل أسرته وزوجته ونسائه ! لا ، هذا لا يجوز.

هذه ثلاثة أحوال كما قلت لها تفاصيل ولها ضوابط وشروط لكن هذه أحوال فرض العين ، يجب على الإنسان أن يثبت وأن يقاتل ولا ينكص على عقبيه ، أما الخروج للجهاد بدون إذن ولي الأمر هذا لا يجوز ، بعض الناس قد يخرج وقد يتأول في هذا لكن نقول هذا خلاف السنة وقد ذكر العلماء رحمهم الله أن الصحابة رضي الله عنهم ما كانوا يخرجون

ويجاهدون في سبيل الله إلا بإذن النبي صلى الله عليه وسلم ، ما كان يُعرف أن اثنين ثلاثة من الصحابة أو عشرة أو عشرين يركبون الخيول ويذهبون يجاهدون ! لا ، لابد بإذن وترتيب من النبي صلى الله عليه وسلم ، وهكذا نحن الآن نلتزم بكلام ولي الأمر ، إذا طلب منك ولي الأمر أن تجاهد فالحمد لله تذهب تجاهد ، وإن قال لك ولي الأمر : لا تخرج ، لا تتعدّ الحدود ، لا تخرج إلى مكان كذا وتجاهد فيه ، خلاص إلزم بيتك والحمد لله ، سل الله العافية ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في أيام المعركة قال (سلوا الله العافية) الإنسان مادام أنه ما ابتلي وما طُلب منه فـ (سل الله العافية) ، على كل حال هذه ثلاثة أحوال الجهاد فيها فرض عين ، والحالة التي قبلها فرض الكفاية وكما قلت أن هذا فيه كلام وتفصيل لأهل العلم ، لكن متى ما وجد فرض العين فلا يجوز أن تنكص على عقبيك ، لا يجوز أن تفر هارباً ، ومن ذلك حين يلتقي الصفان صف المسلمين وصف الكفار لا يجوز لك أن تهرب.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ} (١٥)

والتولي يوم الزحف -كما قلت- من كبائر الذنوب وقد جمعت في هذا الحديث مع الشرك بالله ومع السحر ومع قتل النفس ومع الربا ومع أكل مال اليتيم وهذا يدل على أن التولي يوم الزحف فيه خذلان وأنه جريمة ومنكر عظيم. والله المستعان

{وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} (١٦)

قوله تعالى {وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ} (يومئذ) أي يوم الحرب، يوم القتال.{إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ} استثنى الله هاتين الحالتين : أن يكون متحرفًا لقتال ، أو متحيزًا إلى فئة.

٨٨إعراب/ ونصبهما (متحرفًا) و (متحيزًا) فيه وجهان : قيل أنهما حال ، وقيل أنهما منصوبان على الاستثناء.

معنى المتحرف لقتال و المتحيز إلى فئة

- {إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ} المتحرف لقتال : هو الذي ينحرف ، يعني يخرج من الجيش إلى جهة أخرى ، يتحرف : يعني ينحرف يعني يخرج ، ويتجه وجهة أخرى مثل أن يوجه قائد الجيش الميمنة أو الميسرة أن يذهب مثلاً عشرين رجل يذهبون من وراء الشجر أومن وراء جبل ويأتون إلى العدو من الخلف فهذا لا حرج فيه ، لأنه نوع من التكتيك والتخطيط الحربي ، والحرب خدعة كما قال عليه الصلاة والسلام ولو انحرف يمينا أو شمالا أومن وراء شجر أو من وراء جبل حتى يأتي للعدو من الخلف أو يباغتوهم على الجانب فهذا لا حرج فيه
- {أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ } متحيزاً : أي ذاهباً مجتمعاً إلى فئة هذا أيضاً لا حرج عليه ، كمن يذهب ليساعد قطعة في الجيش في اليمين أو في اليسار تعاني من هجوم من الأعداء أو من ضراوة في الحرب فأراد عشرة ، عشرين أو هو وحده أو خمسة أن يذهبوا فيساعدوهم فلا حرج .

إذن إحدى هاتين الحالتين التولي يوم الزحف لا حرج عليه ، سواء كان متحرفًا لقتال لمصلحة أو خطة عسكرية من أجل أن يأتوا للعدو من الخلف أو يرعبوهم أو يرموهم بالسهام أو بغير ذلك هذا لا حرج فيه ، أو أن يكون متحيز إلى فئة يذهب إلى قطعة أخرى من الجيش في مكان آخر من أجل مساعدتهم ومعاونتهم فهذا لا حرج فيه و لا يدخل في الوعيد الشديد المرتب على فعل هؤلاء.

{فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ} (بـاءَ) أي : رجع.

الذي يهرب يوم الزحف ويتولى وليس هو متحرفًا لقتال ولا متحيزا إلى فئة هذا قد رجع بغضب من الله ، والغضب

صفة من صفات الله ومن آثارها الانتقام ، أما أن يفسر الغضب بأنه (إرادة الانتقام) هذا لا يجوز لأنه تأويل للصفات ، هذه الصفة فعليه أن الله جل وعلا يغضب على من يشاء من خلقه ، لكن لا يجوز أن تتأول بأنها (إرادة الانتقام) ، ولكن نقول من آثار غضب الله عز وجل العقوبة والانتقام والشدة و البطش.

{وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ} أي مرجعه إليها. {وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} بلا شك هذه الآية لا تدل على خلود هؤلاء في النار فلا يخلد في النار إلا الكافر ، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة أنه لا يخلد في النار إلا الكافر ، أما المؤمن فإنه لا يخلد في النار ، فعقيدة أهل السنة والجماعة أن صاحب المعصية ولو كبرت ولو عظمت فإنه بين أمرين : إما أن يعفو الله عنه من أول وهلة فيدخله الجنة ولا يدخله النار ، وإما أن يدخله النار بقدر ذنبه زمنًا الله أعلم به ثم يُخرج بعد ذلك ويدخل الجنة لكن لا يخلد في النار. {وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} يعني وبئس المرجع والمآب ، هنا توعد بأنه عليه غضب من الله وأن مأواه جهنم ، وبئس المصير.

هذه الآية ذكر بعض العلماء فيها خلاف :

القول الأول /من العلماء من قال : أن حكم هذه الآية خاص بأهل بدر.

أن مسألة التولي يوم الزحف واستثناء المتحرف والمتحيز خاص بأهل بدر .

القول الثاني /وقال آخرون : أنها على عمومها في كل منهزم ، **وهذا هو الراجح.**

نعم قد تكون الآية نزلت يمكن في أحوال بدر ، في معركة بدر وما بعدها لكن على كل حال هذا لا يدل على أنها خاصة بأهل بدر ، بل حكم الآية عام في أهل بدر وغيرهم

خلاصة :: أننا نقرر الآن أن التولي يوم الزحف من كبائر الذنوب ومن الموبقات المهلكات ، وأنه يجوز التولي في حالتين : متحرفًا لقتال أو متحيزًا إلى فئة هذا لا حرج فيه ، أما ما عدا ذلك فهذا حرام ولا يجوز ، وأن الثبات يوم الزحف وعند تقابل جيوش الإسلام وجيوش الكفر لابد من الثبات وأن الفرار هذا يُحدث هزيمة وضعف وانكسار بين صفوف المسلمين إلا كما قلت في هاتين الحالتين ، وأن هذا من فروض العين وذكرت أن فرض العين في ثلاثة أمور :

(١) عند تقابل الجيشين : جيش الإسلام وجيش الكفر

(٢) عندما يستنفر الإمام ، ولي الأمر ، الحاكم ، الناس فلينفروا

(٣) عندما يداهم العدو بلاد الإسلام -نسأل الله السلامة والعافية

{قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ (٣٨)}

هذه الآية آية عظيمة في معناها ومدلولها ، ففيها دعوة للكفار أن يدخلوا في دين الإسلام وأن يتركوا ما كانوا عليه ، وهذا قبل أن ندخل في مفردات الآية وفي جزئياتها ، فالإسلام ولله الحمد ليس دين إرهاب ولا دين يحب سفك الدماء ويتعطش إلى إزهاق الأنفس، بل هو دين سلام ودين رحمة وعدل {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (١٠٧)} الأنبياء والجهاد الذي شُرع في الإسلام شُرع بضوابط وبشروط ذكرها أهل العلم ، فنحن دائما ندعو الكفار إلى الإسلام ونحبب إليهم الدين ونحاورهم ونجادلهم بالتي هي أحسن ، بحكمة وأسلوب طيب مع محبة للخير ، فمثلا لو وجدنا يهوديا أو نصرانيا قلنا له ألا تحب أن تدخل في هذا الدين الذي كله خير وبركة و أبشر **بقول الرسول صلى الله عليه وسلم (ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين -وذكر منهم- رجل من أهل الكتاب كان على دينه ثم آمن بي)** فإنه يعطى أجره مرتين : يعطى أجره لما كان على اليهودية أو النصرانية ، ويعطى أجره لما دخل دين الإسلام ، لأنه لا يجوز له أن يبقى على دينه ، الله عز وجل

{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}، وقال صلى الله عليه وسلم (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار) ، لما بُعث النبي صلى الله عليه وسلم وجب على الناس جميعًا أن يؤمنوا به {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }.

لكن نحن بلا شك لا نلزم ولا نكره ولا نقهر الناس لأن الله عز وجل يقول {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}. لا يجوز أن يكره أحد ، ولم يُعرف في تاريخ المسلمين أنهم وقفوا بالسيف على أحد إما أن يسلم أو يقتل أو أرغموا الناس بالسيوف حتى يدخلوا في الإسلام ، بل كانوا فاتحين دعاة مصلحين مجاهدين في الخير إن رغب الإنسان أن يدخل في الإسلام فاللّهُمَّ لك الحمد ، بل وقد نبغ جملة من العلماء في شتى الفنون وهم ليسوا من العرب ودخلوا في الإسلام عن طواعية وعن محبة ، ومع ذلك نعتقد أنه لا يجوز أن يبقى الإنسان على دينه لأن هذا الدين لا يُقبل عند الله عز وجل {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ} بدلالة الآية والحديث الآخر (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار) والله جل وعلا قد أخذ الميثاق على الأنبياء لئن بعث النبي صلى الله عليه وسلم وهم أحياء {لَيُؤْمِنُنَّ بِهِ} وقد أخذ الأنبياء هذا الميثاق على أقوامهم أنه لو بعث النبي وهم أحياء لابد أن يؤمنوا به ويتركوا دينهم ويدخلوا في دين الإسلام ، ولكن كما قلت بدون إلزام وبدون إكراه ولا تضييق على الناس

{قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ}

سبب نزول هذه الآية /قيل أنها نزلت في أبي سفيان وأصحابه ، وأبي سفيان ممن تأخر إسلامه ومع ذلك أسلم عن طواعية وعن محبة ، وبَذَل ما بذل وكان يقول هو وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وكانوا ممن تأخر إسلامهم : "والله دينار أنفقناه ضد الإسلام سننفق مثله وأكثر ، وكل معركة دخلناها ضد الإسلام سندخل معارك في صف الإسلام وأكثر" وبالفعل صدقوا ما عاهدوا الله عليه رضي الله عنهم وأرضاهم ، على كل حال الآية عامة وإن كان سبب نزولها فيهم.

{قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ} في معناها قولان :-

القول الأول /أي إن ينتهوا عن المحاربة يُغفر لهم ما قد سلف من حربهم فلا يُؤاخذون به. **(الشرح)** هم قتلوا من قتلوا من الصحابة لكن الحمد لله دخلوا في دين الإسلام و الإسلام يـجُبّ ما قبله ، والتوبة تـجُبّ ما قبلها ، نعم حصل ما حصل وإذا انتهوا فما مضى يغفر لهم برحمة الله.

القول الثاني /أي إن ينتهوا عن الكفر يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين عليهم بالعذاب المستأصل. **(الشرح)** القول الثاني أعم من القول الأول ، والرسول صلى الله عليه وسلم قال لعمرو بن العاص (وأن الإسلام يجب ما قبله) لأنه أراد أن يبايع النبي صلى الله عليه وسلم فكف يده ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : لماذا؟ قال يا رسول الله : أريد أن أشترط ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : ماذا تشترط ؟ قال : أشترط أن يُغفر لي ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم (ألم تعلم أن الإسلام يجبّ ما قبله وأن التوبة تجبّ ما قبلها وأن الحج يجبّ ما قبله) فبايع النبي صلى الله عليه وسلم ، والقصة معروفة وقد رواها الإمام مسلم في صحيحه في أول الصحيح في كتاب الإيمان.

- على كل حال هذان قولان سواء : إن ينتهوا عن الحرب والقتال يُغفر لهم ما قد فعلوه من الحرب وقتال الصحابة.

أو إن ينتهوا عن الكفر ويدخلوا في الإسلام يُغفر لهم ما قد حصل منهم. والله جل وعلا يقول {أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}، الله يعرض التوبة والمغفرة والرحمة حتى للكافر.

قوله تعالى {وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ} (سنة الأولين) أي سنة الله في الأمم السابقة حين أخذوا بالعذاب وبالعقوبة الشديدة.

وهذه الآية {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ} -كما قلت- دعوة لهؤلاء الكفار أن يدخلوا في دين الإسلام وأن ينعموا بنعمة هذا الدين فإنه لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، ومع ذلك نحن لا نُكره ولا نلزم أحدًا ، ولا يُعرَف في تاريخ المسلمين أنهم أشهروا السيف في وجه فلان أو فلان وقالوا أدخل في الإسلام وإلا قطعنا رقبتك ، بل نحاور أصحاب الديانات الأخرى ونجادلهم بالتي هي أحسن ، ونوضح لهم محاسن الإسلام ومزاياه ، وننفي عنه التهم التي ألصقت به وهو بريء منها.

الحلقة (١١)

موضوع الحلقة تفسير الآيات ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ من سورة الأنفال

{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩) وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٤٠) وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}

سبق لي حديث في الحلقة السابقة عن دعوة الكفار إلى دين الإسلام بالأسلوب الحسن وبالحكمة وبالموعظة الحسنة ، دون إكراه ولا تكليف وهذا ولله الحمد ما سار عليه المؤمنون قديمًا وحديثاً {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} ، وأن واجب المسلم هو بيان محاسن الإسلام وأحكامه الغراء ودعوته الربانية ، وأن ينفي عنه ما أُلصق به من تهم الإرهاب أو أنه يهضم حقوق الإنسان أو أنه يهضم حقوق المرأة فهذا غير صحيح ، فالإسلام هو الذي أعلى حقوق الإنسان وأعلى حقوق المرأة وما حصل من أخطاء أو من زلات قد يقع فيها بعض المسلمين هداهم الله الإسلام بريء منها ، فكل إنسان يتحمل خطأه لذلك قال العلماء : "الدين لا يقاس بالرجال" ، الرجال هم الذين يقاسون بالدين فمن أخطأ يتحمل خطأه والإسلام بريء منه.

{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩)}

قوله تعالى { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ} (الفتنة) المراد بها الشرك

وكلمة **(الفتنة)** جاءت كثيرًا في القرآن سواء بهذه الكلمة أو ما يشتق منها ، مادة (فتن) جاءت في القرآن في أساليب وفي مواضع كثيرة ولها معان متعددة ، قد يراد بها القتل ، قد يراد بها الشرك ، قد يراد بها الافتتان بالدنيا ، قد يراد بها أشياء كثيرة ، والعلماء اجتهدوا في جمع هذه الكلمة ودراستها ، فهناك كتب مثل (الفتنة في ضوء القرآن الكريم) ، (التحذير من الفتنة في ضوء القرآن الكريم) كتب ألّفت في هذه الكلمة ، لأن لها مدلولات عظيمة : فتنة الشبهات ، فتنة الشهوات.وفي الآية {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ} أي : الشرك ، أي حتى لا يُفتن الناس فتنة الشرك ، ودل على هذا قوله تعالى {وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ}.

قوله تعالى {وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} في سورة البقرة { وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ } وهنا في سورة الأنفال {وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} ينبغي لمن يحفظ القرآن أن يجمع بين المتشابهات حتى يضبط حفظه .

قوله تعالى {فَإِنِ انْتَهَوْا} أي عن الكفر والقتال. {فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} فيه إثبات البصر لله سبحانه وتعالى وأنه لا يخفى عليه شيء ، وهذا يضفي على المؤمن وعلى غيره أيضاً الخوف من الله جل وعلا ، والرقابة ، والمحاسبة ، و أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ، كما قال القائل :

إذا ما خلوت بريبة في ظلمة .. والنفس داعية إلى الطغيان

فاستح من نظر الإله وقل لها .. إن الذي خلق الظلام يراني

{وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٤٠)}

قوله تعالى {وَإِنْ تَوَلَّوْا} يعني أعرضوا عن الإيمان وعادوا إلى القتال، نحن لا نُلزم لكن لو فرضنا أنهم تولوا فأعرضوا عن الإيمان وعادوا إلى القتال.

{فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ} ما جاء الكلام لهم ، بل الكلام لنا نحن المؤمنون ، الخطاب موجه للمؤمنين.

معنى (مَوْلَاكُمْ) أي : وليّكم ومؤيدكم و ناصركم على عدوكم . والولاية تتضمن النصرة على الأعداء والحفظ والتأييد من الله تبارك وتعالى ، ومن كان الله معه فممَّ يخاف ! {إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ (١٦٠)}، إذا كان الله جل وعلا هو الناصر لعبده ومؤيده فممّ يخاف وممّ يقلق !

{نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ} أي نعم الوليّ ونعم الناصر ، مثل قول العرب قدير وقادر ، وسميع وسامع .

{وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤١)}

إن كنتم تذكرون أيها الأخوة والأخوات أنا كنت أشرت إلى أن قول الله تعالى في أول سورة الأنفال {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ (١)}، قلت أنها ناسخة من وجه ، ومنسوخة من وجه آخر ، فهي ناسخة لتحريم الغنائم على من قبلنا ، كانت الغنائم محرمة على من قبلنا وجاءت هذه الآية تبين حلها ولله الحمد ، وتلك الآية منسوخة أيضاً بهذه الآية التي سنتدارسها الآن {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ} فهذه الآية ناسخة ، لأن تلك الآية {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ (١)} يعني أن حكمها لله وللرسول ، وجاء بيان هذا الحكم ونُسخ بهذه الآية ، **وهي تشتمل على جملة من المسائل و الأحكام والمفردات التي سوف نتدارسها إن شاء الله .**

أولا / العلماء يتكلمون هل الغنيمة والفيء شيء واحد؟ أم أن الغنيمة شيء والفيء شيء آخر لأنه جاء الكلام عن الغنائم في سورة الحشر {مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ (٧)} مثلاً ، فهناك جاء حديث عن الفيء وهنا حديث عن الغنائم **فهل الغنيمة والفيء شيء واحد؟ أم أنهما يختلفان؟ اختلف في هذا على قولين :**

القول الأول / أنهما يختلفان. **وهذا القول هو الصحيح .**

ما الخلاف بينهما؟ ما الفرق بينهما؟ اختلف فيه أيضاً على قولين:

- **القول الأول : أن الغنيمة** ما ظُهِر عليه من أموال المشركين ، **والفيء** ما ظُهِر عليه من الأرضين. **(الشرح)** يعني أن الغنيمة مرتبطة بالمال ، والفيء بالأراضي . يعني ما ظَهَرَ المسلمون على المشركين من أموالهم هذا يعتبر غنيمة ، وما ظَهَرَ المسلمون عليه من المشركين في أراضيهم هذا يعتبر فيئًا. فالغنيمة شيء ، والفيء شيء آخر.
- **القول الثاني : أن الغنيمة** ما أُخذ عُنوة -يعني بعد جهاد وقتال ومعارك يُحصّلون شيئًا- **والفيء** ما أُخذ عن صُلح - مثل ما حصل للرسول صلى الله عليه وسلم مع يهود بني النضير أخذ ما معهم وخرجوا- **بعض العلماء أدخل في الفيء :**

الجزية ، والعشور ، وأموال المهادنة والصلح ، وما هربوا عنه ، **وهذا القول هو الأعم وهذا هو القول الراجح في التفريق بين الغنيمة والفيء.**

القول الثاني /أنهما شيء واحد ، وهو كل ما حُصِّل من المشركين. كل ما حصل من المشركين يسمى غنيمة ويسمى فيء دون تفريق بينهما. **لكن هذا قول مرجوح.**

والقول الراجح أن الغنيمة شيء وأن الفيء شيء آخر ، **وأن الراجح في التفريق بينهما** أن الغنيمة : ما أخذ عنوة – بعد قتال ومعارك وجهاد في سبيل الله – وأن الفيء : ما حُصّل بدون عنوة إما بصلح أو عن طريق الجزية ، أو أموال المهادنة أو ما هرب عنه المشركون وتركوه دون قتال.

{وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤١)}

قوله تعالى {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ} {شَيْءٍ} نكرة وتشمل كل ما وقع عليه اسم الشيء (أي شيء) . **قال مجاهد رحمه الله :** "المخيط من الشيء" المخيط الذي يخاط به الكيس هذا أيضاً شيء فيدخل في الغنائم ، لا يجوز للإنسان أن يأخذه ، إذن {شَيْءٍ} نكرة وهي عامة ، والنكرة تدل على العموم كما لا يخفى عليكم. فهي تدل على عموم أي شيء ، ما يطلق عليه اسم (شيء) فهو يدخل في الغنائم.

قوله تعالى {فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ} أُختلف بمراد هذه الآية على قولين :-

القول الأول /أن نصيب الله مُستحَقٌ يُصرَفُ إلى بيته ، والمقصود به أن هذا الخمس يذهب به إلى الكعبة ، هذا الخمس يصرف لبيت الله وهو الكعبة (المسجد الحرام) ، وقد ذكروا أن هذا كان يُعمل به ، على من يرى هذا القول يُصرَف هذا الخمس على البيت الحرام ، ينفق في عمارته وفي إصلاحه وفي الكعبة وما يرتبط بها.

القول الثاني /**وهو قول الجمهور والتوجيه الصحيح** أن ذكر {الله} هنا لأحد وجهين :

التوجيه الأول : أنه هو المتحكم فيه والمالك له ، والمعنى : فأن للرسول خمسه ولذي القربى. الله هو الذي يحكم أن هذا يأخذ كذا وهذا لا يأخذ كذا

التوجيه الثاني : أن يكون المعنى : أن الخُمُس مصروف في وجوه القُرَبِ إلى الله تعالى ،

(شرح القول الثاني) بعض العلماء يرى أن الواو هنا صلة ، يعني : فأن خمسه لله و للرسول ، فيكون هنا خمسة ولا يكون ستة[1] ، أي أنه يتصرف فيه الرسول صلى الله عليه وسلم وينفقه في وجوه القرب. مثل قوله تعالى {فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) } ، التقدير : فلما أسلما وتله للجبين ناديناه.

على كل حال هذا هو التوجيه الصحيح {فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ}

<< مصارف الغنيمة

هنا أيها الأخوة والأخوات ذكر الله جل وعلا مصارف الغنيمة كيف تُقسَم

أجمع العلماء على أن أربعة أخماس الغنيمة لأهل الحرب المجاهدون الذين حضروا المعركة ، أما الخمس الخامس فهو الذي فيه الكلام الآن.

---

[1] / يقصد الأستاذ بالستة المذكورين في الآية {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ (٤١)} الأنفال

الغنيمة تقسم على خمسة أخماس ، أربعة أخماس هذه يأخذها من حضر المعركة ، المجاهدون في سبيل الله يقتسمون أربعة أخماس ، ويبقى لنا خمس هذا الذي فيه الكلام الآن. فيه ثلاثة أقوال :

القول الأول /أنه يقسم منه لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولمن ذُكر في الآية ، فيكونون على ستة أسهم : لله ولرسوله ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل. وهذا قول انفرد به أبو العالية وهو قول مرجوح ضعيف.

القول الثاني /أنه يقسم على خمسة أسهم : سهم للرسول صلى الله عليه وسلم ، وسهم لذوي القربى ، وسهم لليتامى ، وسهم للمساكين ، وسهم لأبناء السبيل على ظاهر الآية. **وهذا هو قول الجمهور**. يعني أن الله ليس له فيه شيء وإنما هو المالك والمتصرف فيه سبحانه وتعالى. **وهذا قول الجمهور هو الراجح .**

القول الثالث /أنه يقسم على أربعة أسهم : فسهم الله عز وجل ورسوله عائد لذوي القربى ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يأخذ منه شيئا ، فكان سهمه يصرفه في مصالح المسلمين. أي أن سهم رسول الله ساقط لأنه ما كان يأخذ منه شيئا وإنما يذهب لذوي القربى. وهو قول مرجوح.

{وَلِلرَّسُولِ} سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصرِّفه في مصالحه أو مصالح المسلمين ، والله أعلم.

{وَلِذِي الْقُرْبَىٰ} اختلف في المراد بـ(القربى) هنا على ثلاثة أقوال:-

القول الأول /أنهم جميع قريش.

القول الثاني /أنهم بنو هاشم وبنو المطلب وهذا هو الصحيح الذي رجحه العلماء.

القول الثالث /أنهم بنو هاشم فقط

{وَالْيَتَامَىٰ} (اليتامى) جمع يتيم ، والمقصود به : من مات أبوه قبل البلوغ. أما من ماتت أمه فلا ارتباط لنا به ، **اليُتْم الشرعي هو** /من مات أبوه قبل البلوغ أو من مات أبوها قبل البلوغ. أما من ماتت أمه فليس بيتيم ، نعم في كلام العرب أنه في الإنسان من مات أبوه ، وفي الحيوان من ماتت أمه ، لكن نحن ارتباطنا الآن بالحقيقة الشرعية ولسنا مرتبطين بالحقيقة اللغوية ، بعض الناس مثلا إذا ماتت أمه قالوا والله فلان يتيم مسكين ماتت أمه ! هذا كلام عام بين الناس لكن الكلام الشرعي الذي نحن مرتبطون به هو اليُتْم الشرعي وهو /من مات أبوه قبل البلوغ.

وفي مسألة الغنائم متى يعطى اليتيم من الخمس اشترطوا له أربعة شروط :-

الشرط الأول : موت الأب ، وإن كانت أمه باقية. - وهذا شيء معروف -

الشرط الثاني : الصغر ، لقوله صلى الله عليه وسلم (لا يتم بعد احتلام) رواه أبو داوود.

الشرط الثالث : الإسلام. لأن الغنيمة للمسلمين ، فلو كان كافرا محتاجا لا يعطى.

الشرط الرابع : الحاجة ، فإن كان اليتيم أبوه غنيا وترك له تركة وعقارات وخيرات وأرزاق لا يعطى لأن هذا المال أُعدّ للحاجة والمصلحة

{وَالْمَسَاكِينِ} جمع مسكين وهو الفقير المحتاج ، ومأخوذ من المسكنة ، أي أسكنته الحاجة وأذلته. والعلماء يذكرون فروقا بين المسكين والفقير : وبعضهم يرى أنه إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا. و هذا سيأتي عليه الكلام عندما نتكلم عن مصارف الزكاة في سورة التوبة إن شاء الله تعالى {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ (٦٠)}

{وَابْنِ السَّبِيلِ} أي عابر الطريق الذي انقطع به الطريق. (السبيل) أي : الطريق ، و جُعِل ابنا للسبيل لأنه يلازمه ويمشي فيه. والمقصود عابر الطريق الذي انقطع به السفر فإنه يعطى من خمس الخمس من الغنائم. واحد مسكين انقطع

به الطريق ويكاد يهلك يعطى من هذا الخمس.

{إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ} يعني أن من يعمل بهذه الأحكام ويلتزمها المؤمن حقا "آمنا بالله وصدقنا" ، " سمعنا وأطعنا" هكذا المؤمن يسمع ويطيع ويؤمن ويصدق بكلام الله عز وجل.

{وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا} يعني كلام الله عز وجل المُنْزل على نبينا صلى الله عليه وسلم هو القرآن ، وهنا وُصِف الرسول صلى الله عليه وسلم بالعبودية وهو أشرف الأوصاف ، ولذلك قال الشاعر:-

ومما زادني شرفا وتيـــــها ... وكدت بأخمصي أطأ الثريـــا

دخولي تحت قولك يا عبـــادي ... وأن صيرت لي أحمد نبيـــا

فالعبودية من أشرف الأوصاف وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم بها في مقامات {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا (١)}، {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ (١)}. {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ(١٩)}.

{يَوْمَ الْفُرْقَانِ} هو يوم بدر، سمي بالفرقان لأنه فُرّق فيه بين الحق والباطل بنصر منه ، ولا شك أن بدر الغزوة الكبرى وهي الفاتحة الكبرى والتي أعليَ فيها شأن المؤمنين واندحر فيها الكفار ، فالمفترض أن المؤمن بالله وبهذا القرآن أن يلتزم وأن يسمع ويطيع وأن يأخذ بحكم الله في الغنائم وفي غيرها

{يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ} المقصود بـ(الجمعان) أي جمع الكفار بقيادة أبي جهل ومن معه من صناديد قريش ، وجمع المؤمنين بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم. (يوم التقى الجمعان) : يعني التقيا في موقعة بدر وهو مكان بين مكة والمدينة وهو الآن مكان معروف وحتى مكان المعركة لا يزال معروفًا. {وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}

الحلقة (١٢)

موضوع الحلقة : تفسير الآيات ٤٥، ٤٦، ٤٧ من سورة الأنفال

لا أزال أُذكِّر بأن سورة الأنفال سورة عظيمة اشتملت على أحكام الجهاد والحث عليه والترغيب فيه وذكر أحكامه وآدابه ، وذكر صور من موقعة بدر ، وبعض أحوال النبي مع كفار قريش ، وغير ذلك من المسائل ، والآيات التي معنا اليوم تحكي جملة من الأسباب المعينة على النصر على الأعداء :

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٤٧)}

كما تلحظون هذه الآيات الكريمات الثلاث اشتملت على جملة من الآداب والأسباب التي يجب أن يلتزمها المجاهدون في سبيل الله ومنها ما يلتزمه المؤمن على وجه العموم . فنزدلف على بركة الله لنفسر ونتأمل هذه الآيات الكريمات

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥)}

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً} (الفئة) هي الجماعة {فَاثْبُتُوا} هنا أمر بالثبات والصبر وعدم التزعزع والشجاعة.

{وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا} اختلف في المراد بـ(الذكر) هنا على قولين :

القول الأول /أنه الدعاء بالنصر

القول الثاني /أنه ذكر الله على الإطلاق. **وهذا هو الصحيح** ، كأن يقول "الله أكبر" ، "اللَّهُمَّ انصرنا" ، أو يقرأ آيات ، وهذا القول يدخل فيه الدعاء لأن الدعاء نوع من أنواع الذكر : تلاوة القرآن ، التسبيح ، قول "الله أكبر" أو نحو ذلك من

العبارات

{لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } **الفلاح في اللغة**: هو بمعنى الشق ، ويطلق أيضاً بمعنى الفوز ، والسعادة ، والظفر ، والبقاء. يقولون أن الفلاح يأتي على عدة معاني : الفوز ، السعادة ، الظفر ، البقاء. وفي القرآن جاءت كلمتا الفوز والسعادة ، أما الظفر والبقاء ما جاءت في القرآن الكريم.

الفلاح اصطلاحًا : هو الفوز بالمطلوب (وهي الجنة) ، والنجاة من المرهوب (وهي النار)

والحديث عن الفلاح في القرآن جاء في مواضع كثيرة : ذكر صفات المفلحين ، وصفات من حُرموا الفلاح ، ومن ذلك أننا نقول : أن الثبات تجاه الأعداء ، وأن ذكر الله عز وجل والإكثار منه من أسباب الفلاح ، من أسباب الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة

ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم (لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله) ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "المؤمن مع الذكر كالسمك مع الماء" ، هل يمكن أن يعيش سمك بدون ماء ! لا والله ! إذن المؤمن الصادق لا ينعم ولا يرتاح ولا يطمئن إلا بذكر الله جل وعلا ، وصدق الله { وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا (١٢٤) }، بعض الناس قد يقول أعاني من كآبة أو ضيق أوهم أو قلق فنقول له : لعلك تركت شيئًا مهما وهو ذكر الله فهناك أذكار الصباح ، وأذكار المساء ، دعاء دخول البيت والخروج منه ، ودعاء دخول المسجد ،والخروج منه ، ودعاء دخول السوق ، ودعاء دخول الخلاء والخروج منه ، وذكر الله على وجه العموم ، فلا يحرم الإنسان نفسه الخير. **يقول ابن القيم رحمه الله :** "كنا إذا أردنا أن نتحدث مع شيخ الإسلام – وهو شيخه – بعد الفجر أو بعد المغرب يقول انتظروا قليلا ، لماذا ؟ قال : هذه غدوتي و هذه عشوتي" أي هذا غدائي وهذا عشائي وهو ذكر الله عز وجل ، فكيف بهذا المؤمن يفرط في الذكر ويحرم نفسه الفضائل والخيرات التي وعد بها من الله عز و جل ! إذن الذكر سبب من أسباب الفلاح ، وسبب نعيم القلب وطمأنينته وراحته ومتى ابتعد عن ذكر الله تكالبت عليه الهموم والغموم {وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦)}.

{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦)}

ثم قال تعالى{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ} **أيضاً** من أسباب النصر على الأعداء طاعة الله ورسوله {إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧)} ، كيف نصرة الله ؟ بإتباع دينه والتزام شرعه ، وموالاة المؤمنين ومعادة الكافرين ، تحقيق عقيدة الولاء والبراء حسب النصوص الشرعية وكلام أهل العلم ، فهذه أيضاً من أسباب النصر {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ }

ثم قال تعالى {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا} (التنازع) هو الاختلاف والشقاق. ولا شك أن الخلاف كله شر ، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : "الخلاف شر، الخلاف شر إني اكره الخلاف" . ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "الاجتماع رحمة والفرقة عذاب" ، ولا شك أن من أسباب هزيمة المسلمين هو شقاقهم واختلافهم ونزاعهم ، اذن { وَلَا تَنَازَعُوا} تحذير من الشقاق ولذا قال الله جل وعلا {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ (١٠٣)} ، فالشقاق بمعنى الخلاف والمنازعة لا خير فيه.

{فتفشلوا} أي تـجبنوا وتتأخروا في القتال وتهزموا في هذه المعركة. إذن (الفشل) الجبن والخور والهزيمة والتأخر في هذه المعركة.

{وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ } المراد بهذه الجملة أقوال :-

القول الأول /تذهب شدّتكم وحدّتكم وصولتكم وقوتكم. **وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما**

القول الثاني /أن المراد يذهب نصركم. **قاله مجاهد وقتادة .**

القول الثالث /أن المراد تتقطع دولتكم.

وكلها أقوال صحيحة

القول الرابع /أنها ريح حقيقية. ويقول المفسرون : أنه لم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها الله فتضرب وجوه العدو ، ومنه **قوله صلى الله عليه وسلم : (نُصرت بالصبا وأُهلكت عاد بالدبور)** . أي أنها ريح حقيقية ينصر الله بها المسلمين ، ريح تضرب وجوه العدو وتكون بالنسبة للمؤمنين لطيفة ومعينة لهم في النصر على العدو

{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٤٧)}

{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ} قال المفسرون : المراد بهؤلاء {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ} من هم ؟ هم أبو جهل ومن خرج معه من مكة ، خرجوا ليدفعوا عن عيرهم التي كانت مع أبي سفيان ومعهم القيان والمعازف وهم يشربون الخمر ، ولما عرف أبو سفيان أنه نجا كتب إليهم قال : "ارجعوا" ، أنتم كنتم تخافون على العير وما فيها من الخيرات والأرزاق التي قدمت بها من الشام ! أنا الآن أخذت طريق الساحل وخلاص ! ارجعوا إلى مكة ! فقال أبو جهل : لا ، لا نرجع حتى نقيم في بدر ثلاثة أيام ننحر الجزور ، ونشرب الخمر ، وتضرب علينا القيان ، وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا. قالوا : لا ، لابد نطلع بقوة وبشدة أمام الناس ، وإلا أبو سفيان قال "ارجعوا" أنتم خرجتم تحمون عيركم فلا داعي ، كان أبو جهل يقول : لا ، حتى نرد بدرًا فنقيم ثلاثًا ننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا ، بلا شك أنهم بدل أن يسقوا كؤوس الخمر سقوا كؤوس المنايا ، وهزموا في تلك المعركة وناحت عليهم النوائح مكان القيان ، وهذا من الكبر والغطرسة قالوا هذا الكلام ، بدل ما يسقون الناس الخمر سقوا كؤوس المنايا ، يعني الموت (قُتلوا) قتل من المشركين في تلك المعركة عدد كبير يقارب السبعين وأسر منهم سبعون .

{بَطَرًا} (البطر) هو الطغيان في النعم وترك شكرها. فهم قالوا سوف نخرج بطرًا ورئاء الناس ، تضرب علينا القيان ونشرب الخمر ونطعم الطعام وننحر الجزور ، بطر !.

{و رِئَاءَ النَّاسِ} (الرياء) العمل من أجل رؤية الناس. وهذا صرحوا به قالوا : لا تزال تسمع بنا العرب فتهابنا، أرادوا أن يظهروا قوتهم ومكانتهم وهذا بلا شك من الصلف والعناد.

{وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} المقصود : عن دين الله وهو الإسلام. {سَبِيلِ اللَّهِ} هنا المراد به : دين الإسلام.

{وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} الله جل وعلا لا يخفى عليه شيء من أمرهم ، بل أذلهم الله وأهانهم وهزموا شر هزيمة ، وقتلوا مقتلة عظيمة في معركة بدر ، كما قلت صناديدهم وكبراؤهم : أبو جهل ، وعقبة بن أبي معيط ، وعتبة ، وشيبة ، وجمع كبير من المشركين قتلوا في تلك المعركة ، سقوا كؤوس المنايا بدل كؤوس الخمر ، وناحت عليهم النوائح بدل عزف القيان ، والأمر لله من قبل ومن بعد

نرجع إلى هذه الآيات الكريمات الثلاث لنستنبط **أسباب النصر على الأعداء :-**

أولا : الثبات حال المعركة. ولذلك نُهي عن التولي يوم الزحف ، وقد تكلمت في الحلقة السابقة عن التولي يوم الزحف وقلت أنه من كبائر الذنوب ويدل على ذلك قول الله عز وجل {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا

تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (١٥) وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦)} ، إلا في حالتين : أن يكون متحرفًا لقتال أو متحيزًا إلى فئة. وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (اجتنبوا السبع الموبقات) قالوا : وما هن يا رسول الله ؟ قال (الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات) فانظروا كيف أنه جُعل التولي يوم الزحف مع هذه الموبقات ، مع الشرك ومع السحر مما يدل على خطورته ، إذن من عوامل النصر على الأعداء : الثبات وعدم النكوص على الأعقاب.

ثانيًا : ذكر الله عز وجل ذكرًا كثيرًا. ونحن ذكرنا هل المراد به الدعاء بالنصر على الأعداء أم المراد به عموم الذكر؟ **الصحيح أنه عموم الذكر** ، ولا شك أن إشغال النفس بالذكر ورفع الصوت به يضفي على النفس طمأنينة وهدوءًا وسكينة ، ويلقي الرعب في قلوب الأعداء.

ثالثًا : طاعة الله عز وجل ، وطاعة ورسوله صلى الله عليه وسلم. فهي من العوامل المهمة في النصر على الأعداء عمومًا {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧)}

رابعًا : الحذر من التنازع {وَلَا تَنَازَعُوا} والحذر من الاختلاف والشقاق ، فإنه متى وجد التنازع والشقاق فحدث ولا حرج من الهزيمة ومن النكوص على الأعقاب ! وكم حصل – للأسف – في تاريخ المسلمين بعض المعارك والغزوات هزموا فيها والسبب هو الشقاق والخلاف بين المسلمين أنفسهم سواء في أثناء المعركة أو قبلها ، و قد بعضهم يستعين بالعدو على قتل أخيه وينصره على قتل أخيه – وللأسف – هذا من أسباب هزيمة المسلمين وإعمال العدو فيهم القتال.

خامسًا : الأمر بالصبر. ولا شك أن الصبر مقام عظيم من مقامات الدين، {وَاصْبِرُوا} المسألة ليست لعب ! أو مراوغة ! هذا قتل ! لابد الإنسان يصبر ويحتسب الأجر عند الله عز وجل ، والصبر كما قلت مقام عظيم ، الدين نصف صبر ونصف شكر ، والله جل وعلا هنا يقول {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦)} ، الله جل وعلا جعل لهم المعية وهي معية خاصة ومن مقتضياتها النصرة والتأييد والحفظ والإعانة ، إذن لابد من الصبر ، وألا ننكص على الأعقاب ، وجاء الحديث عن الصبر في مواضع كثيرة من القرآن يذكر بعض أهل العلم أنه ذكر في أكثر من تسعين موضعًا {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠)}

سادسًا : أن لا يكون الخروج للجهاد في سبيل الله بطرًا. أي تكبرًا وطغيانًا ، بل يكون من أجل إعزاز هذا الدين ونشره بين العالمين ، ملتزمين آداب الجهاد حسب ما دلت عليه السنة فلا يقتل وليدًا ولا يخرب ولا يهدم صومعة ولا يقتل شيخًا ولا يقتل النساء ، إلى جملة من الآداب مما تضمنها حديث بريدة بن الحصين رضي الله عنه.

سابعًا : أن يكون الجهاد خالصًا لله ، لا يكون رئاء للناس وطلبا للسمعة وطلب الشهرة بين الناس ، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن أول من تسعر بهم النار ثلاثة ، وذكر منهم : (رجل قاتل فقتل فيؤتى به يوم القيامة فيقال : لماذا قتلت أو كيف قتلت ؟ فيقول : قتلت في سبيلك فيقال : لا، بل قاتلت ليقال شجاعًا فقد قيل ثم يؤمر به إلى النار) ما قاتل لأجل الله وإنما قاتل لأجل الشجاعة والذكر ورئاء الناس !

ثامنًا : أن يكون الجهاد من أجل الدين. من أجل إعزاز كلمة الله عز وجل ، من أجل رفع الحق ، لا أن يكون لأغراض شخصية أو لأهداف ونزوات معينة ، لا ، بل يكون الجهاد – إذا كنا نريد النصر على الأعداء – أن يكون لله عز وجل ، لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الكافرين هي السفلى هذا هو الصحيح ، أما أن يكون الجهاد لأغراض شخصية أو

انتقامات ونحو ذلك هذا ليس في دين الله من شيء ،

الجهاد معروف ولله الحمد بضوابطه وبشروطه وبغاياته النبيلة ، وكما قلت وأعيد وأكرر الإسلام لا يتشوف إلى سفك الدماء وإلى قتل الناس ، وهذه كانت دعوة النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى الإسلام يتقبلونه ، تُوضح تعاليمه ، شرائعه ، آدابه ، محاسنه ، يُنفى ما ألصق به من تهمة الإرهاب ولا يلزم أحد في أن يدخل الإسلام {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ (٢٥٦) } ، ولا يُعرف كما قلت أن المسلمين أشهروا السيف في وجه شخص وقالوا : أسلم وإلا نقتلك ، هذا لم يكن معروفاً ولا يُعرف ولله الحمد ، إن قبلوا فالحمد لله ، وإن لم يقبلوا فيبقوا وتؤخذ منهم الجزية وهذه أيضاً لها أحوالها ، وإن عاندوا وقاتلوا فهكذا يدافع المسلمون ويقاتلون بالجهاد الشرعي بأصوله وضوابطه.

الحلقة (١٣)

موضوع الحلقة تفسير الآيات ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ من سورة الأنفال.

{إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٥) الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (٥٦) فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٥٧)}.

سبق القول أن سورة الأنفال اشتملت على كثير من الأحكام والآداب المرتبطة بالجهاد في سبيل الله عز وجل ، وفي كيفية التعامل مع الكفار ، واشتملت أيضاً على صور من حياة النبي صلى الله عليه وسلم إبّان بعثته في مكة قبل أن يهاجر إلى المدينة ، ثم أيضاً ما حصل في معركة بدر الكبرى وغير ذلك ، هذه الآيات التي تلوتها عليكم في بيان حال الكفار والتعامل معهم كما سيأتي بيانه في تفسير مفردات هذه الآية وما يرتبط بها من أحكام

{إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٥)}.

سبب نزول الآية : ذكر بعض المفسرين عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في بني قريظة من اليهود ، منهم كعب بن الأشرف وأصحابه .

ومن المعلوم أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، الآية تدل بعمومها على أن شر الدواب عند الله (الذين كفروا) ولو بلغوا ما بلغوا من العلم والفهم والصناعة والتكنولوجيا فهم شر الدواب عند الله عز وجل ؛ لماذا ؟ لأنهم أشركوا مع الله عز وجل و كفروا به ، فالله جل وعلا آتاهم العقول وأرسل إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب وذكر لهم الأدلة والبراهين والحجج القواطع على أنه الواحد المستحق لأن يعبد ولا يشرك معه غيره ، فعندما يشرك العبد مع الله غيره أو يكفر بالله جملة وتفصيلا والعياذ بالله ، فإن هذا هو شر الدواب ؛ لأن الدواب خير منه والحالة هذه كما قال تعالى{ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٤)}. لا شك أنهم أضل سبيلا فعندهم عقول وعندهم فهم ويقرؤون ويطلعون ويرون الأدلة ويسمعون ومع ذلك لم يؤمنوا ولم يدخلوا في هذا الدين فهم شر من الدواب عند الله عز وجل، والله جل وعلا يقول {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥)} لا يمكن أن يعذب أحد حتى تقام عليه الحجة ، وهؤلاء قامت عليهم الحجة وجاءهم الرسول ومع ذلك كفروا بل ونابذوه العداء وحاولوا قتله ، ومن ذلك ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما في سبب نزول هذه الآية أنها نزلت في بني قريظة ، ومعلوم أن بني قريظة هم آخر القبائل اليهودية التي كانت في المدينة الذين غدروا ونقضوا العهد ، معلوم أن في المدينة كان هناك ثلاث قبائل : يهود بني قريظة ، ويهود بني النضير ، ويهود بني قينقاع.

يهود بني قينقاع كان سبب إجلاءهم قصة ذلك الرجل ، حيث أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما جاء المدينة تعاهد

معهم أن يكفوا أذاهم وشرهم وأن يبقوا في قلاعهم ومزارعهم جنبًا إلى جنب ، لكن نقضوا العهد ، إذ أن أحدهم وضع مشبكًا أو شيئًا ربط أسفل هندام امرأة مسلمة بأعلاها فلما قامت انكشفت عورتها ، فصاحت واستصرخت فقام أحد الصحابة ولطم اليهودي ثم قُتل اليهودي وبعدها أجلوا من المدينة.

وبنو النضير لما جاء النبي صلى الله عليه وسلم يطلب منهم دينًا ، مساعدةً ، لي رجلين قُتلا خطأً من بعض أصحابه ، أرادوا أن يرموا عليه حجرًا من أعلى أحد بيوتهم الذي كان مستندًا إليه صلى الله عليه وسلم ، فجاءه جبريل وأخبره الخبر فقام هو وأصحابه ثم بعد ذلك أجلوا في القصة المعروفة وقد ذكر الله حالهم في أول سورة الحشر

أما يهود بني قريظة ومنهم كعب بن الأشرف وكان رجلا شاعرًا ، ممتلئًا صحة وعافية ، ومع ذلك كفر وعاند ومالأ الكفار على المسلمين وكان يتشبب بنساء المسلمين حتى قتل على يد محمد بن مسلمة ومن معه من الصحابة ، ونقض يهود بني قريظة العهد في غزوة الخندق كما سيأتي بيانه.

- على كل هذا حال اليهود ينقضون العهود والمواثيق ولا يعرفون في مؤمن إلا ولا ذمة ، وكما قلت أن هذه الآية وإن كانت في اليهود إلا أنها عامة فشر الدواب عند الله هم الكفار ؛ لأنه قامت عليهم الحجج ومع ذلك كفروا بالله. ثم ذكر الله تعالى من وصفهم في الآية التي تليها ::

{ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (٥٦)} ،

{الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ} أي عملت وأبرمت بينك وبينهم عهدًا وميثاقًا. لأن من المعلوم أن الفعل (عاهد) يدل على المفاعلة فلابد أن يكون بين طرفين ، والعهد معروف لابد أن يكون بينك وبين شخص آخر ، مثل (قاتل) لابد أن يكون أمامه عدو يقاتله وهذا ما يسميه اللغويون (أفعال المفاعلة) المفاعلة هي التي تكون بين طرفين .

{ مِنْهُمْ } كلمة (من) هذه المراد بها ثلاثة أقوال :-

القول الأول /أنها صلة. وهذا أدب جم من بعض المفسرين لأن القول بأنها زائدة لا يجوز ، فلا يجوز أن يعتقد أن في القرآن شيئًا زائدًا ولا حتى حرف ، فبعض العلماء يقول أنها زائدة وهذا خطأ ! هم يقصدون أن موقعها في الإعراب زائد وهي لها معنى ، لكن نقول أدبًا مع كلام الله لا يجوز أن يقال زائدة بل يقال صلة ، والمعنى : الذين عاهدتهم ثم ينقضون عهدهم.

القول الثاني /أنها للتبعيض. والمعنى : إن شر الدواب الكفار ، وشرهم الذين عاهدت ونقضوا. **والله أعلم هذا هو الأقرب.**

القول الثالث /أنها بمعنى مع. والتقدير : الذين عاهدت معهم. وهذا القول فيه شيء من القوة.

- استطراد/ /ولا يخفى عليكم أن هذه (من) ونحوها تدخل عند علماء علوم القرآن وما كتبه النحويون أنها من حروف المعاني وهو باب مهم يجب أن يعرفه طالب العلم ، وحروف المعاني إما أن تكون أحادية : كالهمزة والباء والفاء واللام وهي حروف لها أثر ودلالة في المعنى وليست كبقية الحروف الهجائية ، أو تكون ثنائية : مثل من ، أو ثلاثية : مثل لكن ، أو رباعية : مثل مهما ، أو تكون خماسية ، والمؤلفات في حروف المعاني كثيرة من أشهرها : كتاب (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) لابن هشام الأنصاري ، وكتاب (رصف المباني في حروف المعاني) للمالقي ، وكتاب (الأزهية في علم الحروف) ، وكتاب (جواهر الأدب في معرفة كلام العرب) للأربلي ، وغيرها فينبغي لطالب العلم أن يقتني ولو كتابا من هذه الكتب ، ومن أواخر ما كتب وهو كتاب نفيس كتاب الشيخ محمد عبدالخالق عظيمة وهو من علماء الأزهر المتأخرين توفي رحمه الله منذ زمن له كتاب بعنوان (دراسات لإسلوب القرآن الكريم) وقد خصص الثلث الأول

ويقع في ثلاث مجلدات كبار في حروف المعاني في القرآن الكريم ، وهو دراسة نظرية تطبيقية وقد نال بها المؤلف جائزة الملك فيصل العالمية ، وقد أمضى جزءًا كبيرًا من حياته في تأليف هذا الكتاب حوالي ثلاثون سنة وهو يجمع ويرتب وينظم الكتاب نظما جيدا ويعتبر درة ومفخرة من مفاخره بل ومن مفاخر هذا العصر ، وأنا أوصي باقتناء هذا الكتاب والعناية به.

نعود إلى تفسير مفردات الآية قوله تعالى {ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ} هذا بيان لحالهم أنهم كل ما عهدتهم نقضوا العهد. { وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ} اختلف في المراد بهذه الجملة على قولين :-

القول الأول /أنهم لا يتقون نقض العهد. **(الشرح)** أي أنهم كما هو معروف عن اليهود وعن الكفار عموما أنهم لا يعبئون بالعهود والمواثيق ، ونحن أمة الإسلام أمة عهود نلتزم بها ولا ننقضها حتى إذا نقضوا هم ، المسألة فيها تفصيل فنقض العهد أمر خطير بل هو من خصال المنافق (وإذا عاهد غدر) هذا من أعظم الخطايا نقض العهود فهو من كبائر الذنوب. وفي الحديث الصحيح يقول عليه الصلاة والسلام (ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة) وفي بعض الروايات أنه رفعه إلى الله عز وجل أي أنه حديث قدسي (ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته رجل باع حرًا فأكل ثمنه ، ورجل عاهد بي ثم غدر ، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يعطه حقه)

القول الثاني /أنهم لا يتقون الله في نقض العهد. **(الشرح)** القول الأول : لا يتقون نقض العهد نفسه ، وهنا أنهم لا يتقون الله أي لا يخافون الله في أنهم ينقضون العهد. ويقول بعضهم "من لا يخاف الله خف منه" لأن الإنسان لا يخاف الله ولا يعبأ بحدود الله فينقض العهود ويقع في الجرائم ، وهذه مشكلة كبيرة لأنه لا حاجز يمنعه من تعدي الحدود ونقض العهود ، والقول الثاني أيضاً قول الصحيح.

وهنا ذكر المفسرون أن يهود بني قريظة كانوا عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم ألا ينقضون العهد ، لكن حصل منهم بعض الأشياء في البدايات مما يدل على رغبتهم في نقض العهد في أي فرصة سانحة لهم ، ومن ذلك ما ذكروه في قصة كعب بن الأشرف حين كتب إلى قريش وقال : أنكم أحسن من النبي صلى الله عليه وسلم وأنتم أصدق عندنا ، مع أنهم يعلمون صدق النبي صلى الله عليه وسلم وأنه الرسول الحق ولكنهم كذبوا وعاندوا { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ (٤٤)}، وقصتهم معروفة ، ثم بعد ذلك لما جاء في غزوة الخندق كان بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم عهد ألا يدخلوا الكفار من جهتهم ، ولكن حصل ما حصل من نقض العهد بينهم ، وتَمَالُؤ يهود بني قريظة مع كفار قريش فسمحوا لهم بأن يدخلوا على المسلمين من ديارهم ، فأصاب المسلمين كرب شديد في ذلك اليوم حتى حصل من نعيم بن مسعود رضي الله عنه أن فرق بينهم وخذلهم ، و أرسل الله ريحًا شديدة أكفأت قدورهم وفرق الله شملهم وبعد أن هرب المشركون وانصرفوا عاد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يهود بني قريظة وحكّم فيهم سعدًا وحكم فيهم بحكم الله أن تُقتل مقاتلتهم وأن تسبى نسائهم وذرياتهم إلى آخر القصة المعروفة وهذا حالهم أهل نقض للعهود والمواثيق. ولذلك الله جل وعلا يقول في الآية التي تليها :

{فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٥٧)}

هؤلاء الذين حالهم نقض العهود والمواثيق هذا حكمهم : شرد بهم من خلفهم

{ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ } (تثقفنهم) أي تظفر بهم ، وبداية الآية (فإما) أصلها (فإن ما) ولكن أدغمت النون بالميم فصار النطق هكذا { فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ }

في المراد بقوله تعالى { فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ } ثلاثة أقوال :

القول الأول /أي افعل بهم فعلاً من العقوبة والتنكيل يتفرق به من وراءهم من أعدائك ، أي عاقبهم عقوبة شديدة.ومعنى (من خلفهم) : أي من وراءهم. **(الشرح)** وبالفعل إذا الأعداء علموا أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا عاقبْ عاقبَ عقوبة شديدة لا شك أنهم سيخافون وسيرهبون ، والذي عمل معهم الرسول صلى الله عليه وسلم معهم عقودًا لن ينقضوها مادام هذه قوته وهذا حكمه فيما ينقض العهد ، لا شك أنهم سيكفون عن نقض العهود.

القول الثاني /وهنا قول آخر يقول أن المعنى : أي سمِّع بهم من خلفهم. وهذا بلغة قريش. **(الشرح)** مثلًا الأستاذ يعاقب طالبًا أو الأب يعاقب أحد أبنائه لا شك أنه سيكون لها أثر فبقية الطلاب سيكفون عن المشاغبة وعن اللهو واللعب ، أيضاً الأب يقوم بعقوبة ولا أعني بهذا عقوبة شديدة تفضي إلى القتل أو الموت بل عقوبة تناسب الحالة بشكل تأديبي لا شك أن بقية الأبناء سيعتبرون ، مثلاً أب أدّب ابنه لأنه تأخر عن الصلاة أو ما صلى لا شك أن بقية الأولاد سيحرصون على الصلاة ولن يتكاسلوا في آدائها في المستقبل

القول الثالث / **يقول ابن عباس رضي الله عنهما :** "أي نكِّل بهم تنكيلا يشرد غيرهم من ناقضي العهد".

هذه ثلاثة أقوال وهي أقوال صحيحة .

{لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} أي : لعلهم يذكرون هذا النكال وهذه العقوبة وهذه الشدة التي وقعت على غيرهم فلا يعودون إلى نقض العهد. لا شك أن العقوبة وقعها شديد ولكن لها مصالح وفوائد ، وبالفعل النبي عليه الصلاة والسلام لما حكم فيهم سعد بن معاذ رضي الله عنه و حصلت العقوبة صار لها وقع ، اليهود خافوا وفرقوا خاصة يهود خيبر خافت وفرقت وقد حصل لهم موقف آخر ، المهم أن بقية قبائل العرب خافت وفرقت لما حصل من فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع اليهود مما هو مسجل ومسطر في كتب السيرة و التاريخ.

الحلقة (١٤)

موضوع الحلقة تفسير الآيات ٥٨،٥٩،٦٠ من سورة الأنفال

{وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ }٥٨

هذه الآية الكريمة في التعامل مع من بيننا وبينهم عهد وميثاق ، فالله جل وعلا يقول {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً} **(الخوف)** هنا قال المفسرون المراد به : العلم. لأنه لا يكفي الظن ، إنسان يظن أن عدوه خائن فيبدأ وينقض العهد والميثاق ! هذا لا يجوز ! أحكام الإسلام ما فيها ظن أو سوء ظن بل لابد من العلم {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً} المقصود : أي إذا علمت ، والعلم هنا له حيثيات وله دلائل وله براهين ، وهذا العلم هو كل علم يناسب الحالة التي هو فيها.

المقصود بـ(الخيانة) : هي نقض العهد. وكما ذكرنا سابقا أن الإسلام أمر بالوفاء بالعهود وحذر من نقضها ، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن من صفات المنافق (وإذا عاهد غدر) وفي الحديث الصحيح : (ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته رجل باع حرًا فأكل ثمنه ، ورجل عاهد بي ثم غدر ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه حقه) فعلى الإنسان أن يتقي الله وأن يحذر .

وهذه الآية قد تكون على المستوى العام ، مستوى القيادة ، ولي الأمر ، ولكن أيضاً الفرد إذا أبرم عهدًا ولو كان في شيء صغير سواء في تجارة أو عمل معين يجب أن يتقي الله ، أمر العهود أمر خطير ، الزوج مع زوجته ، الأب مع أبنائه ، المسؤول مع عماله ، وهذه الآية في المسألة العامة يعني في إبرام عهد يراه ولي الأمر مع غيرهم

سبب نزول هذه الآية : ذكر الإمام مجاهد بن جبر : أن هذه الآية نزلت في بني قريظة ،

والحقيقة أن الآيات كلها موصولة من قول الله {إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ (٥٥)}. وما بعدها كلها في بني قريظة ، ومن المعلوم – وقد ذكرت هذا في الحلقة السابقة بالتفصيل – أنهم نقضوا العهد وتمالؤوا مع كفار قريش ومن معهم من قبائل العرب من غطفان وغيرهم على أن يسمحوا لهم بالدخول للمدينة عن طريق ديارهم ونخيلهم ، وحصل ما حصل من تفريق نعيم بن مسعود رضي الله عنه في القصة المعروفة حتى حكّم فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ رضي الله عنه إلى آخر القصة

قوله تعالى {فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ} في معنى هذه الجملة من الآية أربعة أقوال وكلها صحيحة :-

القول الأول /أي : ألقِ إليهم نقضك العهد لتكون وإياهم في العلم بالنقض سواء. **وهذا هو قول الأكثرية ، (الشرح)** أي مادام أنهم نقضوا العهد انبذ إليهم ، كما نقول انبذ الثوب أي ألقِ الثوب ، وانبذ الحجر أي ألقِ الحجر ، العهد الذي بيني وبينكم نبذته عليكم إذن ليس بيننا وبينكم أي عهد أو ميثاق ، {فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ} أي ألق أليهم نقضك العهد حتى تكون أنت وإياهم عارفين أنه ما عاد هناك عهد ولا ميثاق ، وأنه محتمل يحصل معركة الآن .

القول الثاني /أي : انبذ إليهم جهرًا غير سر. **(الشرح)** وهذا الكلام أيضاً صحيح فلا يجوز أن نلقي إليهم العهد والميثاق وننقضه سرًا (خيانةً) هذا أيضاً لا يجوز ، هم أهل خيانة فإذا خانوا نحن لا نخون ، نحن الحمد لله ورقتنا واضحة ، وعملنا بيِّن ، ليس هناك سر ، وهذا قول صحيح يدخل في القول الأول.

القول الثالث /أي : انبذ إليهم على مَهَل. **(الشرح)** لا تتعجل ، تبين ، تأمل في الأمر ، ربما أن أحدهم يكذب ! لأن مسألة نبذ العهود والمواثيق وتركها هذه مسألة خطيرة ، ويجب التنبيه أن هذا الأمر منوط بولي الأمر ، الملك، الخليفة، الأمير ، الرئيس ، على حسب المسمى الذي له هو المسؤول عن هذه القضية فلا يقول أحد اليهود نقضوا العهد فسننقض العهد فهذا لا يجوز ، المسألة منوطة بولي الأمر فهي من أعماله وواجباته و من حقوقه ، فلا يجوز أن يأتي واحد أو عشرين فيقولون هؤلاء نقضوا العهد فسنحارب ! ندمر ! هذا لا يجوز ، هذا الأمر منوط بولي الأمر هو الذي يتحقق من نقض العهد ومن ثم كيفية التعامل ما الأمر الذي يكون فيه توجيه للقضية حتى لا تحصل اضطرابات ومشاغبات وعدم استقرار.

القول الرابع /أي : انبذ إليهم على عدل من غير حيف. **(الشرح)** إذا تحققنا من نقضهم العهد فنبذنا إليهم عهدهم لا نحيف ولا نميل بل نتقي الله عز وجل ونعدل {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ} يعني بغض قوم {عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ (٨)}. فلا يحملنك أخي المسلم هذا البغض للكافر أنك تحيف عليه أو لا تعدل معه ، بل يجب أن تعطيه أجرته إذا كان يعمل معك ، و تتعامل معه بالصدق وبالعدل والإحسان. فكونه كافر هذا لا يعني أن أحيف أو أميل أو أمنه حقه أو أؤذيه هذا لا يجوز.

وهذه الأقوال الأربعة كلها صحيحة

قوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ} في هذا إثبات صفة المحبة لله عز وجل ، فهو جل وعلا وإن نفاها هنا عن الخائنين فإنه أثبتها فهو يحب التوابين ويحب المتطهرين ورحمته وسعت كل شيء ورحمته سبقت غضبه فهي من صفات الله عز وجل التي نثبتها له على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل بل نثبتها على الوجه اللائق به سبحانه ، نثبتها لمن أثبتها له ، وننفيها عمن نفاها عنه مثل حال الخائنين فالله جل وعلا لا يحب

الخائنين.

{ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ}

** قراءات/ /{وَلَا يَحْسَبَنَّ} فيها قراءتان :-

القراءة الأولى : قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، والكسائي {ولا تحسِبن} بالتاء وكسر السين.

وقرأ أبا بكر عن عاصم وهو شعبة بن عياش قرأها بالتاء وفتح السين {ولا تحسَبن}

القراءة الثانية : قرأ ابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم بالياء وفتح السين {ولا يحسَبن}

على كل حال هما قراءتان ولو أردنا التفصيل لقلنا هي ثلاث قراءات .

قوله تعالى {الَّذِينَ كَفَرُوا } المراد بـ(الذين كفروا) اختلف فيه على قولين :-

القول الأول /أنهم جميع الكفار. فهم لا يعجزون الله عز وجل، وسيُمكن الله منهم المؤمنين عاجلا أو آجلا أو أنهم يموتون على كفرهم.

القول الثاني /أنهم هم الذين انهزموا يوم بدر.

إذن إما أن الآية على عمومها في الكفار ، أو أنها في الذين انهزموا يوم بدر.

{سَبَقُوا} بمعنى فاتوا، وهربوا ، وسلِموا ولم يُتمكن منهم.

معنى هذه الآية : لا يحسبن الذين فاتوا وهربوا وسلموا من القتل أنهم يعجزون الله فهذا غير صحيح ! بل سيأتي عليهم عقوبة وقد يقتلون وقد وقد ، وهذا في علم الله سبحانه وتعالى فالله جل وعلا لا يفلت منه أحد ولا يغيب عنه جل وعلا خلق من خلقه { وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا} يعني فاتوا وهربوا وسلموا من الموت. ولذلك قال المفسرون : "أي لا تحسبن أنهم فاتوا بسلامتهم الآن فإنهم لا يعجزوننا" وهل يعجزون الله؟ لا والله لا يعجزونه.

{إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ} أي لا يفوتونه ولا يسلمون منه تبارك و تعالى.

**قراءات/ / قوله تعالى {إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ} فيها قراءتان :

القراءة الأولى : قرأ السبعة عدا ابن عامر بكسر الهمزة {إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ}،

القراءة الثانية : قرأ ابن عامر وحده بفتح الهمزة {أَنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ}

على كلٍ المعنى واحد كما قال بعضهم : لا يحسبن الذين كفروا أنفسهم سبقوا وآباءهم سبقوا فماتوا وما جاءهم شيء ! لأنهم لا يفوتون فهم يُـجزون على كفرهم.

{ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ(٦٠)}

المراد بـ(القـوة) هنا أربعة أقوال :-

القول الأول /أنها الرمي. وقد فسرها النبي صلى الله عليه وسلم بهذا وهي من تفسيره. والحديث جاء في صحيح مسلم.

القول الثاني /ذكور الخيل.

القول الثالث /السلاح.

القول الرابع /كل ما يتقوى به على حرب العدو من طعام أو لباس أو أسلحة.

على كل حال كما قال المفسرون أن الآية دالة على العموم على كل ما ينتفع به ويكون فيه قوة. **والراجح أن الآية على**

عمومها لكن ما ذُكر هنا هو أمثلة ، الرسول عليه الصلاة والسلام ذكر أنها الرمي ولا شك أن الرمي لابد أن يكون صائبا ، أنها ذكور الخيل أنها تكون تعدو وفيها نشاط وقوة ، أنها السلاح، وأنها كل ما يتقوى بها على حرب العدو.

{وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ} الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة كما قال عليه الصلاة والسلام

ومعنى(من رباط الخيل) أي : ربطها واقتناؤها للغزو. وقد ورد أنّ من رَبَط خيلا يحتسب الأجر عند الله عز وجل فإن طعامها وروثها كله حسنات ، إذا كان قد ربط هذه الخيل للجهاد في سبيل الله عز وجل.

قوله تعالى {تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} (ترهبون) أي : تُخيفون وترعبون. {عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ } المراد بهم : مشركوا مكة و كفار العرب. قوله تعالى {وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ} ما المراد بهؤلاء ؟ {وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ} اختلف في المراد به على خمسة أقوال:-

القول الأول /أنهم الجن. **القول الثاني** /أنهم بنو قريظة. **القول الثالث** /أنهم الفرس. **القول الرابع** /أنهم المنافقون. **القول الخامس** /أنهم اليهود.

على كل حال الآية على عمومها ، لا شك أن المسلمين كلما استعدوا وقويت شوكتهم خاف منهم أعداؤهم من الجن و من الإنس ويخافون منهم ويرهبونهم. إذن الآية عل عمومها يدخل فيها الجن ، بنو قريظة ، الفرس ، والمنافقون ، واليهود ، حتى لو قلنا الروم وبقية الأعداء كلها تدخل في{ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ} ثم ختمت الآية بالحث على الإنفاق في سبيل الله.

{وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} وكلمة شيء نكرة كما قال المفسرون تعم كل شيء دينار، درهم ، طعام ، كساء ، إعداد في القوة ، على الفقراء والمساكين.

{يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ} لا تظلمون : أي لا تبخسون ولا تنقصون حقكم من الحسنات. وهذا من فضل الله جل وعلا أنه يثيب من يتصدق ومن ينفق ماله في سبيل الله وهذا فضل عظيم وأجر كبير فالله الله أخي الكريم لا تبخس نفسك حظها فالله جل وعلا يقول{وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ(٦٠)}، وكما قلنا أن هذه الجملة وإن جاءت في آخر الحديث عن إعداد القوة للجهاد في سبيل الله عز وجل ومقابلة الأعداء فإنها ولله الحمد عامة كما قلنا دينار، درهم ، طعام ، كساء ، مساعدة لمحتاج ، كفالة الأرملة و اليتيم ، الفقراء والمحاويج كل هذا يوف إليكم.

(يُوَفَّ) أي : تنالون أجره { مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١)}، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم (أن المؤمن في ضل صدقته يوم القيامة وأن الله يربي له صدقته كما يربي أحدكم فُلُوَّة) .

معنى قوله {وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ} أي : لا تبخسون ولا تنقصون حقكم ، وكيف يكون البخس والنقص والله جل وعلا أكرم الأكرمين ! وأجود الأجودين ! الغني عن عباده { يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥)}، نحن المحتاجين إليه وهو الغني عنا سبحانه وتعالى.

المهم هو /هذه الآية فيها الأمر بإعداد القوة وأن يكون المؤمنين فيها على أهبة وعلى استعداد.

وهنا أحب أن أختم هذه الآية بمسألة :-

بعض الناس وبعض الأعداء أو من عندهم نقص في العلم وفهم القرآن يقول { تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ } أن دين

الإسلام دين الإرهاب وأنه دين الظلم وأنه يهضم حقوق الإنسان وهذه كلمات باطلة شنيعة ليس لها خطام ولا زمام وليس لها دليل لا من الكتاب والسنة ولا من الواقع ، فالمسلمون ولله الحمد أهل عدل وإنصاف ومن حقهم كما هو حق لغيرهم أيضاً أنهم يحمون أنفسهم ويستعدون لو جاءهم عدو أن يكونوا على أهبة وعلى استعداد حتى لا يؤخذوا على غرة كحال غيرهم ، وأيضًا من ناحية أخرى الجهاد في سبيل الله الذي شرع له ضوابطه ولا يلجأ إليه إلا بعد أن يكون هناك منع ، في أمور أخرى يراها القائد المسلم، ولي الأمر أما هكذا كل إنسان يخرج ويجاهد فهذا ليس صحيح فلا جهاد إلا بإذن ولي الأمر، والجهاد على نوعين: فرض عين، وفرض كفاية وفيها مسائل وشروط وقضايا مرتبطة بها ، فالإسلام لا يتبطن الإرهاب بمعناه المعروف الآن وهو : الغدر والخيانة وزعزعة أمن الدول وإحداث التفجير والتدمير فهذا ليس في دين الإسلام ، بل الإسلام أول من حرمه وأول من شن على أصحابه بل وعاقبهم كما هو معروف عندنا في باب الحرابة ، باب المفسدين في الأرض كما جاء في الآية {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا (٣٣)}، بين الله عقوبتهم القتل والتقطيع والصلب كل هذا رد عليهم وقطعا لدابرهم والله تعالى لا يصلح عمل المفسدين. على كل حال المسلم يجب أن يكون فقيهًا بدينه متبينًا كلام الله عز وجل، يقف على معاني الآيات حتى لا ينخدع بما يسمع من أن الإسلام يتبطن الإرهاب حاشا وكلا ! بل الإسلام ضد الإرهاب وضد الفساد في الأرض وشريعته الغراء تضمنت من الأحكام والتعاليم ما فيه من الخير والسعادة عموما للمسلمين ولغير المسلمين إذا التزموها واعتنقوها ودخلوا فيها.

الحلقة (١٥)

موضوع الحلقة تفسير الآيات ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ من سورة الأنفال

{وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦١) وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣)}

هذه الآيات امتداد لذكر بعض الأحكام والمسائل المرتبطة في تعاملنا مع الكفار ، وقد ذكرنا في الحلقة السابقة وما قبلها أيضاً أن مسائل التعامل مع الكفار هذه يتولاها ولي أمر المسلمين (ملك - خليفة - رئيس – أمير) هو الذي يتولى إبرام الوعود والمواثيق ، وهو الذي إذا خاف من قوم خيانة نبذ إليهم على سواء ، وهو الذي يعمل الصلح ويبرم الوعود ، وهذه الأمور من الحقوق والواجبات مرتبطة بولي الأمر. مثل ما ذكر العلماء في كتب العقيدة أنه هو الذي يقيم الحدود فلا يقول أحدهم أنني سأقيم حد الزنا أو السرقة بل هذا من يقيمه هو ولي الأمر أو من ينيبه ولي الأمر. الحج أيضاً ولي الأمر هو أمير الحج

- استطراد//وهذه مسائل معروفة ومقررة في عقيدة أهل السنة والجماعة ويذكرونها دائمًا في أواخر كتب العقيدة فلا يخفى على شريف علمكم لو قرأنا أواخر العقيدة الواسطية لوجدناها تنص على هذا ، وكذلك متن لمعة الاعتقاد وكل هذه المتون في العقيدة وأيضا المطولات نصت على ذكر أن المسألة دين وعقيدة وليست هوى أو مجاملات بل هذا دين ندين الله به ، لأن هناك حقوق يتولاها ولي الأمر وواجبات ومسؤوليات ، وهناك مسؤوليات أنا أقوم بها وأنت أخي الطالب ، كذلك المسؤول عن أسرته ، الأستاذ ، رئيس القسم أو أي مسؤول ،كل إنسان يقوم بالواجبات المنوطة به. حين يقوم أو يتعدى شخص على مسؤوليات غير منوطة به هذا يحدث اختلالًا واضطرابًا نهى عنه دين الإسلام، مثل الزواج لو أن الزوجة تأخذ حقوق الزوج لانتكست الأمور والأسرة يكون فيها اضطراب والأولاد يعيشون حالة ضياع بسبب

أن أحد الزوجين أخذ مكان الآخر. ومنها ما ذكرت هنا وهي المسائل المرتبطة بولي الأمر فهو الذي يحدد الأمور ، يستشير ، عنده علماء ومستشارين متخصصين في كذا وكذا حتى يصدر عن رأيٍ في هذه الأمور.

{وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦١)}

**قراءات/ /{وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ} قوله تعالى {لِلسَّلْمِ} فيها قراءتان:

القراءة الأولى/قرأ (شعبة بن عياش) أبو بكر عن عاصم بكسر السين {للسِّلم}.

القراءة الثانية/بقية القراء السبعة ومنهم حفص عن عاصم فقرؤوها بالفتح {للسَّلم}.

(للسِّلم) ، (للسَّلم) بالفتح أو بالكسر كلاهما بمعنى : الصلح والمسالمة ، (جنح) أي : مالَ. (جنحوا للسلم) أي : مالوا للسلم * ومعنى الآية : أي إن مال الأعداء إلى الصلح والمسالمة فـمِل إليها.

(الشرح) فالصلح كله خير ، الإسلام لا يتشوف إلى إراقة الدماء وإلى القتل ، إذا كان الصلح فيه خير يكون فيه مصالح عظيمة ، وقد ذكر أهل السير أن المدة الزمنية ما بين صلح الحديبية إلى أن نقض حلفاء قريش -وهم بنو وائل- العهد هذه المدة أسلم فيها عدد أكثر ممن أسلم قط. فالصلح وإن كان قد كرهه بعض الصحابة ولكنه فيه خير إن شاء الله .وإذا كان الصلح بشروطه ومواثيقه ففيه خير وبركة حسب ما يراه ولي الأمر . والتقدير هنا {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ} أي : إن مالوا إلى الصلح والمسالمة فمل إليها.

- **هنا قد يطرح سؤال: لماذا قال فإن جنحوا للسلم فاجنح لها ، ولم يقل إليها. والكثير أن يقال فاجنح إليها ؟**

التوجيه الأول /أن اللام في (لها) نابت مناب (إلى) ، يعني اللام وقعت موقع إلى.

وهذا أمر معروف يذكره النحويون في بعض حروف الجر يقولون إن حروف الجر ينوب بعضها محل بعض ، مثل {وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ (٧١)}.هنا (في) بمعنى (على) يعني (على جذوع النخل) ، قوله تعالى {فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا (١٥)} ،يعني (على مناكبها)

التوجيه الثاني /إن اللام (لها) جاءت مثل ما جاءت الأولى التي في (للسلم) أي لما عدي {جنحوا} باللام عُديَ هنا في {فاجنح لها} أيضاً باللام ، حتى يكون الفعلان تعديتهما واحدة بـ(اللام) في الفعل الأول وبـ(اللام) في الفعل الثاني. أي أن الفعل يضمن فعلا آخر فيتعدى بتعدية هذا الحرف ، أي أن بعض العلماء لا يرى تناوب حروف الجر وإنما يقول : نضمّن الفعل معنى فعل آخر ونعديه بتعدية هذا الحرف الموجود.

وهما قولان معروفان في كتب النحو وأيضا يذكره المفسرون رحمهم الله في كتب التفسير[1].

{وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ} من هم هؤلاء الذين جنحوا ؟ اختلف في المراد به في هذه الآية على قولين :

القول الأول /أنهم المشركون عمومًا. **القول الثاني** /أنهم أهل الكتاب.

والآية عامة سواء كانوا مشركون عباد أصنام على وجه العموم أي كفار ليسوا من أهل الكتاب ، أو من أهل الكتاب ، فإن رُؤِيَ أن هذا الصلح فيه خير وبركة يعمل به.

{وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} مع هذه التوجيهات وهذه الأحكام يجب أن يعتقد المؤمن التوكل على الله عز وجل. لا يكفي مع هذه الأحكام وهذه الترتيبات أن يغفل المسلم عن ربه ، بل التوكل على الله عباده من أعظم العبادات ، كيف يطمئن المؤمن

[1] لقد قرن الأستاذ بين التوجيهين أثناء الشرح لكن جعلت كل منهما في نقطة وهذا أيسر للفهم

ويسلم وهو لا يتوكل على ربه !!

معنى (التوكل) أي : التفويض والاعتماد على الله عز وجل. معنى {وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} أي :فوض أمرك ، سلم أمرك لله سبحانه وتعالى، والله جل وعلا يقول {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ (٣)}. (حسبه) أي : كافيه ، {وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٢٢)}. {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا (٢٣)}. فلابد من التوكل، والتوكل عبادة عظيمة من أعظم العبادات وأجلها ومعناه : التفويض والتسليم والانقياد لأمر الله تبارك وتعالى ،صدق التعلق بالله عز وجل مع هذه الأحكام يجب على الإنسان أن لا يغفل عن ربه سبحانه وتعالى {إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}

{وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢)}

{وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ} المراد بهم : يهود بني قريظة -كما قلنا أن هذه الآيات يذكر المفسرون أنها في يهود بني قريظة- {أَنْ يَخْدَعُوكَ} أي : بالصلح لتكف عنهم حتى إذا جاء مشركوا العرب أعانوهم عليك.

(الشرح) وهذه حيلة عملها يهود بني قريظة أنهم صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم في زمن ولم يكن هدفهم لذات الصلح والعيش بسلام ، وإنما قالوا نسكت (ونمشي) الأمور إلى زمن لعل الكفار يأتون إلينا فنفتح لهم المجال ليدخلوا على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويقتلوهم هكذا خططوا ، هم الحقيقة رضوا بالصلح (أن يخدعوك) يعني بالصلح لتكف عنهم ، هم صالحوا من أجل أن يكف عنهم النبي صلى الله عليه وسلم ويعيشوا معه في المدينة بسلام ولكن لم يكن هدفهم هو الصلح لذات الصلح وإنما كان تخطيط وترتيب ، يقولون الآن نرتاح إلى أن يأتي يوم فيأتي كفار قريش فنفتح لهم المجال ليدخلوا إلى المدينة ويقتلوا محمدا وأصحابه ، ومن المعلوم كما ذكرت في حلقات سابقة أن اليهود أهل نقض للعهود والمواثيق لا يعرفون في مؤمن إلًّا ولا ذمة ولا يخشون الله ولا يخافونه فهم أهل نقض للعهود ولمواثيق والله المستعان.

{فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ} وما أجمل هذه الكلمة (حسبك الله) أي : أن الله كافيك ومتوليك وناصرك.

(الشرح) يعني أن الله هو الذي يتولى كفايتك وينصرك من كان الله حافظه وناصره فمم يخاف ومما يقلق ؟! لا شك أننا لولا فضل الله ورحمته وعطفه وإحسانه والله لهلكنا، لكن نحن نعيش في ستر من الله ونعتمد على الله ونتوكل عليه ونحن في أمره سبحانه وتعالى ولذلك نحن نسأل الله عز وجل أن لا يكلنا إلى أنفسنا ولا لأحد من خلقه طرفة عين ولا أقل من ذلك،

{هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ} (أيّدك) أي : قواك ونصرك. (بالمؤمنين) يعني من المهاجرين والأنصار يوم بدر. بعض المفسرين جعلها في الأنصار وهو غير صحيح لأن الذين اشتركوا في غزوة بدر من المهاجرين والأنصار -سواء في معركة بدر أو ما بعدها- لكن بلا شك أن معركة بدر تعتبر هي الفاتحة وهي التي لها شأن ولها وقع عظيم في دين الإسلام ولذا تسمى موقعة بدر (الكبرى) وسماها الله عز وجل (يوم الفرقان) ونحن تكلمنا عن هذا فيما سبق يوم الفرقان {يوم يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ (٤١)}. وسميت بيوم الفرقان لأنه فرق فيها بين الحق والباطل، الحق انتصر وعلا والباطل انهزم وانكسر

(الشرح) إذن يقول الله {هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ} يعني أن الله عز وجل قواك وأعانك بنصره هذا من جهة ، ثم أيضاً بالمؤمنين الذين بذلوا أنفسهم ولا شك رضي الله عنهم أنهم بذلوا مهجهم وأرواحهم في سبيل الله عز وجل وبخاصة في ذلك الموقف العظيم ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام من المعلوم أنه تعاهد مع الأنصار في بيعة العقبة الثانية أن يحموه ما

دام بين ظهرانيهم ، فلو خرج فهذا ليس فيه عهد بينه وبينهم ، ولكن تكلم المهاجرون وقالوا : والله لو خضت هذا البحر لخضناه ، والتفت عليه السلام يريد الأنصار أن يتكلموا ، لأن الأنصار العهد الذي بينه وبينهم أن يحموه مما يحمون منه أهليهم وذراريهم إذا كان عندهم لكنهم هم الآن خارج المدينة في موقعة بدر ، فقاموا رضي الله عنهم وتكلموا وقالوا كأنك تريدنا يا رسول الله، والله لو خضت هذا البحر لخضناه ، لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى {فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤)}. بل نحن نقاتل من أمامك ومن خلفك ، فسُرَّ النبي صلى الله عليه وسلم وبشرهم بالنصر وأخبرهم أنه كأنه يرى مواقع صرعى المشركين أن فلانا سيقتل هنا وفلانا هنا لإخبار الله له ، لكن هو عليه السلام لا يعلم الغيب ، وحصل ما حصل من نصرة المسلمين على الكفار.

{وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}

هذه الآية فيها فضل ومنة من الله عز وجل حين ألَّف بين قلوب الصحابة ، فألف بين الأوس والخزرج ولا يخفى عليكم أنه كانت هناك معارك طاحنة بين هاتين القبيلتين ، وكانت اليهود ممن تذكي هذه المعارك كلما خمدت حركوها ومن أشهر أيامهم يوم بُعاث. فمن كان يتوقع أن الأوس والخزرج سيتفقون ويجتمعون لكن فضل من الله ! الأخوة الإسلامية منة وفضل من الله.

{وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ } أي : بالإسلام.

(الشرح) لا بالدراهم ولا بالدنانير وإنما هي فضل ومنة من الله ، وهذه من أعجب الآيات حتى ذكر بعض المفسرين أنهم كانوا ذوي أنفة شديدة فلو أن رجلاً لطم رجلاً لقاتلت عنه قبيلته حتى تدرك أثره ، فآل بهم الإسلام إلى أن يقتل الرجل ابنه وأباه إذا كان كافرا في سبيل الله -وهذا لم يُعرف إلا في المعارك- فبالإسلام اجتمعوا على الخير وتحابوا في الله وتناصروا هذا فيما بينهم وفيما بين الأوس والخزرج وكانوا أهل قتال ، وأشهر أيامهم يوم بُعاث ، فاجتمعوا تحت راية الإسلام وألف الله بين قلوبهم ، ثم ألف الله بينهم وبين هؤلاء المهاجرين الذين ما كانوا يعرفونهم ، فالأخوة الإسلامية لم تكن معروفة حتى قدم المهاجرون إليهم ، وكان الأنصار رضي الله عنهم يأتي إليه المهاجر فيقول "يا فلان هذا بيتي خذ نصفه وأنا نصفه" ، "وهذه مزرعتي خذ نصفها وأنا نصفها" ، "عندي زوجتان اختر أيهما شئت أطلقها وتتزوجها". فهذه الأخوة فضل ومنة من الله {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ (١٠٣)} . والنبي صلى الله عليه وسلم قد ذكر أن فضائل الأخوة كثيرة يقول عليه الصلاة والسلام في السبعة الذين يظلهم في ظله (ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه) ، وفي حديث آخر (وجبت محبتي للمتحابين فيّ والمتزاورين فيّ) وذكر النبي صلى الله عليه وسلم (أن المتحابين في الله على منابر من نور) وجاء في الأثر (أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله) والله جل وعلا يقول قبل هذا كله {الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (٦٧) يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩)}.إلى آخر الآيات في سورة الزخرف فيها بيان فضائل الأخوة وجزاؤها وثوابها عند الله .

{لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ} لو أنه عليه الصلاة والسلام يمتلك ما عند الناس وعنده الخزائن وعنده الأموال وأنفقها لأجل كسب قلوب الأنصار وجمع الأوس والخزرج ليجمعهم في صف واحد في الصلاة وفي الجهاد وفي المحبة ما استطاع ، إذن هذه فضل ومنة من الله. {وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ} فالله له الفضل والمنة وله الإحسان تبارك وتعالى {إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (العزيز) هو الغالب الذي لا يغلب. (الحكيم) هو الذي يضع الأمور في مواضعها الصحيحة ولا

أحكم من الله تبارك وتعالى.

بقي أن نقول أن الأخوة الإسلامية لها واجبات ولها حقوق وقد جاءت في كتاب الله منها : الموالاة بين المؤمنين ، والنصيحة ، والتعاون على البر والتقوى ، أن يقوم بحقوق المسلم على أخيه : السلام ، كف الأذى ، إجابة الدعوة ، تشميت العاطس ، زيارة المريض ، تشييع الجنازة ، إلى غير ذلك من الحقوق التي جاءت مذكورة في كتاب الله وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

الحلقة (١٦)

موضوع الحلقة تفسير الآيات ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ من سورة الأنفال .

{يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ{٦٤} يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ{٦٥} الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٦٦)}

لايزال الحديث هنا في ذكر مسائل وقضايا مرتبطة بالجهاد وفي التعامل مع الكفار وفيما ينبغي أن يكون عليه المؤمن من الصبر والاحتساب والتوكل على الله عز وجل وبخاصة في تلك المواقف .

{يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ(٦٤)}

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ} (الحسب) بمعنى الكافي ، يعني : يكفيك الله ، وهو النصير ، ومن كان الله سبحانه حسبه فيحمد الله ويستريح ويطمئن ، كما قال الله عز وجل {وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً (٣)}.

➢**هنا يذكر المفسرون قولين في معنى الآية وهما قولان مشهوران ، وأحدهما هو الراجح والثاني هو المرجوح وهما :**

القول الأول / أنها بمعنى حسبك الله وهو أيضاً حسب من اتبعك ، أي أن الله يكفيك ويكفي من اتبعك ، أي أن الله يكفيك وينصرك ويؤيدك وهو أيضاً يكفي وينصر ويؤيد من اتبعك من المؤمنين ، **وهذا قول بن عباس رضي الله عنهما ، وهو قول الجمهور من المفسرين ، وقد نصره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، وأيده شرّاح كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى . وذكروا أنه هو الراجح.**

القول الثاني / أن معناها : يا أيها النبي حسبك الله ومُتبِعوك ، يعني أن الله يحفظك ويحميك وينصرك وأيضاً من اتبعك يا رسول الله أيضاً ينصرونك ويؤيدونك ، ولا شك أن حسبهم ونصرتهم ليست مثل نصرة الله عز وجل ، هم بتوفيق الله عز وجل يجعلهم أسباباً لهذا الأمر . يعني معناها حسبك الله ومتبعوك أيضاً حسبك .

** من العلماء من أجاز الوجهين ، ونحن لا نقول أن الوجه الثاني خطأ بل هو صحيح ، **لكن الراجح هو القول الأول.**

➢**من الذي أجازوا الوجه الثاني :** الشعبي ، والفراء صاحب (معاني القرآن) ، والزجاج صاحب (معاني القرآن وإعرابه)

(الشرح) يعني أنه تكاثر الصحابة وأعز الله بهم الدين ونحن نعرف أنه مرّت وقائع وأحداث في السيرة قبل الهجرة حتى ولله الحمد كثُر الصحابة وكثُر عددهم ، وأعز الله بهم الدين حتى حصلت الهجرة وما بعدها .

يقول ابن عباس رضي الله عنهما : "أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعةً وثلاثون ثم أسلم عمر رضي الله عنه فصاروا أربعين فنزلت هذه الآية" . ولكن هذا القول أُعتُرِض عليه بأنه قولٌ لا يُحفظ لأن السورة مدنية والقول الأول

أصح. **(الشرح)** على كل حال نحن نقول أن الله عز وجل هو حسب رسوله صلى الله عليه وسلم وهو حسب من اتبعه **هذا هو القول الأول وهو القول الراجح** . والقول الثاني هو أن الله عز وجل حسب نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه أيضاً حسبه يعني أنهم ناصروه وأعانوه كانوا مستخفين أول الأمر بالدين ثم بعد ذلك أعلنوه عندما أسلم حمزة وأسلم عمر رضي الله عنهم أجمعين وذلك عندما دخلوا الحرم وطافوا بالبيت من دون خوف من أحد . وأن الدين أعتز شيئاً فشيئاً حتى ظهر وبلغ الدين ما بلغ الليل والنهار .

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ (٦٥)}

{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ } (حرِّض) بمعنى حُث .

قال الزجاج : "بمعنى حثهم -وذكر أن هذا معناها في اللغة- أن يُحث الإنسان على الشيء حثاً حتى يُعلم أنه حارضٌ إن تخلف عنه ، والحارض هو الذي قد قارب الهلاك". المهم أن التحريض بمعنى الحث .

- **استطراد// ألقاب وكُنى**

[والزجاج هو إمام في التفسير اللغة وكتابه مشهور (معاني القرآن وإعرابه) . والمفسرون ينقلون عنه بكثرة سواءً قيل "قال الزجاج" ، أو قيل "قال أبو إسحاق" هذا معروف أنه إذا قيل "أبو إسحاق" فالمقصود به الزجاج . وأكثر من يذكر هذه الكنية "أبو إسحاق" هو النحاس في كتابه معاني القرآن ، وإذا قيل "قال أبو علي" فالمقصود به الفارسي . هذه هي الكنى والألقاب وهي مهمة وعلى طالب العلم أن يعرف هذه المصطلحات في كتب التفسير مثل لو قيل "قال أبو العباس" فالمشهور أنه محمد بن يزيد المبرد . لأنه يوجد أبو العباس شخص آخر وهو أبو العباس أحمد بن يحي ثعلب . والمشهور في كتب معاني القرآن وكتب التفسير أنه إذا قيل "أبو العباس" في الغالب المقصود به المبرد . وقد يراد به ثعلب صاحب (المجاز) وصاحب (الفصيح) ، نعم قد يقال لكنه قليل ، الغالب أن يراد به المبرد النحوي البصري . من الألقاب أيضاً إذا قيل "قال الإمام" فالمقصود به الرازي وهذا مشهور عند المتأخرين خاصةً ، وتوفي الرازي سنة ٦٠٦هـوهو محمد بن عمر فخر الدين الرازي صاحب كتاب التفسير الكبير المسمى بـ(مفاتيح الغيب) . هذه ألقاب وكُنى يجب أن تُعرف حتى الإنسان لا يخلط الأمور أو يُشكل عليه شيء . فعلى كل حال الزجاج هو أبو إسحاق إبراهيم بن السري ، والزجاج هو وأبو جعفر وإذا قيل "أبو جعفر" فهو الطبري محمد بن جرير الطبري شيخ المفسرين توفيا في سنة واحدة أو قريباً من بعض ٣١١هـأو ٣١٠ هـ يعني هما متقاربان].

نرجع لتفسير الآية /المهم أنه قال {حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ} بمعنى حثهم ورغبهم ، وهذه الكلمة تدل على الحث والترغيب بقوة ، لأن بعض الناس قد ينكص عن الجهاد لأن المسألة فيها موت وليس هناك عمر ثاني .

➢**كان في أول الأمر بالجهاد** الشخص يقابل عشرة ، ثم بعد ذلك نُسخ إلى أن يقابل اثنين كما سيأتي .

{ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ } المعنى : أن كل واحد يقابل عشرة. قال المفسرون : هذه الآية لفظها لفظ الخبر ومعناها الأمر ، مع أنه ليس فيها أمر في الكلام فيها نوع من البشارة أو شيء من هذا ، هذا كان في أول الأمر ثم بعد هذا نُسخ بقوله عز وجل { الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنكُمْ ... (٦٦) } ففُرض على الرجل أن يثبت لرجلين ، فإن زادوا يجوز له أن يفر أو ينحاز إلى فئة ، المهم أنه مُلزم أن يثبت أمام رجلين ، كان الحكم قبل النسخ يثبت الواحد أمام عشرة ، الآن واحد أمام اثنين .

**قراءات/ /{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ{٦٥} الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ{٦٦}

فهنا (إن يكن) مرت معنا في ثلاث مواضع :

{ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ} اتفق القراء جميعهم على قراءتها بالياء .

ولكن اختلفوا في (يكن) في الموضعين التاليين ٢. {وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً } ٣. { فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ } على ثلاث قراءات :

القراءة الأولى /قرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر بالتاء فيهما

كالآتي { وَإِن تكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً } و { فَإِن تكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ }

القراءة الثانية /قرأ عاصم ، وحمزة ، والكسائي بالياء فيهما

كالآتي { وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً } و { فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ }

القراءة الثالثة /قرأ أبو عمرو { وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً } بالياء ،، والثانية قرأها بالتاء لتصبح {إِن تكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ} .

يعني القراء رحمهم الله تعالى منهم من قرأ الموضعين الأخيرين بالياء ، ومنهم من قرأ الموضعين بالتاء ، ومنهم من قرأ الأول بالياء والثاني بالتاء .

- والمعنى من الكلام : إن يكن منكم عشرون صابرون عند اللقاء يغلبوا مائتين لأن المؤمنين يحتسبون أفعالهم وأهل الشرك يقاتلون بغير احتساب ولا طلب ثواب فإذا صدقهم المؤمنون القتال لم يثبتوا ،

(الشرح) نعم المؤمنون يقاتلون ويحتسبون الأجر عند الله تعالى ، وهم يدخلون المعركة وأمامهم أمران : إما أن ينتصروا ولهم الغنيمة وهذا ولله الحمد حلال لهم ، وإما أن يستشهدوا ولهم الجنة ، فهم يقاتلون لهدف . وأما الكفار فهم كالدواب بل البهائم أحسن حالاً منهم ، فهم يفرون وينكصون على أعقابهم ليس لهم هدفٌ ولا غاية ، بعكس المؤمنون الذي يقاتلون لهدف وغاية إما الظفر والمغنم وإما الشهادة ولذلك قال الله تعالى عن الكافرين {بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ} فهم لا يفقهون ولا يفهمون وليس لهم غاية ولا هدف ولذلك دائماً ينكصون على أعقابهم ويفرون ويهربون والتاريخ خير شاهدٍ على ذلك.

{الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٦٦)}

{ الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ } هذا هو النسخ ، هذه الآية هي التي نسخت ما قبلها ، كما قلنا في البداية أن الواحد يثبت أمام عشرة ثم نُسخ ليثبت الواحد أمام اثنين وهذا من فضل الله عز وجل .

**قراءات/ /{ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً } كلمة { ضَعْفاً } فيها قراءتان :

القراءة الأولى /قرأ عاصم ، وحمزة بفتح الضاد. القراءة الثانية /قرأ الباقون بضم الضاد .

هناك من العلماء من فرق وقال أن (الضم) لغة قريش و(الفتح) لغة تميم ، وقد جاء هذا في الضَعف والضُعف – والمَكث والمُكث – والفَقر والفُقر . وأن هذا يأتي في لغة العرب على باب فَعل وفُعل وهذه لغتان عند العرب والمعنى

واحد أنه : الضعف.

يعني كيف يستطيع واحد الصمود أمام عشرة ! هذا في مشقة وتعب ولكن لرحمة الله عز وجل جاء التسهيل والنسخ ، ومعروف أن من فوائد النسخ : التخفيف إلى الأسهل والأخف ، وقد يكون للأثقل كما ذكر من كتب في كتب النسخ ، ولكن هنا ولله الحمد جاء النسخ إلى التخفيف . كان الواحد أمام عشرة ، والآن واحد أمام اثنين ، وهذا أخف وأسهل{الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنكُمْ} فذكر الله عز وجل أن هنا يوجد تخفيف ورحمة منه سبحانه وتعالى

{فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ} هذا ذكرناه

{ بِإِذْنِ اللهِ} أي : بأمر الله تعالى وإرادته ، وهذا لا شك فيه بل معلوم أنه لا يقع شيء في هذا الكون إلا بأمر الله وإذنه وإرادته ومشيئته وهذه هي المشيئة العامة. وفي هذه الآية دلالة على أن المؤمن يجب أن يكون موصولاً بربه مؤمناً بقضاء الله وقدره ، متعلقاً بالله عز وجل .

إذا لم يكن عون من الله للفتى ** فأول ما يجني عليه اجتهاده

ثم خُتمت هذه الآية العظيمة بقوله تعالى { وَاللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } وهذه هي المعية الخاصة كما يسميها العلماء ، ومن ثمراتها وفوائدها : المعونة والنصرة والتأييد . ولا شك أن هذا للصابرين ، والصبر خصلة عظيمة والمجاهد في سبيل الله في أمس الحاجة إلى الصبر ، والدين كما قال العلماء قسمان : شكر وصبر . الصبر من أعلى مراتب الدين ، ومن المقامات الرفيعة فيه كما قال تعالى {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ}كيف والمجاهد في سبيل الله في أمس الحاجة إلى أن يصبر ويحتسب{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}.

الحلقة (١٧)

موضوع الحلقة تفسير الآيات ٦٧-٦٨-٦٩ من سورة الأنفال

{مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧) لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٨) فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٦٩)}

هذه الآيات وما سيأتي بعدها هو الكلام عن قضية أسارى بدر وموقف النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم معهم معروف ومثبت في كتب السنة وفي كتب السير وفي كتب التاريخ ،كيف كان تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع الأسرى وماذا أراد أن يفعل ، وأيضا الصحابة ماذا كان اقتراحهم للنبي صلى الله عليه وسلم ، هنا عند تفسير هذه الآية يذكر المفسرون ما رواه الإمام مسلم من حديث عمر بن الخطاب قال :

(لما هزم الله المشركين يوم بدر، وقُتل منهم سبعون وأُسر منهم سبعون -هذا الحديث في صحيح مسلم- استشار النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر وعليا رضي الله عنهم، فقال أبو بكر : "يا نبي الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، وإني أرى أن تأخذ منهم الفدية، فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار، وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضدًا"). -هذا رأي أبو بكر،كان رجل يحب السماحة واللين فقال: نأخذ الفدية ولعل الله سيهديهم ونستفيد من هذه الفدية بهذا المال يعيننا وينصرنا ونستفيد منه في لقاءات قادمة ثم أيضاً لعل الله أن يهدي هؤلاء الكفار، لعلهم يسلمون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما ترى يا ابن الخطاب ؟ -يسأل عمر ما رأيك- قلت : "والله ما أرى ما رأى أبو بكر، ولكن أرى أن تمكنني من فلان -قريب لعمر- فأضرب عنقه، وتُمكِّن عليًا من عقيل-وهو أخوه- فيضرب

عنقه، وتمكن حمزة من أخيه فلان فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أنه ليس في قلوبنا هوادة للمشركين، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم"). هكذا رأى عمر وكان رجل قوي وله شدته وبأسه في دين الإسلام رضي الله عنه، قال أنا لا أرى ما رأى أبو بكر بل أرى أن توزعهم علينا ونقتلهم وكل واحد يقتل قريبه من الكفار لأن هؤلاء خرجوا يقاتلوننا ، أنا أقتل قريبي فلان وعلي يقتل أخاه عقيل وحمزة يقتل أخا له ، هؤلاء كفار ويقتلون ولا نأخذ منهم أي شيء فماذا حصل ؟ النبي صلى الله عليه وسلم -كما جاء هنا في الحديث- (هَوِيَ رسول الله ما قال أبو بكر ولم يَهْوَ ما قلت -لأن المتحدث عمر- فأخذ منهم الفداء) النبي صلى الله عليه وسلم أخذ برأي أبي بكر، قال عمر : "فلما كان من الغد غدوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا هو قاعد وأبو بكر الصديق وهما يبكيان. فقلت: "يا رسول الله أخبرني، ماذا يبكيك أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت"

- ومعروف قوة علاقة أبي بكر وعمر بالنبي صلى الله عليه وسلم علاقة قوية ، في صحيح البخاري: "ذهبت أنا وأبو بكر وعمر" ، "جاء أبو بكر وعمر" دائمًا، هما وزيرا النبي صلى الله عليه وسلم-

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أبكي للذي عرض علي أصحابك من الفداء فقد عرض علي عذابكم أدنى من هذه الشجرة) -لشجرة قريبة عندهم- فأنزل الله {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا ....(٦٧)} .

وروي عن ابن عمر قال : "لما أشار عمر بقتلهم، وفاداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنزل الله تعالى {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ ...(٦٧)} إلى قوله {....حَلالاً طَيّباً (٦٩)} فلقي النبي صلى الله عليه وسلم عمر، فقال: (كَادَ يُصِيبَنَا فِي خِلافَكَ بَلاءٌ).

(الشرح) هذا كان في الأول أنه خشي النبي صلى الله عليه وسلم أن تأتيهم عقوبة - بل أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى عقوبتهم لولا فضل الله ورحمته وإحسانه - وأشار النبي صلى الله عليه وسلم أن عذابهم كان قريبا من هذه الشجرة ولكن الله عز وجل بعد ذلك {فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا (٦٩)} وعلى هذا استقر الأمر، ونحن دائما نربط هذه المسائل بولي الأمر ، قائد الجيش ،هو الذي ينظر إن كان يرى أن بعض الأسرى يُقتل من باب النكاية والتخويف أو أن بعض الأسرى كان شديد العداوة للمسلمين، مثل ما فعل قادة جيوش المسلمين فيما سبق فإنه يقتل، وإن رأى ولي الأمر مفاداة [1] أسرى كفار بأسرى مسلمين فهذا أيضاً لا حرج ، إن رأى أن يأخذ منهم الفدية (المال) فهذا أيضاً لا حرج ، إن رأى أن يعلموا المسلمين مثلاً الكتابة كما جاء في غزوة بدر أن بعضهم اشترط عليه أن يعلم أبناء الصحابة الكتابة فهذا لا حرج ، وإن رأى أن يطلقهم بدون شيء فهذا أيضاً لا حرج ، فولي الأمر ينظر في الأصلح ، إن كان يناسب أن يقتل واحد أو اثنين أو أقل أو أكثر فليقتل ، إن كان الأصلح أن تؤخذ منهم فدية فلتؤخذ ، أو مبادلة كأن يكون هناك أسرى للمسلمين عند الكفار فمثلا واحد بواحد أو واحد بعشرة على حسب الاتفاق [2]

{مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}

{مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ} (الأسرى) جمع أسير، وهو من يُقبض عليه بعد المعركة

---

[1] /مبادلة مع أسرى المسلمين.

[2] /تكرار

**قراءات/ قوله تعالى {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ} { أَنْ يَكُونَ } فيها قراءتان :

القراءة الأولى /قرأ أبو عمرو بالتاء {أَن تَكُونَ له أسرى}

القراءة الثانية /قرأ الباقون بالياء {أَن يَكُونَ له أسرى }

فالباقون قرؤوا على الظاهر لأن {أسرى} مذكر. ولكن أبو عمرو قرأها بالتاء لأن جمع التكسير يجوز أن يذكَّر ويؤنث مثل ما يقال : هؤلاء رجال وهذه رجال ، لا حرج ، فهذا في اللغة أن جمع التكسير قد يعامل معاملة التأنيث

**قراءات/ وأيضا يوجد قول سيأتيننا لاحقا وهو قول الله عز و جل{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ} فيها قراءتان :

القراءة الأولى /قرأ الجمهور عدا أبي عمرو { أَسْرَى } في الموضعين

{مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى} وأيضا {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ}

القراءة الثانية /أما أبو عمرو قرأها { أُسَارَى } في الموضعين

{مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسَارَىٰ} وأيضا {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسَارَىٰ}

{حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ} (الإثخان) في اللغة : بمعنى قوة الشيء وشدته ،

والمقصود بهذه الآية يحتمل معنيين :

المعنى الأول /أي : حتى يبالغ في قتل أعدائه . المعنى الثاني /أي :حتى يتمكن في الأرض .

**معنى الآية: أي ما كان لنبي أن يحبس كافرا قدر عليه للفداء أو المن قبل الإثخان في الأرض. وكانت غزاة بدر أول قتال قاتله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن قد أثخن في الأرض بعد.

(الشرح) يعني لا يجوز للنبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده من قادة الجيوش أنه يهتم في الفداء ويجمع الأموال ويترك نشر الدين والإثخان في الأرض حتى يتمكن من الناس {حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ} أي حتى يتمكن ، فلا يقدم مسألة الفدية على مصلحة أنفع وأهم وهي نشر هذا الدين.

{تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا } الكلام هنا للصحابة رضي الله عنهم والمراد بـ(عرض الدنيا) هو المال، وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قد فادوا يومئذ بأربعة آلاف أربعة آلاف. – أي أن كل واحد من الأسرى الكفار يدفع أربعة آلاف دينار[1]

وفي قوله { وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ } اختلف في معناها على قولين :

القول الأول مباشر/أي يريد لكم الجنة، فالناس يريدون الدنيا والله يريد لنا الجنة.

القول الثاني وهو مرتبط بالقول الأول /أي يريد العمل بما يوجب ثواب الآخرة ، أنتم تريدون الفدية والأموال وهذه عرض الدنيا ! والله يريد لكم عملاً صالحًا يوصلكم إلى الجنة ومنه الجهاد في سبيل الله والإثخان في العدو وعدم التساهل والمحاباة معهم . وإن حصل أسرى فهذا أمر آخر ،ولا شك أن الله يريد التوبة والإنابة والعمل الصالح.

{وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } (العزيز) هو الغالب الذي لا يُغلب. (الحكيم) هو الذي يضع الأشياء في مواضعها الصحيحة

{لَّوْلاَ كِتَـابٌ مِّنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٨)}

---

[1] ذكر عبيدة قال: كان فداء أسارى بدر مئة أوقية، و"الأوقية" أربعون درهمًا، ومن الدنانير ستة دنانير. (تفسير الطبري). وكان عدد الأسرى سبعون. والله أعلم

قوله تعالى {لَّوْلاَ كِتَـابٌ مّنَ للّهِ سَبَقَ } اختلف في المراد بهذه الجملة على خمسة أقوال :

القول الأول /أي : لولا أن الله كتب في أم الكتاب أنه سيحل لكم الغنائم لمسكم فيما تعجلتم من المغانم والفداء يوم بدر قبل أن تؤمروا بذلك عذاب عظيم. لكن الله جل وعلا جعل في علمه السابق أنه يحل هذه الغنائم لهم ، وهم –كما جاء في هذا القول- بادروا لأخذ الغنائم وبادروا لأخذ الفدية لكن فضل الله واسع أنه كتب عنده فيما سبق أنه سيحلها لهم.

القول الثاني /أي : لولا كتاب من الله سبق أنه لا يعذب من أتى ذنبا على جهالة لعوقبتم. **(الشرح)** الحمد لله هذا من فضل الله : أن الله لا يعذب من وقع في ذنب عن جهالة لكن من وقع الإصرار وعمد وصلف وعناد هذا يعاقب لكن من فضل الله جل وعلا أنه لا يعاقب من أتى ذنبا على جهالة ،لو كان معذبا لعذبكم .

القول الثالث /أي : لولا ما سبق لأهل بدر أن الله لا يعذبهم، لعذبتم، وقد جاء في الحديث (أن الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم)

القول الرابع /أي : لولا كتاب من الله سبق من أنه يغفر لمن عمل الخطايا (لعذبتم) ثم علم ما عليه فتاب، وهذا قول يدخل فيما سبق أن الله يغفر الخطايا ويتوب وهذا عنده تبارك وتعالى.

القول الخامس/أي : لولا القرآن الذي اقتضى غفران الصغائر لعذبتم.

وهذا القرآن هو فضل الله ورحمته قال تعالى {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (٥٧) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨)}. فنحن نحمد الله على هذا القرآن الذي فيه الرحمة والخير والهدى والفضل . "نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهل القرآن"

**وفي المراد بـ(الكتاب) {لَّوْلاَ كِتَـابٌ مّنَ للّهِ سَبَقَ } قولان :

القول الأول /أن المراد به ما كتبه الله تبارك وتعالى. -كتاب مكتوب حقيقة- قد يراد به ما كتبه الله في اللوح المحفوظ وقد يراد به القرآن.

القول الثاني /أن المراد به القضاء. أي لولا قضاء قضاه الله فيما سبق .

{فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٦٩)}

{فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ } **قال الزجاج :** "الفاء للجزاء. والمعنى: قد أحللت لكم الفداء فكلوا".

وهذا مما يدل على جواز الفداء وأن يؤخذ المال ويُستفاد منه في الأكل وفي غيره ، ليس مقصود الأكل -وذكرنا هذا مرارًا- أنه يعبر بـ (الأكل) عن الانتفاع بالمباح عمومًا لكن إنما يذكر (الأكل) لأنه أقرب مقصود بالانتفاع فليس المقصود الأكل فقط بل أيضاً يمكن الاستفادة من الفدية في شراء الأمتعة والحاجات والمقصود : الانتفاع بالمباح سواء في الأكل وغيره وقد خص الأكل بالذكر لأنه أقرب مقصود بالانتفاع.

إعراب//{حَلَالًا طَيِّبًا } (حلالًا) حال منصوب.

{ وَاتَّقُوا اللَّهَ } فالأمر هنا بتقوى الله عز وجل .والإنسان في معمعة الأحكام وهذه المسائل والقضايا مرتبط بربه جل وعلا وقد أمرنا فيما سبق بالتوكل على الله ، بالصبر ، بالاعتماد على الله ، والأمر هنا بتقوى الله ، وتقوى الله مقام عالٍ رفيع ،أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه .

{إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (غفور) أي لما أخذتم من الغنيمة قبل حلها. (رحيم) أي رحيم بكم إذ أحلها لكم.

فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب، وخباب بن الأرت ، يوم بدر على القبض-يعني يقبضون الغنائم- وقسمها النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة .

الحلقة (١٨)

موضوع الحلقة تفسير الآيات ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ من سورة الأنفال

{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ (٧٠) وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٧١) }

مراجعة الحلقة السابقة /سبق القول بأن الثلاث الآيات التي سبقت وهذه الآيات في الحديث عن أسارى بدر. من المعلوم أن الله جل وعلا نصر الصحابة مع الرسول صلى الله عليه وسلم بغزوة بدر ، وقتل من المشركين سبعون وأسر سبعون وحصل ما حصل مع الأسارى والنبي صلى الله عليه وسلم استشار أبا بكر فقال : نأخذ منهم الفدية ونستفيد من هذه الفدية في حياتنا وفي مستقبلنا وأيضا لعل الله أن يهديهم للإسلام بعد ذلك. عمر رضي الله عنه قال : لا ، بل أرى أن نقتلهم ، هل تمكني من فلان وعلي من فلان وفلان من فلان ونقتلهم حتى يعلموا أنه ليس عندنا هوادة.

الرسول عليه الصلاة والسلام مال إلى رأي أبي بكر ، ومن الغد بكى عليه الصلاة والسلام هو وأبو بكر وجاء عمر فقال "أخبراني أن كان شي يبُكي بكيت أو تباكيت ".فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم أنه أُري أن عذاب أصحابه قريبا من هذه الشجرة بسبب أخذهم الفدية ، وعلى كل حال فيما بعد الله عز وجل أباح لهم ذلك.

وقد قلت أن هذا منوط بولي الأمر فولي الأمر يرى ما هو الأصلح في الأسارى فإن رأى أنهم يقتلون والمصلحة في قتلهم سواء قتل واحد أو اثنين من باب الإرهاب والتخويف ، أو أنهم مفسدون أو انه حصل منهم ما حصل فهذا له. وإن رأى أنهم يتبادلون مع أسارى الكفار ، إذا كان عند الكفار أسارى من المسلمين وعندنا مجموعة من الكفار فنعمل تبادل بينهم. إن رأى ولي الأمر أنهم يؤخذ منهم الفدية فهذا لا حرج ، سواء فدية مال أو تعليم فهذا له. وإن رأى ولي الأمر أنه يطلقهم بدون شيء (لا مال ولا شيء) فهذا من صلاحيات ولي الأمر يرى ما هو الأصلح وما هو الأنفع والله المستعان.

 # سبب نزول هذه الآيات /هنا النبي صلى الله عليه وسلم أخذ الغنائم وقسمها وذكر المفسرون أن النبي صلى الله عليه وسلم ذهب بالأسرى معه إلى المدينة فانطلق بهم وفيهم : العباس ، وعقيل ، ونوفل بن حارث ، فكل منهم طُلب منه أن يدفع أربعين أوقية ، وحصل هناك مواقف بين هؤلاء الأسرى وكلام بينهم حتى نزل قول الله عز وجل {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ (٧٠)}

وإن العباس – عم النبي صلى الله عليه وسلم – كـلَّف أن يفدي ابنيّ أخيه فأدى عنهم ثمانين أوقيه من ذهب وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم **(أضعفوا على العباس الفدية)** -يعني أخذوا منه ثمانين أوقيه وقد كان فداء كل أسير أربعين أوقيه- فقال العباس لرسول الله صلى عليه وسلم : "لقد تركتني ما حييت أسأل قريشاً بكفي" -يعني أنت أخذت مني كثير فستضطرني إلى أن آخذ من قريش- فقال له النبي صلى الله عليه وسلم **(أين الذهب الذي تركته عند أم الفضل؟)** فقال : أي ذهب؟ قال **(إنك قلت لها إني لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا فإن حدث بي حدثاً فهو لك ولولدك)** ، فقال : ابن أخي من أخبرك؟ ، قال **(الله أخبرني)** ، فقال العباس : أشهد أنك صادق وما علمت أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل اليوم). فأسلم وأمر ابنيّ أخيه فأسلما ، وفيهم نزلت {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ ....(٧٠)}

(الشرح) هذا من أسباب النزول وهذا فيه خير ولله الحمد فإن جملة من هؤلاء الأسرى أسلموا بعد ذلك وعلى رأسهم

العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم ،

- استطراد / /[وكان رجلاً حازماً وشهماً رضي الله عنه وهو الذي حضر مع النبي صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة الثانية بعدما خاف على ابن أخيه وحضر مع النبي صلى الله عليه وسلم وكان سنه أكبر من النبي صلى الله عليه وسلم - قيل بسنتين- وكان فيه من الأدب والكرم لرسول الله صلى الله عليه وسلم. فكان إذا سئل من أكبر أنت يا العباس أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فكان يقول: "هو أكبر مني وأنا أسنّ منه". فلا يريد أن يقول أنه أكبر -وهو فعلا أكبر منه سناً- ولكنه يقول هو أكبر مني قدرًا ومنزلة وهذا بلا شك ، ويقول "أنا أسنّ منه" أي وأنا عمري في السن أكبر منه وهذا من أدبه واحترامه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من خيار الصحابة رضي الله عنه وكان عليه الصلاة والسلام يكرمه ويجله لأنه عمه رضي الله وأرضاه]

**قراءات/ /أذكركم أيها الأخوة بأني قد ذكرت في الحلقة السابقة أنه في قوله تعالى {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ (٧٠)} {أسرى} فيها قراءتان :

(١) قرأ أبو عمرو {أُسَارَى} ، (٢) الباقون قرؤوها {أَسْرَى}.

ونحن ذكرنا فيما سبق أن قول الله عز وجل {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنۡ يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ (٦٧)} وهنا أيضاً في هذه الآية {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ (٧٠)} أن أبا عمرو قرأها {أُسَارَى} وأن بقية القراء قرؤوها {أَسْرَى}.

{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ (٧٠)}

{إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا} المقصود به : إسلاماً وصدقاً. { يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ } أي : من الفداء

(الشرح) فأنتم أيها الأسرى الآن ستدفعون فدية ولكن إن كنتم ترجون الإسلام وستسلمون فإن الله سيعوضكم خير وأنتم على خير ، فهذا الدين والدخول فيه هو نعمة أكبر من الأموال ومن ما يخسره الإنسان أو يدفعه في فدية فدين الله ونعمة الله بهذا الدين لا تساويها نعمة وهي أعظم النعم وأعظم المنن هي أن هدانا لهذا الدين ، كما قال الله {بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَـٰنِ}. **قال سفيان بن عيينة رحمه الله :** "أعظم نعم الله على عباده أن عرّفهم لا إله إلا الله". فأعظم نعمة تعظيم نعمة الدين ، وأن من أعطي الدين فقد أُعطي كل شيء ومن حرُم الدين فقد حُرم كل شيء . إن أُعطيت الدين -الإسلام والإيمان- فاحمد الله فقد أُعطيت كل شي وإن كنت فقير ومريض ومعدم وخسرت حصل عليك ما حصل فالحمد الله أهم شي بقي لك هذا الدين واسأل الله الثبات عليه حتى تلقى الله عز وجل. ومن حُرم الدين فقد حُرم كل شيء ، حتى لو أعطي مال وصحة وخيرات ولكنه كافر يعيش في ظلمات الكفر والشرك هذا والله لا يبقى له شيء والله المستعان.

- وفي قوله تعالى {خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ } قولان :

القول الأول /أي أكثر مما أُخذ منكم، أي أن الله عز وجل سيعوضكم أكثر مما أُخذ منكم.

القول الثاني /أي أنه أحل وأطيب، أي أن الله يعوضكم ما هو أحل وأطيب مما أُخذ منكم.

- في المراد بقوله عز وجل { وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ } قولان :

القول الأول /أي يغفر لكم كفركم الذي كنتم عليه وأيضا قتالكم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

القول الثاني /أي يغفر لكم خروجكم مع المشركين.

لأن بعضهم قال انا أحب الإسلام وأرغب بالدخول في الدين ولكنني أُكرهت على أنني خرجت مع المشركين إما بسبب ضغوط نفسيه وغيره من الأمور .. {وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}

{وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٧١) }

{وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ} الضمير يرجع إلى هؤلاء الأسرى ، (الخيانة) هي الرجوع إلى الكفر بعد الإسلام .

{فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ} أي أنهم كانوا كفار قبل إسلامهم الذي أظهروه لك فقد كفروا بالله قبل أسرهم ، وقيل : أي أنهم خانوا بخروجهم معك.

➢ معنى {وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ} يعني أن أرادوا الردة والعودة للكفر بعد الإسلام فقد خانوا الله من قبل : أي كفروا قبل أسرهم.

{فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ } أي أن الله أمكنك منهم فقتلتهم وأسرتهم ونصرك عليهم ومن ذلك ما مكّنه منهم في معركة بدر

{وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} قال المفسرون : (عَلِيمٌ) أي بخيانةٍ إن خانوها -أي خيانة هم وغيرهم فالله لا يخفى عليه شيء- (حَكِيمٌ) بتدبيره عليهم ومجازاته إياهم،

الله جل وعلا يمهل ولا يهمل ، فقد يُجازون هنا في المعركة أو يعطون مهله فيقبض عليهم في مكان آخر أو يجازون بنوع من العقوبة كصاعقه أو قتل المسلمين أو أمراض وكله بأمر الله فهو حكيم في خلقه ومجازاتهم وعقوبتهم والأمر لله من قبل ومن بعد.

{إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَـٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلاَّ عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧٢) }

➢ هذه الآية اشتملت على ثلاثة أصناف من الناس :

الصنف الأول : هم المهاجرون { إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ }

هاجروا ديارهم وأموالهم وقومهم في نصرة الدين {وَجَـٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ} هم المهاجرون ، (الهجرة) هي الانتقال من بلد إلى بلد ، والمراد هنا : هي الهجرة من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام. قبل الفتح أُمروا الصحابة بالهجرة من مكة إلى المدينة وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم رضي الله عنهم وأرضاهم في سبيل الله وهؤلاء هم المهاجرون ، ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أن المهاجرين أفضل من الأنصار ولا يعني هذا أن الأنصار ليس لهم فضل بل الأنصار حبهم إيمان وبغضهم نفاق كما في الحديث الصحيح عن البخاري وغيره.

الصنف الثاني : { وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ } المراد بهم هنا : الأنصار وهم الأوس والخزرج في المدينة .

معنى (ءَاوَواْ) يعني ءَاوَواْ الرسول صلى الله عليه وسلم وأسكنوا المهاجرين ديارهم ونصروهم على أعدائهم رضي الله عنهم وأرضاهم وبذلوا في النصرة وفي الإيواء للمهاجرين شيئاً عظيماً ، فقد كان المهاجر إذا قدم من المدينة دفعه النبي صلى الله عليه وسلم إلى أحد الأنصار فيذهب إلى هذا الأنصاري فيكرمه ويقدره فيقول يا فلان أنا عندي بيت خذ نصفه وأنا نصف ، ويا فلان هذه مزرعتي فخذ النصف وأنا النصف ، ويا فلان عندي زوجتان اختر ما شئت فأطلقها وتتزوجها أنت رضي الله عنهم وأرضاهم.

➢ قال تعالى { أُوْلَـٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ } اختلف هنا في (الولاية) في الآية على قولين :

القول الأول /أي في النصرة ، كانوا يتناصرون مع بعض وهذا بلا شك فقد كانوا إخوة متحابين و متناصرين على الأعداء ومتعاونين على البر والتقوى.

القول الثاني /أي في الميراث ، وقال المفسرون : كانوا يتوارثون بالهجرة ، فكان المؤمن الذي لم يهاجر لا يرث قريبه المهاجر ، وهو معنى قوله { وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ } يعني المؤمن الذي لم يهاجر لا يرث من قريبه المهاجر، لنفرض أخ و أخ كلاهما مؤمنين أحدهما جلس في مكة والآخر هاجر ، لو مات المهاجر فإن الذي في مكة لا يرثه ولو كان مؤمن ولو كان أخوه فكانوا لا يتوارثون إلا بالهجرة.

**قراءات/ /{ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ }هنا في كلمة (ولايتهم) قراءتان

القراءة الأولى /قرأ أبن كثير ، وأبو عمرو ، ونافع ، وابن عامر ، وعاصم ، والكسائي (وَلايتهم) بفتح الواو .

القراءة الثانية /قرأ حمزة بالكسر (وِلايتهم) وقد انفرد هو بالكسر

➢ **والمعنى :** أي ليس بينكم وبينهم ميراث حتى يهاجروا . يعني ليس لهم نصيب في الميراث حتى يهاجروا .

وقد يكون المراد بها هنا النصرة ، يعني كيف ينصرونهم وهم لايزالون لم يهاجروا ! على كل حال هذه الآية نسخت بقول الله عز وجل {وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ}. وقال النبي صلى الله عليه وسلم (ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقى فلأولى رجل ذكر)

{وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ } أي إن استنصركم المؤمنون الذين لم يهاجروا فانصروهم .

يعني لو طلب منكم هؤلاء الذين لم يهاجروا النصرة فانصروهم ، لا بأس من معاونتهم بل هذا من الحقوق أن تنصروهم وتعاونهم.

{ إِلاَّ عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ } (ميثاق) أي : عهد

المعنى : لو طلبوا منكم النصرة على قوم بينكم وبينهم عهد فلا تغدروا بأرباب العهد.

(الشرح) يعني لو كان بينكم وبين ناس ميثاق وقال هؤلاء الذي لم يهاجروا : "ساعدونا" لا يجوز أن يُنقض العهد مع أولئك الكفار من أجل هؤلاء المسلمين ، فالدين الإسلامي دين يرعى العهود والمواثيق ويحرم الخيانة ونقض العهود. {وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ} من حق أخي أن أنصره وأساعده ولكن ليس لي أن أنقض العهد والميثاق الذي عقدته مع أناس بيني وبينهم عهد وميثاق من أجل هذا الشخص الذي لم يهاجر ! والميثاق بمعنى العهد فهذا لا يجوز أن ينُقض من أجل نصرة فلان وعلان.

{ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } الله لا يخفى عليه من عمل عبادة شيء.

➢ **يستفاد من هذه الآية :**

أن النصرة لابد منها ويجب أن ينصر المسلم أخاه المسلم وأتعاون معه ولكن ليس معنى هذا أن أنقض عهدًا وأخالف ميثاقًا بيني وبين قوم الكفار من أجل هذا الشخص ! بل إن رعاية العهود والمواثيق هذا أمر مقرر في دين الإسلام والله تعالى قد ذكر من وصف المؤمنين {وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ}. وقال جل وعلا {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ}. فلابد من الوفاء بها وحذر الإسلام من نقضها وعدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم من صفات المنافق قال (وإذا عاهد غدر) والله جل وعلا {لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ}. وقد جاء في الحديث (يقام لكل غادر لواء يوم القيامة يقال هذه غدرة فلان) فدين الإسلام ولله الحمد لا يتبطن نقض العهود أو يؤيد مخالفة المواثيق بل الإسلام يدعو إلى

احترام العهود والمواثيق ، والتحذير من نقضها وقد سبق ولله الحمد في آيات سابقة في تعاملنا مع الكفار {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ}. وكما ذكرت هذه الآيات وغيرها مما يدل أن الإسلام دين يرعى العهود وهو دين العدل ولا يعني أني أبغض كافرًا أو مشركاً أنني أنقض عهده فالله جل وعلا يقول {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}.

الحلقة (١٩)

موضوع الحلقة تفسير الآيات ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ وهي الآيات الثلاث الأخيرة من سورة الأنفال

{وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ(٧٣)}

مناسبة الآية لما قبلها / لما بين الله جل وعلا في الآيات السابقة حال المؤمنين من المهاجرين والأنصار ونعمة الأخوة والمحبة التي جعلها الله بينهم قال تعالى {وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}. ثم أيضاً ذكر الله جل وعلا حال المهاجرين وما بذلوا ، ثم حال الأنصار وما آووا ونصروا ، وأيضاً حال من لم يهاجر هو مؤمن لكنه لم يهاجر وإذا طلبوا النصرة فعلينا أن ننصرهم إلا على قوم بيننا وبينهم ميثاق وعهد فلا ننقض العهد والميثاق من أجل نصرة أولئك كما سبق بيانه في تفسير الحلقات السابقة ، هنا الحديث عن الكفار أنهم يتعاونون و يتناصرون والكفر ملة واحدة وهم وإن تفرقوا واختلفوا لكنهم يجتمعون على عداوة الإسلام وعلى كره المسلمين.

قال تعالى {وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ} اختلف فيه على قولين :-

القول الأول / أنه في الميراث. **القول الثاني /** أنه في النصرة. **وكلا القولين صحيح.**

(الشرح) فالكفار يتوارثون فيما بينهم ، لكن نحن عندنا معروف من موانع الإرث الكفر ، فلا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم ، لكن الكفار فيما بينهم يتوارثون على حسب معتقداتهم وعلى حسب ما توارثوه من آبائهم وأجدادهم من عادات ومن أعراف قبلية أو اجتماعية فيما بينهم فهم بعضهم أولياء بعض في الميراث ، والقول الثاني نعم هم أولياء بعض في النصرة فهم يتناصرون ويتعاونون نعم قد يظهر للناس أنهم يختلفون وأنهم كل إنسان يدعي أنه الحق ، ولكن إذا جاءت العداوة والبغض للمسلمين اجتمعوا واتحدوا وكانوا صفاً واحد والله المستعان.

ثم قال تعالى { إِلاَّ تَفْعَلُوهُ } الضمير هنا اختلف في مرجعه على قولين :-

القول الأول / أنه يرجع إلى الميراث ، فالمعنى إلا تأخذوا في الميراث بما أمرتكم به.

(الشرح) ذكرت فيما سبق أن الأخوة الإسلامية عند الصحابة رضي الله عنهم من أسباب الميراث ، وكانوا يتوارثون بالإخاء ، وكان الواحد منهم إذا جاء مهاجر وسكن المدينة وآواه أنصاري فإنهما يتوارثان ، وقد يرث الأنصاريُّ الأنصاريَّ وهو ليس بقريب له ، وعلى كل حال نسخ هذا بقول الله تعالى {وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ}. وبقوله صلى الله عليه وسلم (ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى رجل ذكر) وسيأتي بيانه لاحقاً. إذن أمروا أن يكونوا كما أمر الله عز وجل وكما سنه النبي صلى الله عليه وسلم في الميراث ، لذلك قال الله تعالى هنا {إِلاَّ تَفْعَلُوهُ} يعني إلا تلتزموا حكم الله جل وعلا وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم في الميراث تكن فتنة في الأرض وفساد كبير.

القول الثاني / أنه يرجع إلى التناصر -فإذا لم يتناصر المسلمون ويعين القوي الضعيف ويمد له يد العون ، ينصره بالمال ،

بالطعام ، بالكسوة أو ينصره بالقوة متى تيسر ذلك وما إلى ذلك ، تكن فتنة في الأرض وفساد كبير- **ولذلك قال المفسرون** : المعنى إلا تتعاونوا وتتناصروا في الدين. وبيانه : أنه إذا لم يتولَّ المؤمن تولياً حقاً ويتبرأ من الكافر أدى ذلك إلى الضلال والفساد في الدين فإذا هجر المسلم أقاربه الكفار ونصر المسلمين كان ذلك أدعى لأقاربه الكفار إلى الإسلام وترك الشرك.

(الشرح) وهذا مغروز- ولله الحمد- عندنا في عقيدتنا ، وهو أصل من أصول العقيدة ألا وهو "الولاء والبراء" حسب المفهوم الشرعي لا حسب ما أفهمه أنا وأنت وهو أن توالي إخوانك المسلمين فتؤدي حقوقهم الواجبة عليك والمستحبة أيضاً ، تحبهم وتنصرهم وتدعو لهم إلى غير ذلك من الحقوق ، كما أنك تتبرأ من الكفار ولو كانوا أقارب لك أو كانوا من جماعتك ، تتبرأ منهم ومن ديانتهم وترى أن ما هم عليه باطل وأنه لا يصح ، وكذلك لا تتشبه بهم إلى غير ذلك من صور البراء ، التبرؤ منهم جاءت صوره في كتاب الله وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم لكن لا يعني البراءة من الكفار الاعتداء عليهم أو قتلهم أو ظلمهم فهذا لا يجوز في دين الإسلام ، فعلى كل حال الولاء والبراء أصل عظيم من أصول عقيدة المسلمين لكن كما قلت حسب المفهوم الشرعي ، إذا لم يلتزم المسلمون بهذه العقيدة – عقيدة الولاء والبراء – حصلت الفتن ووقع الفساد الكبير هنا كما جاء في الآية.

**قراءات/ /{تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ} قرأ أبو هريرة و ابن سيرين {وَفَسَادٌ كَثِيرٌ} بالثاء وهي قراءة شاذة وقراءة الجمهور بالباء.

والقراءات الشواذ نحن لا نحرص الحقيقة على إيرادها ، لأنها قراءات شاذة. بركة منا وتوفيق إذا الله جل وعلا أعاننا على إتقان القراءات السبع أما القراءات الشواذ فيمكن الرجوع إليها في كتب التفسير أو الكتب التي أُلفت في القراءات الشواذ ، **ومن أشهر الكتب المؤلفة في القراءات الشواذ** : (١) مختصر في شواذ القران لابن خالويه. (٢) المحتسب في بيان وجوه القراءات الشواذ لأبي عثمان ابن جني. (٣) إعراب القراءات الشواذ للعُكبري. **كما أن من المفسرين من يعتني بذكر هذه القراءات الشواذ في تفسيره ومن أشهرهم** : أبو حيان في (تفسير البحر المحيط) فهو يعتني كثيراً بذكر القراءات الشواذ وقد ينقلها عن ابن عطية صاحب (المحرر الوجيز) ، وأيضاً تلميذ أبي حيان السمين الحلبي ينقلها كثيراً في كتابه (الدُر المصون) والقراءات الشواذ قد يكون لها فائدة مثل بيان مجمل أو توضيح كلمة لكن أن نعتقد أنها من القرآن لا ، ليست من القران! نحن كما قلنا نتدارس دائماً هنا في هذه الحلقات القراءات السبع فإذا جاءت قراءة سبعية خلاف بين القراء في كلمة فإننا نذكرها لأنها قراءة سبعية ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

{وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ }

{وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ} يعني هذه الآية تشمل المهاجرين الذين هاجروا في سبيل الله عز وجل ، والأنصار الذين آووا ونصروا ، وذكرت آنفاً أن من عقيدة أهل السنة والجماعة أن المهاجرين أفضل من الأنصار لسبقهم في الدين ولمعاناتهم وليس معنى هذا أن الأنصار ليس لهم فضل ! فعندما نقول أفضل ليس معناه أن الطرف الآخر فيه سوء أو فيه قبح حاشا وكلا ، يعني أن هذا فاضل وهذا فاضل ولكن هذا أفضل من هذا ، وقد ثبت في الصحيح البخاري وغيره (حب الأنصار إيمان وبغضهم نفاق) أو كما قال عليه الصلاة والسلام. ما ثوابهم ؟ قال تعالى {أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً} أي : هم الذين حققوا إيمانهم بما يقتضيه من الهجرة والنصرة بخلاف من أقام بدار الشرك. وهم سواء من الذين هاجروا من المهاجرين أو الذين آووا ونصروا من الأنصار رضي الله عنهم. قال تعالى { لَّهُم مَّغْفِرَةٌ

وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} (المغفرة) أي : التجاوز عن الذنب. (الرزق الكريم) أي :الرزق الحسن. وذلك في الجنة. إذن الرزق الكريم هو : الرزق الحسن في الجنة.

{وَالَّذِينَ آمَنُواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَـئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧٥)}

هذه الآية أولها في حق من هاجر بعد الفتح ، وقيل أنهم هم الذين هاجروا بعد الحديبية. ولذلك هنا يقول الله عز وجل {وَالَّذِينَ آمَنُواْ مِن بَعْدُ} أي : من المهاجرين الأولين. **قال ابن عباس :** "هم من الذين هاجروا بعد الحديبية". وقيل هم الذين هاجروا بعد الفتح. **(الشرح)** هذا يدل على فضل الصحبة ومما لا شك فيه أن من هاجر قبل الفتح أفضل ممن هاجر بعد الفتح ، ولكن ليس معناه كما يرى بعضهم – وهو رأي خاطئ وقول فاسد – أن من هاجر بعد الفتح لا يسمى صحابياً فهذا غير صحيح ! **فالصحبة** كما عرفها أهل السنة والجماعة وقد نقل ذلك الحافظ ابن حجر- رحمه الله – بأنها : من رأى النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً به ومات على ذلك ، لو رآه لو لحظة ، لو جلس معه لو قليلاً ، سواءً قبل فتح مكة أو بعد فتح مكة ، قبل صلح الحديبية أو بعد صلح الحديبية ، يعني تثبت له الصحبة مادام أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم ومات على ذلك ، بشرط أن لا يرتد وأن يكون قد رآه وهو مؤمن به ، حتى يخرج به من رآه كافراً ثم أسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فإن هذا لا يأخذ فضل الصحبة. يقول الله تعالى {وَالَّذِينَ آمَنُواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَـئِكَ مِنكُمْ} يعني هؤلاء يستحقون النصرة والتأييد ويأخذون حقوقهم.

ثم قال تعالى {وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ} (بعضهم أولى ببعض) أي : في المواريث بالهجرة. **(الشرح)** هذه الآية وآيات المواريث عموماً قطعت مسألة التوارث بالإخوة ، وأنه لا توارث إلا كما بينه الله وبينه رسوله صلى الله عليه وسلم بالنسب أو بالنكاح أو بالولاء هذه هي أسباب الميراث[1] ثلاثة كما بينه علماء الفرائض أي بالمواريث ، **قال ابن عباس :** "آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه وكانوا يتوارثون بذلك الإخاء حتى نزلت هذه الآية فتوارثوا بالنسب"

قوله تعالى {فِي كِتَابِ اللّهِ} أُختلِف في المراد به على ثلاثة أقوال هي :-

القول الأول /أنه اللوح المحفوظ .

القول الثاني /أنه القران. فقد بين لهم قسمة الميراث كما سبق لكم دراسته في تفسير آيات الأحكام من سورة النساء .

والراجح: أنه القول الثاني وهو القران .

القول الثالث/أنه حُكم الله .

ختمت هذه الآية بهذا الختم العظيم {إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} وكلمة (شيء) نكرة ، تدل على عموم الأشياء ، وأن الله عز وجل لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، فمن صفاته الذاتية سبحانه وتعالى العلم ، فعلمه محيط بجميع الأشياء ، صغيرها وكبيرها ، سرها وعلانيتها ، نجواها وحاضرها ، كل هذا لا يخفى على الله عز وجل فهو سبحانه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ، يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ولذلك قال القائل :-

يا من يرى مد البعوض جناحها .. في ظلمة الليل البهيم الأليل

---

[1] /قال الأستاذ أسباب النكاح ! سبق لسان.

ويرى نياط عروقها في نحرها .. والمخ في تلك العظام النحل
أُمنـن عليّ بتوبة أمحو بهـا .. ما كان مني في الزمان الأول

أهمية علم الفرائض :

في ختام هذه الحلقة ونحن في ختام سورة الأنفال أود أن أُذكر وأُؤكد على أهمية علم الفرائض ، فالعلماء يقولون : إن علم الفرائض هو نصف العلم . ما السبب ؟ قالوا : لأن الإنسان إما حي وإما ميت ، فإذا كان حياً يدرس أحكام ما لو كان حياً كالطهارة والصلاة والصيام والحج والبيوع والنكاح والآداب والحقوق إلى غير ذلك ، ثم هناك القسم الثاني وهو بعد موته فالعلم الذي يدرس هذه الحالة هو علم الفرائض ولذلك جاء الترغيب فيه ، والأحاديث التي يذكرها العلماء في الحث على تعليم الفرائض بعضهم يضعفها ، وبعضهم مع مجموع الطرق يحسنها لغيرها ، مثل حديث (تعلموا الفرائض فإنه ينسى في آخر الزمان) وجاء في بعض الروايات (أنه لا يجد الناس في آخر الزمان من يقسم لهم في علم المواريث) وهذا حق الحقيقة يعني الآن في هذا الزمن فكيف بما يأتي ! فالفرضيون أي الناس المتقنون لعلم الفرائض قلة لولا توفيق الله ثم أنه يدرس ولله الحمد في جامعاتنا وفي دروس المشايخ لاندثر هذا العلم ، وغير ذلك من الأسباب كحفظ المتون وغيرها ، لكن ولله الحمد الآن بخاصة في جامعتنا في كليتي الشريعة وأصول الدين تدرس مادة الفرائض ، **فلابد من العناية بتعلم الفرائض عن طريق أمور :**

١. إما وهذا هو الأفضل هو أن نتدارس الآيات التي جاءت في الفرائض ولذلك يقول العلماء : من فضل علم الفرائض أن الله عز وجل تولى قسمة الفرائض بنفسه ولم يكلها لأحد من خلقه وهذا يدل على شرف هذا العلم وسبحان الله آياته معدودة هي : الأولى {يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ }. والثانية {وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ}. والثالثة {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ}. وعندنا هذه الآية وهي جزء من آية **{وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ}** وأيضاً في سورة الأحزاب {وَأُوْلُو الْأَرْحَامِ} فهذه هي آيات الفرائض ، وجملة قليلة من الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذن نحن ننصح الأخوة بقراءة تفسير آيات الأحكام المرتبطة في الفرائض سوف تجد فيها علماً وتستفيد وتتفقه .

٢. العناية في حفظ المتون ، ومن أفضلها وأنسبها (متن الرحبية) في الفرائض .

٣. قراءة الشروح والكتب التي أُلفت في علم الفرائض سواءً في كتب الفقه أو في الكتب المستقلة إما هي شرح على هذا المتن أو على غيره مثلاً أو كتب مستقلة ، تجدون في المكتبات علم الفرائض ، كيف تقسم الفرائض وهكذا ، يعني الإنسان يقتنيها ويقرأ فيها ، ومن أفضلها (الفوائد الجلية في المباحث الفرضية) لسماحة والدنا الشيخ عبد العزيز ابن باز رحمه الله تعالى من أنفس الكتب ، وأيضاً كتاب الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله (تسهيل الفرائض) أيضاً يعتبر من أنفس الكتب فهو كتاب تعليمي واضح ومناسب ولله الحمد .

٤. أن نعتني بحضور مجالس العلماء التي تُعنى بشرح الفرائض وتعليمها،نعم ولله الحمد كما قلت قبل قليل هي تدرس في الجامعات وفي المؤسسات التعليمية ومن ذلك جامعتنا ولله الحمد ، ولكن مع ذلك ينبغي أن تقرأ هذه المتون أو هذه الشروح أو تفسير هذه الآيات على المشايخ في دروسهم العلمية تجني بذلك وبعد ذلك إتقاناً لعلم الفرائض ، ولا شك أن علم الفرائض نظرياً قد يكون فيه صعوبة ولكن بالتطبيق يرسخ ولذلك لا يكفي في تعلم الفرائض مجرد الحفظ الحجب حجب نقصان ، حجب حرمان، من الذي يحجب؟ من كذا؟ من الذي لا يحجب ؟ - هذا فقط لا يكفي ، لابد أن تتمرن بالمسائل ، يعني تأخذ مسائل وتحلها أو تطلب من الشيخ أو الأستاذ أن يعطيك واجب تأخذه وتذهب به إلى

البيت وتحله وتأتي به من الغد ، بإذن الله يرسخ هذا العلم النفيس في ذهنك ، فلنتواصى سوياً على العناية بعلم الفرائض وعلى مدارستها ومذاكرتها .

الحلقة (٢٠)

موضوع الحلقة مقدمة عن سورة التوبة ، تفسير الآيتين الأولى والثانية

- **أولاً/سورة التوبة مدنية وهي من أواخر ما نزل**

سورة التوبة سورة مدنية بالإجماع - وهي تعتبر من أواخر ما نزل من القران - ما عدا الآيتين الأخيرتين في سورة التوبة وهي قوله تعالى { لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨) فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (١٢٩)} فإنها نزلت بمكة ، وقد روي أن بعض العرب سمع قارئاً يقرأ هذه السورة فقال الأعرابي : إني لأحسب هذه من آخر ما نزل من القران ، قيل له : ومن أين علمت ؟ قال : إني لأسمع عهوداً تُنـبَذ ووصايا تنفذ. يعني أنها تشتمل على وصايا وعلى عهود ، وكما سيأتي أن السورة تسمى (سورة الفاضحة) لأنها فضحت حال المنافقين ولم يكن بمكة يومئذ نفاق ، لما كان النبي صلى الله عليه وسلم فيها قبل الهجرة كان هناك يا مؤمن يا كافر ، لكن بعد الهجرة نعم وجد في المدينة مؤمن ومنافق ويهودي وكافر.

- **ثانيًا/اختلف أيضاً في أول ما نزل من هذه السورة في المدينة على ثلاثة أقوال :-**

القول الأول/أن أول ما نزل منها قوله تعالى {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ (٢٥)} في قصة حُنين

القول الثاني/أن أول ما نزل قوله تعالى {انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً (٤١)}

القول الثالث /قوله تعالى { إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ(٤٠)} وهذه الأقوال الثلاثة لا دليل عليها.

- **ثالثًا/سورة التوبة لها أسماء كثيرة منها :**

١) سورة التوبة.

٢) براءة. وهذان الاسمان هما المشهوران عند الناس

٣) سورة العذاب.

٤) المُقشقشة **قاله ابن عمر.**

٥) سورة البَحوث لأنها بحثت عن سرائر المنافقين.

٦) الفاضحة لأنها فضحت المنافقين وهذا من أشهر أسمائها أيضاً - يعني يلي التوبة وبراءة بعدها الفاضحة

٧) المُبعثِرة لأنها بعثرت أخبار الناس وكشفت عن سرائرهم.

٨) المُثيرة لأنها أثارت مخازي المنافقين ومثالبهم.

٩) الحافرة لأنها حفرت عن قلوب المنافقين.

فهي تدور حول فضيحة المنافقين وكشف دواخلهم وهتك أستارهم ، لكن لو جئنا نرتبها : المشهور في أسمائها التوبة وبراءة هذان هما المشهوران عند الناس وعند العلماء وفي المجالس العلمية ، أيضاً يليها الفاضحة ، هذه هي الثلاثة الأسماء المشهورة ثم يليها بعد ذلك جملة من الأسماء مثل : سورة العذاب ، المُقشقشة ، البَحوث ، المُبعثرة ، المُثيرة ، الحافرة ، عدّ العلماء لها تسعة أسماء.

➢ **رابعاً/لماذا لم تكتب البسملة في بدايتها ؟**

العلماء من قديم وهم يتكلمون في هذه المسألة لا أقول في كتب التفسير فقط بل حتى في الكتب العلمية الأخرى ، ولكن أشهر شيء يذكر في كتب التفسير هذه الأقوال :-

القول الأول /قصة عثمان رضي الله عنه مع ابن عباس. وهي أن ابن عباس قال لعثمان رضي الله عنهما : ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المئين ، فقرنتم بينهما؟؟ [يعني معروفة أن الأنفال أقصر من السور التي قبلها والتي بعدها وهي سورة التوبة ، فهو يسأل ابن عباس فيقول : ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما بسم الله الرحمن الرحيم] فقال : "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أُنزل عليه شيء يدعو بعض من يكتب فيقول : ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ، وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة ، وبراءة من آخر القرآن ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، وقُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها ، فظننا أنها منها ومن ثَم قرنت بينهما ولم أكتب بينهما بسم الله الرحمن الرحيم. **وهذا القول هو الراجح**

القول الثاني /رواه محمد بن الحنفي قال : قلت لأبي –يعني علياً – لمَ لم تكتبوا في البراءة بسم الله الرحمن الرحيم ؟ فقال : "يا بني : إن البراءة نزلت بالسيف ، وإن بسم الله الرحمن الرحيم أمان" ولذلك سُئل سفيان بن عيينة فقال : "التسمية رحمة والرحمة أمان ، وهذه السورة نزلت في المنافقين" يعني أنها لا تناسب بداية السورة لأنه كما قلت أن البسملة فيها رحمة (بسم الله الرحمن الرحيم) وبدايتها فيها براءة وفيها شدة فلم يناسب هذا مع هذا.

القول الثالث /أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كتب في صلح الحديبية (بسم الله الرحمن الرحيم) لم يقبلوها وردوها ، فما ردها الله عليهم. هذا القول على أنهم عُوقبوا لأنهم ما كتبوها فلذلك لم تكتب في بداية السورة ، هذا القول فيه ضعف.

****ملخص/ /أرجح الأقوال والله أعلم قصة ابن عباس مع عثمان عندما بين له أن سورة الأنفال قصتها شبيهة بقصة التوبة ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم توفي ولم يذكر لهم فيها شيئاً ولذلك قال جمعت بينهما ولم أكتب بينهما (بسم الله الرحمن الرحيم) القول الثاني /أن البسملة فيها رحمة وأمان ، وبداية هذه السورة فيها زجر وترهيب وبراءة ، فلم يناسب هذا مع هذا والله أعلم ، القول الثالث /قول ضعيف الحقيقة وهو أن المشركين لما رفضوا كتابة (بسم الله الرحمن الرحيم) في صلح الحديبية عاقبهم الله لأنها لم تكتب لهم في بداية هذه السورة

➢ **خامسًا/ما سبب نزول هذه السورة ؟**

قال المفسرون : "أخذت العرب تنقض عهوداً بنتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمره الله تعالى بإلقاء عهودهم إليهم ، فأنزل براءة في سنة تسع فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أميراً على الموسم ليقيم للناس الحج في تلك السنة ، وبعث معه صدرًا من براءة ليقرأها على أهل الموسم ، فلما سار دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً وغيره من الصحابة وأمرهم بأن يقرؤوا هذه الآيات على الناس ، وأيضاً مما تضمنه (أنه لا يحج بعد هذا العام مشرك ، ولا يطوف في البيت عُريان ، ولا يدخل الجنة إلا نفسٌ مؤمنة) كان يدور بهذا بين الناس ويلقيه عليهم علي وأبو هريرة رضي الله عنهما وغيرهما من الصحابة"

المهم هذا هو سبب النزول أنه لما كانت العرب في بداية نقضها للعهود ، بعضهم نقض العهد الذي وضعته بينها وبين

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نزلت هذه السورة ، بأن من نقض عهده ينبذ إليه عهده ، وفيه أيضاً تخويفٌ وترهيب والله أعلم

➢ سادسًا/كم عدد الآيات التي بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قيل : أربعون آية ، قيل ثلاثون آية ، قيل عشر آيات ، قيل سبع آيات ، وقيل تسع آيات والله أعلم بصحة هذا ولهذا نصرف النظر عنها .

➢ تفسير الآيتين الأوليين :

{بَرَاءةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ (١)}

٨٨ إعراب//قوله {بَرَاءةٌ} هي مرفوعة هنا ، ما وجه رفعها ؟ أنها خبر لمبتدأ محذوف والتقدير : هذه براءة ، ومثلها أيضاً {سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا}. والتقدير : هذه سورة أنزلناها ، فكلاهما خبر لمبتدأ محذوف

معنى (براءة) أي : قطع الموالاة. قال المفسرون : البراءة قطع الموالاة وزوال الأمان. إذن هذا معنى {بَرَاءةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ} أي قطع الموالاة وزوال الأمان الذي كان بينهم ، النبي صلى الله عليه وسلم وضع عهود ومواثيق لكنهم نقضوا العهد ونبذوا الميثاق ولذلك الله عز وجل أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتبرأ منهم ، وينبذ إليهم عهودهم ومواثيقهم

قوله تعالى {إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم} الخطاب في قوله تعالى {إِلَى الَّذِينَ} إلى اسم موصول لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمراد هو رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه هو الذي كان يتولى المعاهدة وأصحابه راضون ، فكأنهم بالرضا عاهدوا أيضاً ، فهذا هو المقصود {إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم} الخطاب للصحابة رضي الله عنهم ومعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن من المعلوم أن الذي يبرم المعاهدة هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه ولي الأمر [وقد ذكرت فيما سبق أن ولي الأمر منوطة به حقوق وواجبات ومسائل لا يجوز للرعية أن يتدخلوا فيها أو أن ينفذوها أو يحكموا فيها ، بل هو الذي يتولى ذلك ، ومن ذلك المعاهدة ، يتعاهد مع قوم ، يبرم صلح أو شروط معينة بينه وبين قوم آخرون يتولاها ولي الأمر ، وهو ينظر بالأمر الأصلح ويستشير ناس خبراء أو لجان أو غير ذلك ، المهم أن هذا الأمر موكلٌ إليه ، ولا يجوز لأحد من العامة لا أن يبرم عهداً ولا أن ينقض عهداً ، إلا إنسان بينه وبين عمال عنده في بناء بيت أو في عمل أو في كذا هذا أمر آخر، نحن نقصد مثل هذه المعاهدات الكبيرة هذه كما قلت يختص بها ولي الأمر] لذلك هنا المفسرون قالوا : {إِلَى الَّذِينَ} مع أن المقصود رسول الله صلى الله عليه وسلم {إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ} لكن هو خُوطب ، والمراد هنا الصحابة رضي الله عنهم ، الخطاب موجه للصحابة رضي الله عنهم والمراد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه هو الذي كان يعاهد ولكن بما أن الصحابة راضون بذلك خُوطبوا معه كأنهم هم الذين عاهدوا ، وهذا عام في كل من عاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

{مِّنَ الْمُشْرِكِينَ} قال بعض المفسرين : هم ثلاثة أحياء من العرب : خزاعة ، وبنو مدلج ، وبنو جَذيمة -وبعضهم يقول جُذيمة والأمر سهل- هؤلاء ثلاثة أحياء من العرب هم الذين عاهدوا الرسول صلى الله عليه وسلم ثم نقضوا العهد ، وهذا ضرب مثال.

{فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ وَأَنَّ اللّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (٢)}

قوله تعالى {فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ} أي انطلقوا فيها آمنين لا يقع بكم منا مكروه. ساح فلان أي انطلق ، هذا خطاب للكفار أي انطلقوا آمنين لا تخافون ولكن اعلموا أنكم غير معجزي الله ، فرضاً أحداً أراد أن ينقض العهد أو كذا

فنحن نقول له أنت لا تعجز الله تبارك وتعالى ، لا أحد يعجز الله ، الله جل وعلا لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، إذن معنى الآية أي انطلقوا فيها آمنين لا يقع بكم منها مكروه هذا الكلام للكفار.

➢ **هنا الآية الأولى أسلوبها أسلوب الغائب ، وهنا في الثانية أسلوبها أسلوب المخاطب ، هذا ما يسميه العلماء في علوم القرآن وفي علم البلاغة وأيضاً في النحو (الالتفات)** ، لأن الأساليب عندنا ثلاثة : إما متكلم ، أو مخاطب ، أو غائب ، فمرة كذا ومرة كذا هذا يسمى التفات أي تنوع بالأساليب ، وهذا بلا شك فيه تجديد للذهن وفيه فائدة ،كما أنه على وجه الخصوص فيه فوائد أخرى ، **فهنا ذكر العلماء قالوا : أن هذه الآية للمخاطب {فَسِيحُواْ} ، والآية الأولى للغائب {بَرَاءةٌ مِّنَ اللّهِ} فأُجيب عنه بجوابين :**

١. أنه جائز عند العرب الرجوع من الغيبة إلى الخطاب. أي أسلوب الالتفات وهو مشهور في الكتب.
٢. أن في الكلام إضمار (شيء محذوف) تقديره : فقل لهم سيحوا في الأرض أي اذهبوا فيها و اقبلوا وأدبروا.

وقوله {أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ} لمن جُعلت هذه الأربعة أشهر ؟ أُختلف في المراد بهذا على أقوال :-

القول الأول /أنها أمان لأصحاب العهد ، فمن كان عهده أكثر منها حُط إليها ، ومن كان عهده أقل منها رُفع إليها. يعني أن معناها هي السقف المعين للعهود ، فمن كان عهده ستة أشهر ينزل إلى أربعة ، ومن كان عهده ثلاثة أشهر يرتفع إلى أربعة ، يعني أنها حد معين لأصحاب العهود.

القول الثاني /أنها للمشركين كافة من له عهد ومن ليس له عهد. هذا القول أعم من السابق ، أنها عامة يعني الذي له عهد يرجع إلى هذه الأربعة ، والذي ليس له عهد يعود إلى أربعة أشهر أيضًا.

القول الثالث /أنها أجل لمن كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد آمنه على أقل من أربعة أشهر أو كان أمانه غير محدود ، فأما من لا أمان له فهو حرب. يعني هذه الآية خاصة فيمن له أمان ، طيب الذي ليس له أمان فهذا ليس له إلا الحرب.

القول الرابع /أنه أمان لمن لم يكن له أمان ولا عهد .

على كل حال هذه الأقوال فيها شيء من التكرار لكن نحن نقول هي ترجع إلى ما يلي :-

القول الأول : أنها أمان لأصحاب العهد ،فمن كان عهده أكثر من الأربعة يرجع إليها ، ومن كان عهده أقل من الأربعة يرتفع إليها .

القول الثاني : للمشركين كافة ، من له عهد ومن ليس له عهد .

القول الثالث : أنها أجل لمن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمنه هذا له أربعة أشهر ، والذي لم يؤمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس له حد معين ، وإنما يعتبر محارب .

قوله تعالى {فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ} ما المراد بهذه (الأربعة أشهر) ؟؟ قيل :-

القول الأول / أن المراد بها الأشهر الحُرُم (رجب ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، ومحرم) **هذا قول ابن عباس وهو القول المشهور**

القول الثاني /أن أولها يوم الحج الأكبر وهو يوم النحر وآخرها العاشر من ربيع الآخر ، يعني محسوبة على أنها أربعة أشهر.

القول الثالث /أنه شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، فما ذكر هنا رجب وإنما جُعل بدلاً عنه شوال .

القول الرابع / أن أولها العاشر من ذي القعدة وآخرها العاشر من ربيع الأول .

ثم ختم الله عز وجل الآية بقوله {وَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ} المعنى : أنكم إن أُجِّلتم أيها الكفار هذه الأربعة

الأشهر فلن تفوتوا الله ولن تهربوا ، أي أنكم أيها الكفار وإن أُمهلتم وإن أُعطيتم هذا الأمان وهذا العهد لمدة أربعة أشهر ، فاعلموا أنكم لن تفوتوا ولن تعجزوا ولن تهربوا من الله تبارك وتعالى.

قوله {وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ} يعني أن الله جل وعلا ناصر عباده المؤمنين على الكفار ولذلك قال الزّجاج رحمه الله – وهذه كلمة جميلة – : " هذا ضمان من الله لنصرة المؤمنين على الكافرين " أن الله جل وعلا إذا أخزى الكافر فبإذنه جل وعلا ينصر المؤمن عليه ، معنى نُصرة المؤمن أنه ينتصر على الكافر وأن الله يخزي هذا الكافر ، لأن الله جل وعلا لا يفوت هؤلاء الكفار ولا غيرهم ، ثم هو أيضاً جل وعلا يُخزي هؤلاء الكفار وينصر عليهم عبادة المؤمنين.

الحلقة (٢١)

موضوع الحلقة تفسير الآيات ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ من سورة التوبة

{ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ(٣)}

قوله تعالى {وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} (الأذان) بمعنى الإعلام ، ومنه أذان الصلاة وهو : الإعلام بدخول وقتها ، قوله تعالى {إِلَى النَّاسِ} أي للناس ، والناس هنا عام في المؤمنين والمشركين. {يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ} هذه الكلمة فيها خلاف عند الفقهاء رحمهم الله ، ما المراد بيوم الحج الأكبر ؟ على ثلاثة أقوال:

القول الأول /أنه يوم النحر. لأن عليًا رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن يوم الحج الأكبر فقال (هو يوم النحر) ومن أفضل طرق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن ، أو أن يفسر القرآن بالسنة. والحقيقة أن هذا من حيث النظر **هو القول الراجح** لأنه يوم تجتمع فيه أعمال الحج ، معظم أعمال الحج تجتمع في ذلك اليوم ، ففيه أولاً رمي جمرة العقبة ثم بقية الأعمال مثل الحلق أو التقصير ، وذبح النسك لمن كان متمتعاً أو قارناً ، وفيه طواف الإفاضة ، وسعي الحج ، وفيه أيضاً المبيت ليلة الحادي عشر والثاني عشر يعني على تفصيل عند العلماء.

القول الثاني /أنه يوم عرفة. وهو الحقيقة قول قوي. ولا شك أنه يوم عظيم مشهود عند الله عز وجل ، والله جل وعلا يباهي بأهل الموقف أهل السماء ، فيقول (انظروا إلى عبادي أتوني شعثاً غبراً ما أراد هؤلاء ؟) وفي رواية أخرى (أني قد غفرت لهم)

القول الثالث /أنها أيام الحج كلها ، وعُبِّر عن الأيام باليوم. وهذا صحيح و وارد ولا مانع. وهذا أسلوب معروف عند العرب أنهم يعبرون عن الأيام بيوم واحد كما يقال يوم بُعاث ، ويوم الجمل ، ويوم صفين مع أنها ليست يوم واحد بل هي الحروب كانت أيام ، يعني يوم بُعاث ليس بيوم واحد اقتتل فيه الأوس والخزرج بل أيام كثيرة لكن أطلق عليها يوم واحد ، ومثلها يوم الجمل ويوم صفين ليست بيوم واحد بل أيام عدة ولكن عبر عنها بيوم واحد .

****مسألة /لماذا سمي بيوم الحج الأكبر ؟ لماذا وصف بـ (الأكبر) ؟ ذكروا أقوالاً :**

القول الأول /أنه سمي بذلك لأنه اتفق في سنة حج فيها المسلمون والمشركون ووافق ذلك عيد اليهود والنصارى. مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (لا يحج بعد العام مشرك)[1] ولقد حج أبو بكر بالناس قبل النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم ولم يحج معه مشرك ، فهذا بلا شك ليس في حجة النبي صلى الله عليه وسلم

---

[1] حديث صحيح /البخاري /الجامع الصحيح /رقم ٣١٧٧

لكن قد يكون هذا في حجة أبي بكر بالناس والله أعلم ، وعلى هذا القول يقول أيضاً أنه وافق عيد اليهود والنصارى

القول الثاني /أن الحج الأكبر هو الحج نفسه ، و الحج الأصغر هو العمرة.

القول الثالث /أن الحج الأكبر هو القِران ويدخل فيه التمتع ، والأصغر هو الإفراد والله أعلم .

قوله تعالى {أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ} التقدير : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً بريء من المشركين.

استطراد/ /ولذلك يقولون أن أعرابياً في زمن عمر رضي الله عنه كان دينه رقيق - لم يتمسك بالدين جيدًا - فسمع قارئًا يقرأ {أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ (وَرَسُولِهُ)} بكسر اللام ، يعني عطف الرسول على المشركين ، فذهب الإعرابي وقال : "أنا أيضاً أتبرأ من هذا الدين الذي يتبرأ الله فيه من المشركين ومن الرسول صلى الله عليه وسلم" فردَّه عمر ، وعزل هذا القارئ وعلَّمَه أنه كاد يهلك هذا الأعرابي بسبب هذه القراءة ، وهذا يدل على أهمية أمور اللغة ، ولله الحمد نحن في القرآن نأخذه مشافهة يعني المسألة ليس فيها رفع ونصب لا ! القرآن عزيز يُتلقى من أفواه الشيوخ ، ثم أيضاً ننتبه إلى أن اللحن في كلام الله أو في أي كلام عموماً يقلب المعنى كما قلبه هنا.

ثم قال تعالى {فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ} فهذا الخطاب للكفار ، {وَإِن تَوَلَّيْتُمْ} أي : أعرضتم ونكصتم عن الإيمان {فَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ} وهذا سبق الكلام عنه أي أنكم لا تفوتون الله ولا تهربون منه ، {وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} مرّ بكم أن (البشارة) هنا جيء بها من باب الاحتقار والاستهزاء والازدراء والنكال بهؤلاء المشركين ، لأن العادة أن البشارة تكون بشيء حسن مثل تبشر بمولود أو وظيفة أو تعيين أو نجاح في دراسة، هكذا عادة أن البشارة في الشيء الذي يسر والذي يفرح ، لكن هنا يبشر الكفار بعذاب أليم قالوا : هذا من باب التهكم والاحتقار وهو أيضاً زيادة نكال ، يعني لو قيل مثلاً أنك تعاقب فستعاقب ، ولكن يفاجأ عن طريق البشارة بأن هناك عذاب وعقوبة لا شك أن هذا فيه نكال وفيه خزي وفيه عقوبة وازدراء واحتقار لهؤلاء.

{إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ(٤)}

{إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَداً} هنا أمر الله عز وجل بالبراءة من أولئك إلا صنفاً وهم : الذين عاهدهم من المشركين { ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئاً } أي : لم يـخلُّوا بهذا العهد ولم ينقضوه {وَلَمْ يُظَاهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَداً} أي : ولم يعينوا عليكم أحداً من الكفار ، ومعنى (المظاهرة) هي المساعدة والمعاونة ، يعني لم يساعدوا عليكم أحداً

{فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ} مادام أنهم في عهد قديم وما نقضوه ولم يظاهروا علينا المشركين أي لم يعينوهم ولم يساعدوهم فقال جل وعلا {فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ} أي أُمروا بالوفاء وإتمام مدتهم إذا لم يُخشى غدرهم {فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ} يعني أمضوه واستمروا عليه {إِلَى مُدَّتِهِمْ} يعني إلى المدة التي حُددت معهم {إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}

{فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥)}

قوله تعالى {فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ} اختلف في المراد بالأشهر الحرم هنا على قولين :

القول الأول /أنها رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم. **وهذا قول الأكثرين وهذا هو القول الصحيح والراجح** ، (رجب مضر بين جمادى وشعبان).

القول الثاني /أنها الأربعة الأشهر التي جُعلت لهم فيها السياحة. فيما مضى نحن قلنا {فَسِيحُوا فِي الأَرضِ أَربَعَةَ أَشهُر}. هذا يرجع إلى الأقوال السابقة.

قوله تعالى {فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ} انسلخت يعني انتهت ومضت ، {فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ} أي : من لم يكن لهم عهد أما الذين لهم عهد فلا يجوز ، لأن الله استثناهم في قوله {إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم} التوبة. فهنا الآية في حق من لم يكن له عهد ، {حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ} يعني في أي شيء سواء في الحل أو في الحرم ، أو في الأشهر الحرم. قوله تبارك وتعالى {وَخُذُوهُمْ} أي : أُأْسروهم. المقصود بـ(الأخذ) هنا أي : الأسر ، الأخيذ هو الأسير،

وقوله {وَاحْصُرُوهُمْ} يعني احبسوهم ، (الحصر) هو الحبس ، وقد يراد به الحِصار، **قال ابن عباس :** "إن تحصنوا فاحصروهم" ، الحصر هنا يشمل السجن ، فلان حصير أي سجين ، احصروهم يعني اسجنوهم ، وقد يراد : إن تحصنوا فحاصروهم ، وهذا قد يقع مثل ما حصل للنبي صلى الله عليه وسلم مع أهل الطائف (ثقيف) فقد تحصنوا فحاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم ، ومثله أيضاً يهود بني النظير ، ويهود خيبر ، هؤلاء كلهم تحصنوا فحاصرهم الرسول صلى الله عليه وسلم. قوله تعالى {وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ} يعني على كل مرصد أي المقصود في كل مكان وفي كل مقام اقعدوا لهم ، وهذا فيه حث على مجاهدتهم و على قتالهم ، قوله {فَإِن تَابُواْ } أي من الشرك ، المسألة ليست مسألة ذنوب ومعاصي وإنما مسألة شرك.

وقوله {وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } المقصود في {وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ} هنا قولان :

القول الأول /من المفسرين من يقول : اعترفوا بذلك.

القول الثاني /أنه الفعل. **والصحيح أنه الفعل لأنه لا يكفي الاعتراف بل لابد من الفعل ،** المقصود الفعل. هنا القول أن المقصود الاعتراف صحيح في البداية ولكن لابد من الفعل لا يكفي مجرد أن الإنسان يعترف فقط لابد من الاعتراف والفعل.

هنا في هذه الآية دليل على أهمية إقام الصلاة الله عز وجل أول ما ذكر ذكر إقام الصلاة ، ولا يخفى على شريف علمكم أن إقام الصلاة – التعبير بهذه الكلمة- أدق وأشمل من كلمة (وأداء الصلاة) ، يعني لو كان بدل {وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ} (وأدوا الصلاة) لا ! لأن الأفضل (الإقامة) لأن العلماء قالوا لفظ (الإقامة) يشمل الإتيان بها كما صلاها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفي وقتها ، وخالصة لله عز وجل ثم أيضاً {فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ} مما يدل على أهمية الزكاة أنها جُعلت قرينة الصلاة في مواضع كثيرة من القرآن ، ولذلك قال أبو بكر- رضي الله عنه - في حروب المرتدين : "لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة قرينة الصلاة " نحن نلحظ أن الزكاة دائماً تذكر غالباً مع الصلاة مثلاً {وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ} وهنا مثلاً {فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ} هذا مما يدل على أهمية الزكاة وهي الركن الثالث من أركان الإسلام.

{وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ (٦)}

هذه الآية تدل على سماحة هذا الدين وعلى رغبة المسلمين في أن الناس يدخلون في دين الله بدون شدة وبدون إكراه ، أي إنسان يرغب أنه يتعلم هذا الدين ، يتصفح ، يقرأ ، يسمع كلام الله عز وجل لا مانع ، أنا أعرف إنسان يهودي أو نصراني أو وثني ويرغب أهديه شريط من القرآن ، أعطيه كتاب نبذة عن الإسلام هذا جيد ، لأن كثير من الناس

وللأسف الآن وبسبب الإعلام الخاطئ يشوه صورة المسلمين وأنهم إرهابيون وأنهم همج أو رعاع ، أو أنهم يهضمون حقوق الإنسان ، أو يهضمون حقوق المرأة وهذا كله كلام غير صحيح ، فهؤلاء في أمَسّ الحاجة أن نعلمهم ، ونعطيهم الصورة الصحيحة للإسلام ،

فالله جل وعلا هنا يقول {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ} (استجارك) بمعنى : استأمنك وطلب الأمان {فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ} أي : يسمع القرآن وينظر فيما أُمر به ونُهي عنه {فَأَجِرْهُ} يعني أمّنه ، أستأجرك فأجره المقصود الأمان ، يعني أمِّنه حتى يسمع كلام الله ، هنا في قول الله عز وجل {حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ}[1] هذا فيه إثبات أن القرآن من كلام الله عز وجل ، وأن كلام الله له صوت وحرف ، فكلام الله جل وعلا مسموع ومنه هذا القرآن.

{ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ} يعني بدون خوف وبدون رعب ، (أبلغه مأمنه) يعني أوصله وبلغه الموضع الذي يأمن فيه. **(الشرح)** لا تتركه خائفاً مذعوراً بل يتفضل عندنا ويسمع ونحن نكرمه بعد ذلك نوصله للمكان الذي يأمن فيه حتى لا تأتيه غائلة أو يُقتل أو غير ذلك ، وهذا يدل على عظمة هذا الدين وفضله وسماحته وحبه للخير للناس.

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ} أُختلف في المراد على قولين :-

القول الأول /أي ذلك الذي أمرناك به من أن يعرفوا و يجاوروا لجهلهم بالعلم. **(الشرح)** هم جهلة لا يعرفون ، كثير للأسف من الناس عموماً على وجه الأرض لا يعرف شيء عن الإسلام ، وإن عرف شيئاً فهو يعرف معلومات خاطئة ومغلوطة للأسف .

القول الثاني /أن ذلك الذي أمرناك به من رده إلى مأمنه إذا امتنع من الإيمان لأنهم قوم جهلة بخطاب الله. **(الشرح)** يعني لنفرض أنه جاء وسمع وشرحنا له وأعطيناه كتيب ، ولكنه رجع وقال : لا ! هذا يدل على أنه لا يعلم لو كان يعلم لآمن ودخل في هذا الدين ، ولكن على كل حال نحن نقيم عليه الحجة وندعوه إلى الله عز وجل .

أعيد وأكرر هذه الآية تدل على سماحة هذا الدين ، وعلى رغبته في أن يدخل الناس في دين الله أفواجا وأن الإسلام لا يتشوف إلى إراقة الدماء ، وهذه دعوة لي ولكم أن نكون دعاة خير ، ورسل خير للناس عن طريق الكلمة الطيبة ، نسمعه القرآن ، نعطيه شريط لكن لا نمكنه من أن يتصفح القرآن ، فالقرآن لا يمسه إلا المطهرون ، نعطيه بعض الكتيبات المنتشرة الآن باللغات الأخرى باللغة الانجليزية ، الفرنسية ، بجميع اللغات ولله الحمد ، نستطيع أن نهديه كتاب عن صور عن الإسلام ، عن نبينا صلى الله عليه وسلم ، أو بكلمة طيبة أو بمناصحة أو بالتصرف الطيب ، كم من الناس ملك قلوب الناس بحسن تعامله قبل أن يدعوهم بلسانه ، قبل ذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم امتلك قلوب الناس بحسن أخلاقه وحسن تعامله ، وما قصة ذاك اليهودي الذي أسلم لما رأى تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم معه وقد زار ذاك الغلام فأسلم ، وقد خرج النبي عليه الصلاة والسلام وهو يقول (الحمد لله الذي أنقذه الله بي من النار) إلى غير ذلك من الوقائع .

[1] /أخر الأستاذ ذكر هذه الفائدة لكن وضعناها هنا لأجل ترتيب السياق.

الحلقة (٢٢)

موضوع هذه الحلقة: تفسير الآيات ٧ ، ٨ ، ٩ من سورة التوبة.

{ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧) }

قوله تعالى {كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ } أي : لا يكون لهم عهد ، الاستفهام هنا إنكار ونفي ، أنه لا يكون لهم عهد. فالمقصود أن (كيف) هنا استفهام إنكاري ونفي ، كيف يكون للمشركين عهد ؟ أي لا يكون لهم ذلك. {إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} اختلف في المراد بهؤلاء على أقوال :

القول الأول /أنهم بنو ضَمْرَة.

القول الثاني /أنهم قريش وهم مشركوا قريش الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية فنكثوا وظاهروا المشركين.

القول الثالث /أنهم خزاعة.

يذكر أهل العلم بالسير ذلك العهد الذي أبرمه النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين المشركين وكان من بنوده :

- البند الأول : أن النبي صلى الله عليه وسلم يرجع مع أصحابه ولا يعتمرون.
- البند الثاني : أنهم يعتمرون في السنة القادمة.
- البند الثالث : أنه من جاءنا من الكفار مسلماً نرده إليهم ، ومن هرب من المسلمين مرتداً إلى الكفار فإنهم لا يردونهم إلينا.

غضب بعض الصحابة كعمر رضي الله عنه وقال : هذا فيه هضم لنا فالنبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن من هرب وهاجر من الكفار إلى المسلمين فإن الله سيجعل له مخرجا ، وهذا مثل ما فعل أبو جندل وأبو بصير وغيرهم ، وأما من ارتد من المسلمين إلى الكفار هذا لا بارك الله فيه ! فعلى كل حال وإن كره بعض الناس هذا الصلح لكن حصل فيه خير وفيه نعمة وفيه بركة ولله الحمد ، هو وإن حصل فيما يظهر أن فيه هضم للصحابة ، كيف هذا يُرد وهذا لا يرد ؟ وجعلوا هذا الصلح زمناً ، جعلوا بينهم هذا الصلح أنهم لا يتقاتلون - هذا أيضاً من بنود الصلح - أنهم لا يتقاتلون ، وأن من دخل مع النبي صلى الله عليه وسلم في حلفه فإنهم معه ، وأن من دخل مع الكفار فإنهم معهم ، فدخلت قبائل مثل بكر مع قريش ، ودخلت بنو خزاعة مع النبي صلى الله عليه وسلم ، هذه هي شروط صلح الحديبية وأيضاً لها تفاصيل أخرى.

قوله تعالى {فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ} {مَا} هنا شرطية أي : إن استقاموا لكم فاستقيموا لهم ، يعني إن استمروا في العهد و التزموه فعليكم أن تلتزموه ، يعني {مَا} هنا ليست نافية ، بل {مَا} هنا شرطية ، **(الشرح)** وبالفعل استمروا في العهد كذا سنة ، ولكن بني بكر اعتدت على خزاعة وحصل فيهم مقتلة عظيمة ، وَثَبَت بنو بكر على خزاعة في الليل وقتلت منهم ، فجاءت خزاعة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يستنجدون يقولون كيف الآن ! أنت بينك وبين كفار قريش عهد ، ومن دخل معك يكون معك ، ومن دخل معهم يكون معهم ، لكن الآن هذه بكر اعتدت علينا ! بعد ذلك انتقض العهد ولم يبقَ بينهم وبينهم عهد ، لذلك قال الله جل وعلا{ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ} يعني إن استمروا والتزموا بهذا العهد فالتزموا أنتم أيضاً به.

قوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} في هذه الآية إثبات صفة المحبة لله عز وجل وأنها من الصفات اللائقة به جل وعلا على وجه لا يشابه فيها خلقه ، فهو جل وعلا يحب المتقين ويحب التوابين ويحب المتطهرين ، ونفى محبته عن غيرهم ممن جاء ذكره في كتاب الله عز وجل.

{كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (٨)}

قوله تعالى {كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ} أي : كيف يكون لهم عهد وإن يظهروا عليكم ، فحذف ذلك لأنه قد سبق. يعني كيف يلتزمون بالعهد وهم في قلوبهم خيانة ويَودُّون قتالكم ويَودُّون النصرة عليكم ، لكنهم قد يبرمون هذا العهد لمصالح والمسلمون أيضاً ولله الحمد يكون لهم فيه مصلحة ، لكن المقصود {كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ} يعني : كيف يكون لهم عهد وهم الذين إن تتيسر لهم سبل النصرة عليكم والفتك بكم فعلوا ذلك ، فالله جل وعلا هنا يقول {كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ} (يظهروا) أي : يقدروا ويظفروا.

قوله تعالى {لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ } فيه ثلاثة أقوال :

القول الأول /أي لا يحفظوا. **القول الثاني** /أي لا يخافوا. **القول الثالث** /أي لا يراعوا.

والحقيقة أن هذه الأقوال كلها صحيحة ، وهذا يعبر عنه علماء التفسير بأنه اختلاف التنوع وليس اختلاف التضاد ، فكل من المفسرين عبّر بالمعنى الذي يراه مناسب ، فمعنى {لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ } القول الأول (لا يحفظوا) أي : لا يحفظوا فيكم لا عهد ولا ميثاق ، القول الثاني (لا يخافوا) أي : لا يخافون الله ولا يخافونكم، القول الثالث (لا يراعوا) أي : لا يراعوا عهداً ولا ميثاقًا.

قوله تعالى {إِلًّا وَلَا ذِمَّةً } (الإل) هذه من الكلمات الغريبة في القرآن الكريم

- **استطراد/** وهناك من العلماء من اعتنى بالغريب – غريب القرآن – الكلمات الغريبة ، ومن الكتب المشهورة في السوق : ١.(المفردات في غريب القرآن) للراغب الأصفهاني ، وهو أشهر كتاب وهو الذي إذا اقتنيته فيه البركة والخير إن شاء الله ، ٢. (تُحفة الأريب بما في القرآن من الغريب) لأبي حيان الأندلسي صاحب التفسير، ٣. (عمدة الحُفاظ في تفسير أشرف الألفاظ) للسمين الحلبي وهذا الكتاب يعتبر هو أوسع الكتب التي أُلفت في غريب القرآن]

نعود ونقول (الإل) اختلفوا فيه على أقوال :-

القول الأول /أنه القرابة. **وهذا رواه جماعة عن ابن عباس وهو القول المشهور .**

القول الثاني /أنه الجوار.

القول الثالث /أنه الله عز وجل. وهذا القول فيه ضعف.

القول الرابع /أنه العهد.

القول الخامس /أنه الحلف. والحلف شيء معروف كان عند العرب وأقره الإسلام على وضعه الصحيح ، عقد بين قبيلة وقبيلة أو بين قوم وقوم .

أما قوله {وَلَا ذِمَّةً} (الذمة) أُختلف في المراد بها على ثلاثة أقوال ، وهي أقوال متقاربة :-

القول الأول /أنها العهد. **وهو قول ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وجماعة.** يعني لا يرقبوا فيكم لا قرابة ولا جوار، ولا ذمة يعني ولا عهد، متى؟ متى ما ظهروا عليكم وتقوّوا وقويت شوكتهم.

القول الثاني /أنه التذمم ممن لا عهد له – الذين ليس لهم عهد ولكن لهم ذمة .

القول الثالث /أنه الأمان. وأُستشهد على هذا بقول النبي صلى الله عليه وسلم **(ويسعى بذمتهم أدناهم)** يعني بالأمان.

قوله تعالى {يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ} أُختلف في المراد بهذه الجملة على ثلاثة أقوال :-

القول الأول /يرضونكم بأفواههم في الوفاء وتأبى قلوبهم إلا الغدر. **(الشرح)** يعني هم صحيح يعطونكم بلسانهم معسول الكلام وأنهم سيلتزمون، ولكن في قلوبهم الحقيقة الغدر ، ويتحينون أي فرصة يغدروا، حتى يغدروا بالمسلمين ، فهم يرضونكم بمعسول الكلام وبالكلام الطيب، ولكن في داخل قلوبهم الخبث والغدر والخيانة.

القول الثاني /يرضونكم بأفواههم بالعِدة (الوعد) بالإيمان وتأبى قلوبهم إلا الشرك. **(الشرح)** هم يعدونكم احتمال نؤمن ، سنتبصر ، ولكن في قلوبهم لا يمكن يتزحزحوا عن شركهم ، إذن هم يرضونكم بأفواههم الإيمان وأنهم سيؤمنون ويعدون بذلك ولكن في قلوبهم يضمرون الشرك .

القول الثالث /أي يرضونكم بأفواههم في الطاعة - وهذا الكلام على أنه ليس مع الكفار وإنما مع الناس عموماً - وتأبى قلوبهم إلا المعصية. **(الشرح)** يعني يعدك أحدهم بعد ما تنصحه فيقول : "إن شاء الله سأصلي" ، "سأبرّ والدي" ، يذكر جمل من الطاعات ولكن في قلبه المُكث على المعصية والتمسك بالحرام.

هذه ثلاثة أقوال : أقربها لسياق الآية هو القول الأول ، قول الله عز وجل {يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ} أي يرضونكم بأفواههم في الوفاء أنهم سيفون وتأبى قلوبهم إلا الشرك ، أنهم سيستمرون على الشرك. وعلى كل حال هم لا يضرون إلا أنفسهم ، لنفرض أنهم يعني أقنعوا المؤمنين أو أنهم أخذوا بكلامهم لكن الضرر والسوء عليهم في الدنيا والآخرة ، إن أفلتوا عن المؤمنين واستمرت الحياة معهم ، لكن الله جل وعلا لا تخفى عليه السرائر ولا تخفى عليه خفايا النفوس.

قوله تعالى {وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ} (الفسق) هو : الخروج من الطاعة إلى المعصية. هذا هو المصطلح العام له و (الفسق) في اللغة هو : الخروج على وجه الإفساد. ولذلك يقال للفأرة (فويسقة) لأنها تخرج فتفسد. **وهنا قال ابن عباس رضي الله عنه في تفسير الآية على وجه الخصوص :** "خارجون عن الصدق ، ناكثون للعهد"

{اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩)}

قوله تعالى {اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا} الحديث عن من؟ أُختلف في المراد به على قولين :

القول الأول /أنهم الأعراب الذين جمعهم أبو سفيان على طعامه. **(الشرح)** وكان يسيّرهم ويذكر لهم أن دين النبي صلى الله عليه وسلم دين باطل غير صحيح ، وكان هذا قبل إسلامه رضي الله عنه ، فكان يجمعهم على الطعام وبعض الناس يُدعى على بطنه ، يدعى على عقله ، فهؤلاء كانوا يجتمعون على الطعام ويهزؤون بالقرآن وبدين الإسلام وينفرهم من هذا الدين.

القول الثاني /أنهم قوم من اليهود. **(الشرح)** ومعروف أن اليهود يعلمون صدق النبي صلى الله عليه وسلم ، ويعرفون أن دين الله هو الحق، ولكنهم جحدوا وعاندوا وكابروا ، وهذا من صلفهم وعنادهم.

إذن ما المقصود بـ(آيات الله) ؟ هنا {اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا}

على القول الأول /يكون المقصود بها حُجج الله وبراهينه مما تضمنه القرآن الكريم وهذا الكون مما يدل بمخلوقاته العجيبة على أن الله جل وعلا هو المستحق للعبادة ، كما قال القائل :

فوا عجباً ! كيف يُعصى الإله ... أم كيف يجحدُه الجاحد

وفي كل شيء لـــه آيةٌ ... تدل على أنه الـــواحدُ

وعلى القول الثاني /يكون المقصود بها التوراة ، ولا شك أنهم حرفوا وبدلوا وغيروا في التوراة من أجل موافقة أهوائهم ،

وكانوا يحذفون أشياء مثل ما صنعوا في آية الرجم وأشياء كثيرة ، يعني تلاعبوا في كتاب الله المنزل إليهم وهو التوراة.

قوله تعالى {اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا } (الثمن القليل) هو: ما حصلوه بدلاً من الآيات. **(الشرح)** نعم هم كسبوا أموال في التلاعب على الناس ، وتلاعبوا بدين الله من أجل أن يكسبوا قلوب الناس وأن يكونوا معهم في صفهم ، كسبوا أموالاً وحصلوا أشياء كثيرة ، لكن بئس المال وبئس الجمع {اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا} هم الحقيقة حصلوا أشياء كثيرة ولكن هنا وصف الثمن بأنه قليل ! الواقع و الحقيقة أنهم حصلوا أثمان وربحوا أشياء وجمعوا الناس عليهم فكيف وصف الثمن بأنه قليل ! {اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا} وصف بالقليل لوجهين :-

الوجه الأول : لأنه حرام. والحرام قليل ، لا بركة فيه. **(الشرح)** "كل جسم نبت من سحت فالنار أولى به"، الحرام ولو كان كثيراً لا بركة فيه ، وهذا ملاحظ للذين يتعاملون بالحرام ، مثل هؤلاء ومثل الذين يأكلون الربا ، أو الذين يتعاملون بالرشوة ، أو الغش ، أو يأكلون أموال الناس بالباطل ، وأشياء من هذا ، تجد سبحان الله أموال وأرصدة ولكن لا بركة فيها تزول بسرعة ، تصيبها جوائح ، يُحرم صاحبها من الانتفاع بها ، فالحرام قليل مهما كثر لا بركة فيه.

الوجه الثاني : لأنه من عرض الدنيا الذي بقاؤه قليل. **(الشرح)** ولا شك ماذا تكون الدنيا أمام الآخرة ؟! ماذا يكون هذا النعيم وما يؤتاه الإنسان في الدنيا أمام نعيم الآخرة ! إنه عرض قليل ، وعرض الدنيا زائل ، لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ، ما سقى كافراً منها شربة ماء لكن لا تساوي عند الله جناح بعوضة.

قوله تعالى { فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ} أُختلف في المراد بـ(السبيل) هنا على أقوال :-

القول الأول / قيل عن بيته. يعني عن بيت الله عز وجل - الكعبة - وذلك حين منعوا النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية دخول مكة وأن يرجع السنة القادمة.

القول الثاني / أي عن دينه بمنع الناس منه. هذا هو القول المشهور والراجح.

القول الثالث / أي عن طاعته في الوفاء بالعهد.

{ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (ساء) بمعنى : بئس ، يعني بئس العمل الذي يعملون .

الحلقة (٢٣)

موضوع الحلقة تفسير الآيات ١٠ ، ١١ ، ١٢ من سورة التوبة

{لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (١٠) فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١١) وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (١٢)}

هذه الآيات في سياق الحديث عن حال الكفار وعن فضح أعمالهم وبيان نياتهم السيئة فهم يفرحون بمضرة المسلمين وأن الدوائر تكون عليهم ، وكل ضرر يصل إلى المسلمين فهو يسر الكفار ، وأنهم يتحينون الفرص وينتهزون اللحظات المناسبة حتى تكون لهم الغلبة على المسلمين ولكن { وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ(٣٠)}. {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}. ونحن ولله الحمد من عقيدتنا الولاء و البراء ، نوالي المؤمنين ونتبرأ من الكفار ، ونتبرأ بالمنظور الشرعي فنحن نتبرأ من عقيدتهم ومن أعمالهم ونحمد الله الذي عافانا مما ابتلاهم به ولكن ليس معنى هذا الاعتداء عليهم أو بخسهم حقوقهم، بل نحن ولله الحمد نتعامل معهم من منظور عالي ومرتفع ، في وقائع التاريخ تجد الكفار هم

الذين ينقضون العهد ، ومع ذلك المؤمنون يتعاملوا معهم تعامل راقي ومرتفع لا يتعاملون لحظوظ أنفسهم بل هم يتعاملون على ضوء من كتاب الله ومن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

الآيتان الأوليان هنا مضى بعض مفرداتها في الآيات السابقة ولا مانع من إعادة هذه الكلمات الغريبة وهي

{ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ(١٠)}

{لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ} (لا يرقبون) كما قلت فيما سبق أنها تحتمل ثلاثة أقوال أي : ١) لا يحفظون. ٢) لا يخافون. ٣) لا يراعون. كل الأقوال صحيحة فهم لا يحفظون العهود والمواثيق ولا يراعونها. ثم هم أيضاً لا يخافون الله ولا يخافون من خلقه ، كما قيل "من لا يخاف من الله خف منه" الإنسان الذي لا يمنعه الخوف من الله أن ينقض العهد أو أن يجرم فهذا يُخاف منه. القول الثالث أنهم لا يراعون ولا يحفظون العهود والمواثيق.

{إِلًّا وَلَا ذِمَّةً} (الإل) سبق وإن ذكرت أن فيه خمسة أقوال :

القول الأول /أن المراد به هم القرابة **وهو القول المشهور عند المفسرين والمروي عن ابن عباس رواه عن جماعة من تلاميذه.**

القول الثاني /أنه الجوار.

القول الثالث /أنه الله تعالى. أنهم لا يرقبون إلاً أي : لا يرقبون الله ، الحقيقة إطلاق كلمة (إل) على الله هذا شيء غريب الحقيقة ولا يعرف ، ولذلك أقول أن هذا القول الثالث قول ضعيف.

القول الرابع /أنه العهد أي : لا يرقبون عهداً.

القول الخامس /أنه الحلف. والحلف كما لا يخفى عليكم كان معروف عند العرب كحلف الفضول ، والحلف الذي عُقد في بيت عبد الله ابن جدعان وكان من مشاهير ومن كبراء كفار قريش ، ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم فيما معناه **(إني شهدت في بيته حلفاً لو دعيت في الإسلام إلى مثله لأجبت)** لأنه حلف لنصرة المظلوم وكف الظالم والإنصاف والعدل ، ومع ذلك هذا عبد الله بن جدعان لما ذكرت عائشة إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يكرم الضيف ويكسب المعدوم و..و.. فأخبر عليه الصلاة والسلام أنه في النار، فقال **(أنه لم يقل يوماً ربي اغفر لي خطيئتي يوم الدين)** الكافر إذا مات على كفره فإنه إلى النار حتى ولو كان عنده أعمال وحسنات فالله جل وعلا لا يظلمه ولا يبخسه حقه بل يعجل له ثوابه في الدنيا ، فقد يكسب شهرة بين الناس ، قد يكسب حباً ، قد يكسب نمواً في أمواله وصحة في بدنه لكنه في النهاية مآله إلى النار{إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ}. مثلاً نحن نسمع الآن في الدنيا أن فلان كان يبني ملاجئ للأيتام ، وفلان جعل المال الذي يُكسب تلك الليلة للمعاقين كذا وكذا، نقول هذا عمل طيب ولكن ما دام أنه كافر لا يستفيد من عمله ، قال الله عز وجل {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا}. فيجب أن نعرف هذا لأننا دائماً نسمع أن فلان يبني ، وفلان أنفق ، وفلان وزع مواد غذائية ، نقول إذا كان كافر هذا لا ينفعه يوم القيامة نعم يأخذ حظه في الدنيا ، يكسب شهرة ، يكسب محبة عند الناس ، تنمى تجارته ونحو ذلك {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا}. لكن في الآخرة لا ، مآله إلى النار إن مات على الشرك والكفر {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ }. وقال عليه الصلاة والسلام **(لا يدخل الجنة إلا نفسٌ مؤمنة) ، (من مات وهو يدعو لله نداً دخل النار) ، (من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ، ومن لقي الله يشرك به شيئاً دخل النار)** ، فهذه عقيدة مقرة ولله الحمد ، وأنا أقول هذا الكلام لأننا نسمع ونرى

فنحن ولله الحمد أمة إنصاف وعدل ونبين الحق.

• على كل حال هذه خمسة أقوال في (الإل) قيل أنه : ١) القرابة. ٢) الجوار. ٣) أنه الله تعالى. وقلت أن هذا القول فيه ضعف حيث لا يعرف أنه يطلق كلمة (إل) على الله عز وجل ! ٤) العهد. ٥) الحلف. **وقلت أشهرها هو القرابة ، والقول الثاني لا بأس به أنه الجوار.**

قوله تبارك وتعالى {إِلًّا وَلَا ذِمَّةً} (الذمة) ذكرت أن فيها ثلاثة أقوال :

١) أنه العهد. **وهذا هو القول المشهور**

٢) أنه التذمم ممن لا عهد له. أي الذي ليس له عهد له ذمة

٣) أنه الأمان. واستدلوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين (ويسعى بذمتهم أدناهم) يعني بالأمان ، المسلمون تتكافأ به دمائهم و..و.. ومن ضمن جمل الحديث (ويسعى بذمتهم أدناهم) بذمتهم يعني بالأمان ، ولذلك لما جاءت أم هانئ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: يا رسول الله إني قد أجرت فلان ابن فلان من أحمائي - يعني من أقاربي - وإن ابن أخي يريد أن يقتله أو أن يعتدي عليه ، فقال عليه الصلاة والسلام (قد أجرنا من أجرتي يا أم هانئ)

قوله تعالى {وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ} بلا شك أن هؤلاء هم الظالمون الذين بدؤوا بالاعتداء والظلم على الناس ، ما دام أن فيه عهد وميثاق لماذا ينقض العهد والميثاق ! لماذا يتحينون الغِرة ويتحينون الفرص ! حتى يعتدوا على المؤمنين وينقضوا العهد كقصة بنو بكر الذين سطوا على خزاعة ، خزاعة كانوا معهم جنباً إلى جنب ويعيشون في أمان وفي صلح ، بنو بكر تبع قريش ، وبنو خزاعة تبع النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا جعلهم يسيرون بجانب بعض ويتعايشون ، ولكن استغلت بنو بكر الفرصة ليلة من الليالي واعتدوا على بنو خزاعة ، و بنو خزاعة ما كانوا متهيئين وإلا كانوا يستطيعون أن يدافعوا عن أنفسهم ، لا يوجد أحد لا يستطيع أن يدافع عن نفسه كل أحد يقدر على ذلك ، لكن يؤتى على حين غرة ، لا بجانبه سيف ولا رماح ولا عنده سهام وهو غير مستعد وقد يكون نائم ! ولذلك قتلوا فيهم مقتلة عظيمة ، وجاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبروه بما صنعت بنو بكر ، ومعنى ذلك أنه انتهى وانتقض العهد والميثاق الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أبرم في صلح الحديبية.

{فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١١)}

يقول تعالى {فَإِنْ تَابُوا} أي من الشرك. تكررت الآية مرة أخرى {وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ} وقد ذكرت فيما سبق أن (إقام الصلاة) لفظ عظيم دقيق ليس مثل كلمة (آداء الصلاة) ولذلك ليس في القرآن (آداء) وإنما فيه (الإقامة) ، والإقامة المقصود بها : أداء الصلاة على أحسن وجه ملتزماً سنة النبي صلى الله عليه وسلم القائل (صلوا كما رأيتموني أُصلي) ملتزماً الإخلاص ملتزماً أن تكون في وقتها هذا هو إقام الصلاة على الحقيقة.

{وَآتَوُا الزَّكَاةَ} أي : أدوها طيبة بها نفوسهم. **(الشرح)** وقد ذكرت أيضاً أن الزكاة لها شأن عظيم في ديننا الإسلام فإنها قرينة الصلاة في مواضع من القرآن ، ولذلك في حرب أبي بكر رضي الله عنه مع المرتدين لما نُوقش من بعض الصحابة كعمر رضي الله عنه قال : "والله لأُقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة فإنها قرينة الصلاة في مواضع من القرآن" وقال رضي الله عنه : "لو منعوني عقالاً - وفي بعض الروايات "عناقاً" - كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه" ، إذن الزكاة شأنها كبير وأمرها عظيم في الدين الإسلامي ، وهذه كلمات عظيمة من أبي بكر رضي الله عنه يبين

خطورة التهاون بهذا الأمر،

{فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ} بلا شك إذا الإنسان تاب من الشرك وصلى معنا والتزم شعائر الإسلام الحمد لله هذا أخ لنا في الدين ونحن نأخذه شيئاً فشيئاً ، لا يمكن الشخص يدخل في الإسلام الآن ونقول له هيا صل الآن وافعل كذا ، لا ! بل لابد إذا دخل في الإسلام أن يعلم الشهادتين ، وكما قال العلماء يُحفظ سورة الفاتحة حتى يقيم بها الصلاة ، يتوضأ في البداية ، يأتي ويصلي مع الناس حتى لو لم يكن يحفظ سورة الفاتحة ، يعني يقول : "سبحان الله والحمد لله" يعني يذكر الله أثناء الصلاة ، ثم يتعلم شيئاً فشيئاً.

{وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} (نفصل) أي : نبين ونوضح.

*مسألة مهمة: ما دام أننا في ذكر الصلاة ، طالب العلم وطالبة العلم كلٌ منهما مأمور بأن يلتزم دين الله عز وجل بل كل مسلم ومسلمة ، لكن طالب العلم وطالبة العلم النظرة إليهما ليست كالنظرة إلى غيرهما ، وللأسف الحقيقة يُلحظ على بعض الشباب ممن ينتسبون إلى العلم الشرعي عندهم شيء من التهاون في أداء الصلاة وذلك من وجوه :-

١) تجد بعضهم مثلاً لا يحرص على صلاة الجماعة ، فتجده تفوته صلاة الفجر ، يخرج من الدراسة أو من العمل وينام ويضيع صلاة العصر ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول (من صلى البردين دخل الجنة) و (من صلى الفجر فهو في ذمة الله) وفي المقابل (ما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق) فنحن نؤكد على الحرص على أن تؤدى الصلاة جماعة في المسجد.

٢) ينبغي لنا ونحن ولله الحمد ننتسب إلى العلم الشرعي أن نؤدي الصلاة كما أُمرنا على حسب السنة ، حسب ما نفقه ونتعلم ، لابد العلم الذي نتعلمه أن نطبقه ، قال عليه الصلاة والسلام (صلوا كما رأيتموني أُصلي) الله يهدي بعض الشباب إذا رأيته يصلي تقول سبحان الله صلاة (متماوتة) ليس فيها تطبيق للسنة ، أين هذا العلم الذي نتعلمه ؟!

٣)ينبغي أن نبكر لأداء الصلاة ، أنا أرى أنها تقصير وعيب أن الإنسان إذا انصرف من الصلاة وجد في طرف الصف أكثر من يقضي هم طلبة العلم أو من ينتسبون للعلم الشرعي ! الحقيقة الواجب أن يأتون مبكرين ويكونون قدوة للآخرين ، يعني أنا وأنت في بيوتنا يجب أن نكون قدوة لبقية أفراد الأسرة لكن إذا كان طالب العلم ومنتسب للعلم الشرعي عبء وثقل على أهله في مسألة الصلاة ،كيف نرجو أن يكون قدوة لبقية الأفراد ،بل المفروض أن يكون أول من يبادر، أول من يلبي حي على الصلاة ،حي على الفلاح ، ويحث من عنده في البيت من إخوته وإخوانه وأبويه ، يحث من يلزمه الصلاة في المسجد وأيضاً من كان في البيت من النساء يؤدين الصلاة في وقتها ، لا يجوز تأخيرها صحيح هي غير مأمورة أن تخرج وتصلي في المسجد ولكن على الأقل يحثهم ، لكن إذا كان هو كسول ومتهاون كيف نرجو أن يكون قدوة للآخرين ، فأنا أؤكد أن نأخذ بأيدي بعض على مسألة الصلاة والتأكيد عليها ، وأن نكون دعاة بأقوالنا وأفعالنا ، ولا شك الكلام عن الصلاة والحديث عنها طويل ولا ينتهي ولكنني انتهزت الفرصة عند ذكر هذه الآية الكريمة .

{وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (١٢)}

سبب نزول هذه الآية /**قال ابن عباس :** "هذه الآية نزلت في أبي سفيان بن حرب ، والحارث بن هشام ، وسهيل بن عمر ، وعكرمة ، وسائر رؤساء قريش الذين نقضوا العهد حين أعانوا بني بكر على خزاعة - حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم - فأُمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسير إليهم فينصر خزاعة ، وهم الذين هموا بإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم"

(الشرح) يعني هذه الآية نزلت في حق قريش الذين نقضوا العهد وأعانوا بني بكر على خزاعة ، وبالفعل ساعدوهم

وانقضَّ بنو بكر على خزاعة في الليل غراً وما كانوا متهيئين فأعملوا فيهم القتل ، ولذلك ذهبت خزاعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبروه الخبر ، ولذلك سير نفسه وذهب إلى قريش بناء على أن العهد انتهى وانتقض.

قوله تعالى {وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ} (النكثُ) بمعنى النقض ، (الأيمان) هنا : جمع يمين وهي العهود {وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ} أي : نقضوا عهودهم {مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ} (الطعن) هو العيب.

** قراءات/ /{فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ} هنا قراءتان :-

١) القراءة الأولى /قرأ بها عاصم ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي (أَئِمة) بهمزتين على التحقيق ،

٢) القراءة الثانية /قرأ بها الباقون وهم ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو بتحقيق الأولى وتليين الثانية (أيِـمة).

والمراد بـ(أئمة الكفر) هم رؤوس المشركين وقادتهم.

{إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ} أي : لا عهود لهم ليس لهم عهود وليس لهم ذمم.

قوله تبارك وتعالى {لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ} في المراد به قولان :-

١) أنها بمعنى لعلهم ينتهون عن الشرك. ٢) أنها بمعنى لعلهم ينتهون عن نقض العهود.

{لعل} هنا فيها قولان مشهوران :-

١) أنها بمعنى الترجي. أي : يترجى منهم الانتهاء. ٢) أنها بمعنى كي. أي : كي ينتهوا.

ختام هذه الآية ختام عظيم {لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ} يعني أنهم إذا حصل منهم نقض للعهود ونقض لها ونكث عما التزموه من الأيمان وطعنوا في الدين فلابد من مقاتلتهم وبخاصة رؤوس الكفر وقادتهم فهم لا عهود لهم ولا التزام ،وهذا هو المعروف منهم ، بل أنهم لا يلتزمون إلا من أجل مصالح لهم خاصة ، نحن على كل حال مأمورين بالالتزام بالعهود وعدم نقضها إلا إذا نقضوا فما على المسلمين إلا أن يدافعوا عن أنفسهم وينظروا في أحوالهم.

الحلقة (٢٤)

موضوع الحلقة: تفسير الآيات ١٣ ، ١٤ ، ١٥ من سورة التوبة.

{أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣)

قوله تعالى {أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا} (ألا) هنا للحض والتنبيه والتأكيد.

ولذلك يقول الزجاج : "هذا على وجه التوبيخ ، ومعناه الحض على قتالهم" . فـ(ألا) هنا يعدها العلماء بأنها أداة استفتاح وتنبيه وهي تتضمن الحض والتأكيد و هنا التوبيخ ، وهذا يدل على المبادرة والحض على قتال هؤلاء الكفار.

سبب النزول : **قال المفسرون :** هذا نزل في نقض قريش عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي عاهدهم في الحديبية حين أعانوا بني بكر على خزاعة.

وأنتم تعرفون أن الصلح بين النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقريش ، من أراد أن يدخل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم معه فليدخل ، ومن معهم فليدخل ، فخزاعة دخلت مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وبنو بكر دخلت مع قريش ، بنو بكر في ليلة من الليالي استغلوا غرة وغفلة في الليل، فاستعانوا بقريش فأعانوهم فأغاروا على خزاعة ، وقتلوا فيهم مقتلة عظيمة ، فخزاعة ذهبت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبروه الخبر ، فمعنى هذا انتهى العهد وانتقض بفعل بني بكر الذين أعانتهم قريش على هذا العمل وهو نقض العهد .

ولذلك الله جل وعلا قال {أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا} هنا أمر بقتالهم ، أي : قاتلوهم .

{أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ} (النكث) هو النقض { نَكَثُوا } أي : نقضوا ، (أيمانهم) جمع يمين وهو العهد.

قوله تعالى {وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ} في المراد بهذا قولان :-

القول الأول /أنه أبو سفيان في جماعة من قريش كانوا في من همّ إخراج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة ، أي أن هذا كان قبل الهجرة هموا بإخراج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة.

القول الثاني /أنهم قوم من اليهود غدروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ونقضوا عهده وهموا بمعاونة المنافقين على إخراجه من المدينة.

(الشرح) أي أنه ليس الكلام على كفار قريش وإنما الكلام عن اليهود ، يهود المدينة أنهم اتفقوا مع المنافقين على نقض العهد وأنهم يتعاونون معهم على إخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة ، وعلى كل حال هما قولان. والحقيقة سياق الآيات يدل على أن الكلام مع كفار قريش وليس مع يهود المدينة ، ومع ذلك يهود المدينة لا يخفى أنهم نقضوا العهود ، ونكثوا الأيمان ، حتى أجلو من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قوله تعالى {وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} أُختلف في المراد بهذا على قولين :-

القول الأول /أي : بدؤوكم بإعانتهم على حلفائكم ، **وهذا قول ابن عباس رضي الله عنه. (الشرح)** ولا شك أن كفار قريش هم الذين نقضوا العهد ، وهم الذين بدؤوا بالنقض ، كيف ؟ أنهم ذهبوا وأعانوا بني بكر الذين كانوا حلفائهم على حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم وهم خزاعة ، فهم الذين بدؤوا بنقض العهد .

القول الثاني /أنهم بدؤوا بالقتال يوم بدر. **(الشرح)** وهذا صحيح أيضاً ، أن أبا سفيان لما هرب بالعير جهة الساحل،وكان قد طلب من قريش النصرة ، قال لأبي جهل وصناديد قريش : ارجعوا ، فأنا كنت خائفًا من محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، والآن أنا قد هربت وقد سلمت العير ، فقال لهم : ارجعوا ، فقالوا : لا ، بل سنقيم في بدر ، وننحر الجزور ، ونقيم ثلاثة أيام تضرب علينا القيان بالدفوف ونشرب الخمر ونطعم الطعام ولا تزال العرب تهابنا ، فهم الذين بدؤوا بالحرب ، حتى النبي صلى الله عليه وسلم خرج مع أصحابه ما كانوا يريدون قتالاً فهم خرجوا من أجل العير ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولا، ونصر الله المؤمنين على الكفار في معركة بدر ، وتسمى يوم الفرقان فرق الله فيها بين الحق والباطل بنصرة الحق على الباطل.

قوله تعالى {أَتَخْشَوْنَهُمْ} أي : أتخشون أن ينالكم من قتالهم مكروه ، فمكروه عذاب الله أحق أن يُخشى إن كنتم مصدقين بعذابه وثوابه. **(الشرح)** {أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ} يعني أتخشون القتال ! أتخشون الموت بسبب قتالهم ! فالله أحق أن تخشوه ، وهذا فيه تحريك لقلوب المؤمنين وإرشاد لهم وتذكير، يعني أتخشون قتال هؤلاء الكفار خوفاً من القتل ومن الأذى ومن الجراح ومن ومن !! فالله أحق أن تخشوه لأنه قد يحل عليكم عذاب وعقوبة. {إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} يعني إن كنتم مصدقين بعذابه وثوابه.

{قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٥)}

{قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ} (قاتلوهم) هذا فعل الطلب ، (يعذبهم) هذا جواب الطلب وهو مجزوم ، ومعروف أن جواب الطلب حكمه : الجزم ، ولذلك جميع الأفعال التي عُطفت على هذا الجواب مجزومة ، نحن نقرؤها بالجزم لأنها معطوفة على الفعل

الأول الذي هو جواب الطلب (يعذبْهم) ،، خطأ أن تقرأ {يعذبُهم} ، بالضم، بل {يعذبْهم} ،

جاء هنا في هذه الآية وما بعدها (١٤-١٥) جملة من الفوائد من قتال المشركين ، وثمرات للجهاد في سبيل الله عز وجل "ثمرات الجهاد في سبيل الله" :

١) {يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ} أي : ما يكون من العذاب لهم إما بالقتل أو بالجراحات ، سواءً قطع بعض الأعضاء أو الدماء التي تسيل أو كما قلت وهو أعلاها القتل ، أن العذاب هو القتل.

٢) {وَيُخْزِهِمْ} أي : يكون لهم الخزي والعار وعدم النصرة، {وَيُخْزِهِمْ} ولا يجوز لأحد أن يقرأها (ويخزيهم) بالياء ، لأن الفعل هنا مجزوم بحذف حرف العلة.

٣) {وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ} العلو والنصرة من الله جل وعلا لعباده المؤمنين على هؤلاء الكفار.

٤) {وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ} أصل الفعل (يشفي) لكن حذف حرف العلة لأنه معطوف على مجزوم ، وهو مجزوم بحذف حرف العلة. **قال ابن عباس:** "المراد بهم خزاعة" لأنهم ظُلموا و قتلوا على حين غِرّة.

٥) {وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ} أي : كربها ووجدها بمعونة قريشٍ بني بكرٍ عليها {وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ} ما هذا الغيظ ؟ من أين ؟ المقصود بـ(غيظ القلوب) يعني الوجد والكرب ، فخزاعة أصابها كرب شديد ، كيف أن أبي بكر يعتدون عليهم في الليل بمعاونة من قريش لأنهم حلفاء بعض، فأصابهم كرب ووجد يعني ضيق وشدة {وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ} الغيظ بسبب الكرب ، يعني كربها ووجدها ، يعني شدتها وضيقها بسبب معونة قريش لبني بكر حتى إنهم أغاروا على خزاعة.

ثم اسْتأنف الآن الكلام ويقول الله عز وجل **{وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ}** لأنه لو عطف على تلك المجزومات تكون القراءة (ويتُبْ) الله على من يشاء ، فيُجزم هذا الفعل كما جزمت الأفعال السابقة لكن الواو هنا مستأنفة ، يعني انتهت الثمرات أو النتائج ، خمس نتائج هي **{يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ}** ، **{وَيُخْزِهِمْ}** ، **{وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ}** ، **{وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ}** ، **{وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ}** ، بعد ذلك الواو هنا مستأنفة ، لا يلزم أن الواو دائماً تكون عاطفة لكن قد تكون مستأنفة ومنها هذه الجملة قوله تعالى {وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ} هذه الواو مستأنفة وليست بجواب لقوله {قَاتِلُوهُمْ}.

من المقصود هنا **{وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ}** ؟ هنا قولان :-

القول الأول /أن الله جل وعلا يتوب على بني خزاعة وعلى بني بكر ، وإن كان الأقرب أنه بنو بكر، أن الله يتوب على بني بكر إن تابوا ورجعوا.

القول الثاني /أنه عام في المشركين. **(الشرح)** كما تاب على أبي سفيان وعكرمة وسهيل وصفوان وهند بنت عتبة زوج أبي سفيان -الحمد لله هؤلاء أسلموا ، والإسلام يجب ما قبله ، أبو سفيان قاتل المسلمين وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وسهيل وجمع أسلموا ، فيتوب الله على من يشاء

الله جل وعلا لما ذكر الكفر قال {أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ}. فالحمد لله الإسلام يجب ما قبله ، ولما جاء عمرو بن العاص ليبايع النبي صلى الله عليه وسلم بسط عليه الصلاة والسلام يده ، وكاد عمرو بن العاص أن يبسط يده ثم كف يده ، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم لماذا لا تبسط يدك حتى تكون البيعة ؟ فقال يا رسول الله : أُريد أن أشترط ، فقال عليه الصلاة والسلام : ماذا تشترط؟ قال : أشترط أن يغفر لي -لأنه يعرف أنه أشرك مع الله وأنه قاتل المسلمين

وفعل وفعل- فقال له النبي صلى الله عليه وسلم (إن الإسلام يجب ما قبله ، وإن الحج يجب ما قبله ، وإن الهجرة تجب ما قبلها) وفي بعض الروايات (والتوبة تجب ما قبلها) فالإنسان إذا أسلم يمحى عنه ما مضى ، ويتوب الله على من يشاء.

ولذلك الله جل وعلا لما ذكر حال الكفار {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ}. والآية التي بعدها {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ}. كلمات شنيعة ، كفر ! الله جل وعلا قال بعد ذلك {أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ}. باب التوبة مفتوح من الكفر إلى الإسلام ، ومن المعصية إلى الطاعة ، باب التوبة مفتوح ما لم تطلع الشمس من مغربها ، وما لم تغرغر الروح في الحلقوم.

ولذلك في قصة أسامة لما لحق ذلك الكافر الذي قتل في المسلمين مقتلة ، لما رفع أسامة عليه السيف قال : "أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله" فقتله أسامة ، فلما أُخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم تضايق وغضب ، وقال له (كيف قتلته) وقد قال لا إله إلا الله؟ قال: يا رسول الله إنما قالها متعوذاً -يعني خائف من القتل- فقال عليه الصلاة والسلام: (أشققت عن قلبه؟ كيف لك بلا إله إلا الله؟) قال أسامة : "ما تمنيت أنني أسلمت إلا يومئذ" ، فالأمر خطير وكبير ، التوبة بابها مفتوح للكافر وللعاصي ما دام أن الشمس لم تطلع من مغربها ، وما دام أن الروح لم تغرغر في الحلقوم ، مادام أن الله يعطيه فترة ومهلة في حياته وأسلم أو تاب من معصيته فالحمد لله ،

{وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} ختام هذه الآية بهذين الاسمين من أسماء الله عز وجل. (عليم) أي : بالنيات وبالظواهر، فالله جل وعلا لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، يعني عليم بالدواخل والظواهر. (حكيم) أي : حكيم فيما قضى وفيما أمر سبحانه وتعالى.

هنا في ختام هذه الآية أحب أن أذكر أن العلماء رحمهم الله ذكروا أن للتوبة شروطاً ثلاثة :-

الشرط الأول: الإقلاع عن الذنب. قال ابن القيم رحمه الله: " الإقامة على الذنب مع التوبة ، توبة مغشوشة "

أنت تغش نفسك ،عندما نقول : يا فلان أقلع عن هذا الحرام واترك معصية الله ، أدِ طاعة الله بالصلاة وبر الوالدين وبكذا وكذا ، يقول إن شاء الله ، أنا تائب الآن ، هذا الكلام غير صحيح ، إقامتك على الذنب مع التوبة هذه توبة مغشوشة ، تغش بها نفسك ، فقط مجرد أماني وكلام تقطع به على نفسك ولذلك لابد من الإقلاع ، الله جل وعلا لما ذكر حال التائبين قال {وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ}. لا يجوز الإصرار ، بل الإقامة على الذنب ذنب آخر وإلفٌ لهذه المعصية ، الإنسان عندما يستمر على ذنوبه ومعاصيه هذا يألفها ويودها ويحبها.

الشرط الثاني: الندم على ما مضى ندماً لا يجعله يقنط من رحمة الله أو ييأس من روح الله. أحياناً يأتي الشيطان على بني آدم ويقول : أنت كيف تتوب ؟ أنت كافر، لك ستين سنة سبعين سنة أو أقل أو أكثر وأنت كافر ، لا تعبد الله وتعبد الأصنام أو القبور أو أنك ملحد ، هذا ما ينفعك بشيء ، فهذا أيضاً غير صحيح ، أو أن يأتي لإنسان صاحب معصية يقول له : أنت يا فلان تأكل الحرام من ربا ورشوة ، أو أنت قد وقعت في الفواحش ولك غدرات وفجرات ، هذا كله من تسويل الشيطان وتلاعبه {إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ}. {وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ}. لا يجوز الغلو والتمادي في الندم فإنه يجعل العبد يرجع إلى المعصية ، ولذلك يقول ابن القيم رحمه الله: أنه لا يلتفت إلى الذنب وييئس من روح الله عز وجل .

الشرط الثالث: قالوا : العزم على أن لا يعود مرة أخرى. نعم يعزم ويجاهد نفسه أنه لا يعود مرة ثانية إلى الخطأ أو إلى المعصية ، هذا هو الواجب أنه لا يرجع إلى الذنب مرة أخرى يعزم ، لكن لو فرضاً رجع فبني آدم ضعيف ،كل بني آدم

خطاء وخير الخطائين التوابون ، عليه أن يعود ويتوب مرة أخرى ، فلا يزال في مجاهدة وفي عراك مع نفسه والله عز وجل يقول {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}. وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم (أنه لو لم تذنبوا لأتى الله بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم)

فالمهم أن باب التوبة مفتوح ، ونحن نعرض هذا الكلام على أنفسنا قبل الآخرين ، نتوب إلى الله ونستغفره ،فكان النبي صلى الله عليه وسلم يستغفر الله ويتوب إليه في المجلس مائة مرة وفي بعض الروايات سبعين مرة ، ونعرض هذا أيضاً على غيرنا ممن كان على كفر وشرك ، أو كان على بدع أو كان على معاصي وفجرات ، فالتوبة بابها مفتوح ورحمة الله واسعة ، وهذه دعوة ولله الحمد ندعو بها غيرنا إلى هذا الأمر ،

إذن الله جل وعلا يقول {وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ} لا يوجد أحد محدد أو صنف معين أو ببطاقات أو بصكوك أو من هذا الكلام الذي يتداوله عوام الناس مع دعاة السوء والضلال ، لا ، باب التوبة مفتوح ما لم تطلع الشمس من مغربها ، وما لم تغرغر الروح في الحلقوم ، إذا طلعت الشمس من مغربها {لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا}. وإذا غرغرت الروح في الحلقوم لا ينفع الإنسان ما يقول وما يفعل والله المستعان.

الحلقة (٢٥)

موضوع هذه الحلقة: تفسير الآيات ١٦ ، ١٧ ، ١٨ من سورة التوبة

{ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ(١٦)}

اختلف المفسرون في المخاطب بهذه الآية على قولين :

القول الأول /أن المخاطب بها المؤمنون جميعا وقد خوطبوا بهذا حينما شق على بعضهم القتال. والمؤمنون في ذلك الوقت هم الصحابة ، **وهذا قول أكثر المفسرين**. **(الشرح)** أي أن هذه الآية فيها ابتلاء وامتحان كما قال الله تعالى {الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ}. المؤمن معرض للامتحان والابتلاء في هذه الدنيا ومما يمتحن به أن يؤمر بأن يذهب ويجاهد في سبيل الله لأنه معلوم بأن هناك إما أن يقتل وإما أن يظفر فهو قد يعرض نفسه للقتل لكنه قتل محبوب عند الله عز وجل لأنه في الجهاد في سبيل الله تعالى.

القول الثاني /أنهم قوم من المنافقين. وأنتم تعرفون أن المنافقين وجدوا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة ، أما مكة فلم يكن يومئذ نفاق (المنافقون) المراد بهم : الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر. سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج معه إلى الجهاد تعذيرًا. يعني مجرد يسألون الخروج وليس هناك قصد وليس هناك عزم ، وأنتم تعرفون موقفهم في غزوة أحد لما خرجوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، رجع عبد الله بن أبي بن سلول وكان هذا هو رأس المنافقين بثلث الجيش كان كلهم منافقين هؤلاء ورجعوا معه.

- وفي الآية حث وترغيب في الخروج مع النبي صلى الله عليه وسلم ، بل وفي الجهاد عمومًا.

فالله جل وعلا هنا يقول {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا } يعني هل يمكن أن يُتركوا دون أن يعلم حالهم وأن تُـخبَر أمورهم ! فالله عز وجل يقول {أَمْ حَسِبْتُمْ} (أم) هنا معادلة للاستفهام ، وبعضهم يسميها استفهامًا. **قد يقال لماذا لم يأت الهمزة مثل : أحسبتم مثلا أو هل حسبتم ؟**

قالوا : إنما دخلت الميم في الاستفهام لأنه استفهام معترض في وسط الكلام فدخلت لتفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ.

يعني لو كان استفهاماً ابتدائيا لجاءت الهمزة مباشرة (أحسبتم) أو (هل حسبتم) لكنهم قالوا : هو استفهام معترض. وتقدير الكلام : أم حسبتم أن تتركوا بغير امتحان يبين به الصادق من الكاذب ؟ هل يمكن أن يُترك الناس بدون أن يعرف الصادق من الكاذب ، المؤمن من المنافق ، المطيع من العاصي هذه أوامر الله ونواهيه هذه فيها ابتلاء فيها امتحان لينظر من يسمع ويطيع من يبادر إلى أوامر الله فعلاً ومن يحذر المعاصي والذنوب ويحذر فحرات ويحذر المحرمات.

ثم قال تعالى {وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ} أي : ولم تجاهدوا فيعلم وجود ذلك منكم. والله جل وعلا عليم يعلم الغيب لكن فيما يظهر للناس حتى يعرف الذي يجاهد في سبيل الله ويخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم طواعية وانقياداً هذا مؤمن صادق والذي ينكص على عقبيه دون عذر هذا منافق والله لا يخفى عليه شي في الأرض ولا في السماء وإنما لتظهر المجازاة على الأعمال.

قال تعالى {وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً} (الوليجة) **قال ابن قتيبة :** "هي البطانة من غير المسلمين وهو أن يتخذ الرجل من المسلمين دخيلا من المشركين وخليطاً" هذا هو معناها. أي حين يقوم المؤمن بالخيانة فيدخل على المسلمين سواء في الجهاد من ليس منهم من غير المسلمين يواليه ويحبه، وهذا بلا شك أنه مخالف لأصل من أصول العقيدة وهو (أصل الولاء والبراء) هذه تحدثنا عنها فيما مضى.

قال أبو عبيدة : "كل شي أدخلته في شي ليس منه -يعني تحضر شيء غريب عن هذا الشيء ليس منه فهو وليجة - والرجل يكون في القوم وليس منهم فهو وليجة"

- استطراد/ /أبو عبيدة هو مَعْمَر بن المثنى ، وابن قتيبة الذي سبق هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينَوَري. وله كتب والعلماء ينقلون عنه مثل كتاب (تأويل مشكل القرآن) و (تفسير غريب القرآن) وغير ذلك ، أما أبو عبيدة معمر بن المثنى فله كتاب مشهور (مجاز القرآن) وليس المقصود بالمجاز أيها الأخوة المصطلح المعروف الآن عند البلاغيين وإنما المقصود هنا بمجاز القرآن يعني معاني القرآن أو بيان غريب القرآن.

إذاً (الوليجة) في معناها اللغوي على وجه العموم : الرجل يدخل في القوم وليس منهم ، والمقصود عندنا في تفسير الآية أي : هي البطانة من غير المسلمين . وهو أن يتخذ الرجل من المسلمين دخيلاً من المشركين وخليطًا.

{مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ (١٧) إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ(١٨)}

هاتان الآيتان الكريمتان فيهما الحديث عن عمارة بيوت الله عز وجل وأن الذين يعمرونها حقاً هم المؤمنون. ولا شك أن عمارة المساجد من أفضل الأعمال ، **والعلماء يقولون أن عمارة المساجد على نوعين :**

١) **عمارة حسية.** وذلك ببنائها وتشييدها والعناية بها وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم **(من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة بني له بيتا في الجنة)** ومما يدل على فضل عمارة المساجد والعناية بها والحرص على نظافتها قصة الرجل وفي بعض الروايات المرأة التي كانت تقم المسجد فلما مات أو ماتت لم يخبروا النبي صلى الله عليه وسلم لأنه مات أو ماتت بالليل فقال صلى الله عليه وسلم **(دلوني على قبرها أو دلوني على قبره)**

٢) **عمارة معنوية.** قال العلماء أي أن تُعمر بأعظم من ذلك وهو /الصلاة فإن الصلاة شرعت جماعةً لتصلى في بيوت الله عز وجل ، فأعظم ما تُعمر به المساجد الصلاة جماعة في بيوت الله والأدلة على ذلك كثيرة جداً ، أيضاً مما تعمر به حلقات

القرآن الكريم (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) أيضاً مما تعمر به مجالس العلماء الدروس العلمية يدرس فيها التفسير والحديث والفقه والأحكام ونحو ذلك.

**قراءات/ /يقول الله تعالى { مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ } ثم في الآية التي بعدها { إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ} هنا قراءتان في هاتين الآيتين في كلمة {مَسَاجِدَ} :-

القراءة الأولى /في الآية الأولى قرأ ابن كثير وأبو عمرو {مسْجِد الله} وأرادوا بذلك المسجد الحرام كما سيأتي في سبب النزول.

القراءة الثانية /والباقون قرؤوها بالجمع {مساجد الله}

الآية الأولى اختلفوا فيها ، أما الآية الثانية {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ} فالقراء السبعة كلهم قرؤوها بالجمع {مَسَاجِدَ}.

سبب نزول قوله تعالى {مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ}

أن جماعة من رؤساء قريش أُسروا يوم بدر فيهم العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم، فأقبل عليهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيروهم بالشرك ، وجعل علي بن أبي طالب يوبخ العباس بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم - يقول كيف تذهب تقاتل ابن أخيك وتقطع رحمك - فقال العباس : مالكم تذكرون مساوئنا وتكتمون محاسننا ، فقالوا - أي الصحابة - وهل لكم من محاسن ؟ قالوا: "نعم ، لنحن أفضل منكم أجراً إنا لنعمر المسجد الحرام -ومعروف أن كفار قريش كانوا يبذلون أموالهم وكانوا يجتهدون في عمارة المسجد الحرام وتشييده وترميمه- ونحجب الكعبة -يعني نحرسها ولا يدخلها إلا من نشاء- ونسقي الحجيج -هذا أيضاً من الأعمال الفاضلة- ونفك العاني" فنزلت هذه الآية.

على كل حال هذه الأعمال لاتسمن ولا تغني عند الله من جوع إذا لم يكن هناك الإيمان ، الإيمان هو أساس قبول الأعمال{وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا}. إذاً في سبب نزول هذه الآية كما ذكرت لكم أنهم ذكروا هذه الأشياء والله جل وعلا أبان أن العمارة الحقيقة هي عمارة الإيمان ، أن يكون الرجل مؤمناً.

وفي المراد بـ(العمارة) هنا ذكروا قولين :

القول الأول /أي دخوله والجلوس فيه. {مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ} أي : يدخلوها ويجلسوا فيها.

القول الثاني /أن المراد البناء والإصلاح.

فالمشركون يُحظر عليهم دخول المساجد والجلوس فيها ، وعلى القول الثاني أي بناؤها وعمارتها فكلاهما محظور ممنوع على الكافر سواء من المسجد الحرام أو غيره حتى مساجدنا ، يأتي واحد يقول سآتي بعمال كفار ويبنون المسجد، فنقول لا يا أخي هات عمال مسلمين ، أو أن يحتاج المسجد إلى ترميم وإصلاحات فيأتي بعمال كفار ويدخلهم المسجد فنقول هذا غلط يا أخي ! في المسلمين ما يغني ويكفي فهات عمال مسلمين يرممون المسجد ويشيدون بنيانه ويصلحون ما حصل فيه من عطب أو مخالفات أو نحو ذلك.

{مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ}

معنى قوله تعالى {مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ} أي : يجب على المسلمين منعهم من ذلك.

هذا هو الواجب وكثيراً ما يسأل بعض الأخوان يقول عندي مسجد يحتاج إلى سباك أو كهربائي أو عامل يرمم بعض الأشياء التي تتساقط ، فنقول يا أخي هات العامل المسلم { مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ}.

٨٨إعراب//قوله تعالى {شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ} (شاهدين) إعرابها : حال منصوب بالياء لأنه جمع مذكر سالم. نحن نعرف أن الحال من المنصوبات، وهو ينصب على حسب حالته فهنا ما دام أنه جمع مذكر سالم فينصب بالياء.

والمعنى /أي : ما كانت لهم عمارته في حال إقرارهم بالكفر.

قوله تعالى { أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ} ولاشك ! لأن الكفر يذهب الأعمال {وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}. فجميع ما يعمله الكافر من أعمال يفتح ملاجئ أيتام ، ينفق الأموال على المعوقين، يحفر آبار، هذه لا تنفعه عند الله عز وجل يوم القيامة ، نعم الله جل وعلا عدل وحكيم سبحانه وتعالى، هو لا يضيع ثوابه في الدنيا قد ينمى ماله،يكتسب شهرة بين الناس ،يحبه الناس ،ولكن هذا لا يسمن ولا يغني عند الله من جوع يوم القيامة {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا}. **وقال تعالى** {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ}. وقال عليه الصلاة والسلام (وإنه لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة) ولما ذكرت عائشة رضي الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعمال عبد الله بن جُدعان – وهذا كان رجل شريف في الجاهلية وفي قريش ويعمل أعمال طيبة – أخبر عليه الصلاة والسلام أنه في النار ، وقال (إنه لم يقل يومًا رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين) مات على الكفر فهو إلى النار عياذا بالله عز وجل.

➢ هنا تساؤل يسأله بعضهم يقول : **كيف يشهدون على أنفسهم بالكفر وهم يعتقدون أنهم على صواب ؟** فأي كافر الآن يرى أنه على صواب وأنت على الخطأ ! والله تعالى يقول {شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ} أُجيب عن هذا بعدة أجوبة :

١- أنه قول اليهودي أنا يهودي ، والنصراني أنا نصراني. يعني عندما يقول أنا يهودي أنا نصراني معناه أنه شهد على نفسه بالكفر ، أنا وأنت كمسلمين ننظر إلى هذا و إذا صرح بملته نقول هذا كُفْر ، من قال أنا وثني أنا ملحد نسأل الله العافية من هذه العبارات هذه تدل على أن الرجل شهد على نفسه بالكفر.

٢- أنهم ثبتوا على أنفسهم الكفر بعدولهم عن أمر النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو حق لا يخفى على مميز فيكونون بمنزلة من شهد على نفسه. عندما جاءهم الرسول ودعاهم إلى التوحيد وإلى ترك عبادة الأصنام وأصروا وعاندوا هذا كمن شهد على نفسه بالكفر.

٣- أنهم آمنوا بأنبياء شهدوا لمحمد صلى الله عليه وسلم بالتصديق والأنبياء أخذوا الميثاق عليه {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ}الله أخذ الميثاق على الأنبياء لئن بعث صلى الله عليه وسلم وهم أحياء ليؤمنون به ، والأنبياء أخذوا هذا الميثاق على أقوامهم لئن بعث صلى الله عليه وسلم وهم أحياء ليؤمنون به، فهم يعرفون هذا ، فعندما يعاندون النبي صلى الله عليه وسلم ويكفرون به ولا يصدقونه هذا بمنزلة من شهد على نفسه بالكفر.

{إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ(١٨)}

قوله تعالى {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } (إنما) أداة حصر. والله ذكر أوصاف من يعمرون مساجد الله {مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ} ، إقام الصلاة كما قلت هو : الإتيان بها على وجه الكمال والتمام، بأن يصليها خالصةً لله وفي وقتها وعلى سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

هنا يقول بعض المفسرين لماذا لم يذكر الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ هنا الله جل وعلا ذكر الإيمان بالله

واليوم الآخر وأقام الصلاة !

الجواب /قال بعضهم : أن إقام الصلاة وإيتاء الزكاة من أين يتأتى ؟ من أين نعرفه إلا عن طريق سنة النبي صلى الله عليه وسلم على وجه التفصيل والبيان ، ولا يمكن أن نؤدي هذا إلا بعد أن نؤمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدل هذا أيها الإخوة على أن هذا فيه إشارة إلى الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وشهادة الإيمان به مقرونة بالشهادة بالله (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد عبده ورسوله) كما قال القائل :

شهم تشيد به الدنيا برمتها ... على المنائر من عرب ومن عجم

أي واحد في الأذان أو الإقامة لابد أن يقرن بين الشهادتين .

{فَعَسَى أُولَئِكَ} (عسى) معروف أنها من أفعال الترجي وهي من الله واجبة، واجبةٌ إحسانا وتفضلا وليس إلزاماً كما قال ابن عباس رضي الله عنهما { أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ} يقال بأن من فعل هذه الأمور فهو مهتدي وموفق.

لماذا قيل (عسى) وهي ترجي ؟ يقال كما قال ابن عباس والشافعي وغيرهما : "أن (عسى) من الله واجبة وجوب تفضل وإحسان".

هنا قد يسأل بعضهم أنه قد يعمر مساجد الله من ليس فيه هذه الصفات ؟ ممكن يعمرها واحد لا يزكي ولا يصلي !! قال المفسرون : أن المراد أن من كان على هذه الصفات المذكورة كان من أهل عمارتها - المفترض أن الذي يعمرها أن يكون ممتثلا بهذه الصفات - ولكن ليس معنى الآية أنه لا يعمرها إلا من تحقق بهذه الصفات. نقول الأولى والأكمل والصحيح أن من يعمر مساجد الله هو من اكتملت فيه هذه الصفات : الإيمان بالله واليوم الآخر ، إقام الصلاة ، إيتاء الزكاة ، خشية الله تعالى. ليس معناه أنه لا يعمرها إلا من حقق هذه الصفات ، لكن هذا هو الأكمل والأولى .

الحلقة (٢٦)

موضوع الحلقة: تفسير الآيات ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ من سورة التوبة

{ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٢)}

هذه الآيات في بيان حال المشركين من قبل وأن أعمالهم هذه لا تسمن ولا تغني عند الله ، نعم بعدله جل وعلا وحكمته يعجل لهم ثوابهم في الدنيا أما في الآخرة فلا يحصلون شيئا ،كما قال تعالى: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا}. نعم في الدنيا يعطون صحة وعافية وشهرة ومحبة بين الناس ومالا كثيرا ونحو ذلك ، لكن في الآخرة إذا مات على الكفر والشرك فإن أعمالهم هذه لا تنفعهم فهم كانوا يعمرون المسجد الحرام _كفار قريش _ وكانوا يسقون الحاج ، وكانوا .. الخ. لهم أعمال طيبة في الحقيقة لكنها لا تفيدهم عند الله شيئًا إذا ماتوا على كفرهم وشركهم.

- استطراد/ /هذه الآيات في سبب نزولها عدة أقوال ، ولا يخفى على شريف علمكم أن علم أسباب النزول من أهم علوم القرآن الكريم بل قال ابن تيمية في مقدمة أصول التفسير : "إن معرفة السبب معين على معرفة المسبب- فهم الآية-" لا شك أن معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية ، ولذلك مَن كتبوا في علوم القرآن اعتنوا بهذا العلم إفرادًا وجمعًا ، وذكروا صيغ أسباب النزول : الصيغ الصريحة والصيغ المحتملة وهذا يدل على اهتمامهم بهذا العلم ثم إن بعض

العلماء من أفرد هذا التأليف في مؤلفات مستقلة ومن أشهر المطبوع والمتداول في السوق :-

- كتاب (أسباب النزول) للإمام للو احدي - صاحب كتاب (البسيط) و (الوسيط) و (الوجيز) هذه ثلاثة كتب في التفسير له - ويقع في مجلد وقام بتحقيقه والعناية به السيد أحمد صقر.

- كتاب (العجاب في بيان الأسباب) لابن حجر لكن في الحقيقة هذا الكتاب لم يكتمل وطبع منه مجلدان ويمكن أكثر من ذلك ولكنه لم يوجد من نسخته المخطوطة التي عمل عليها التحقيق إلا ما طبع منها فقط.

- كتاب (لباب النقول في أسباب النزول) للإمام السيوطي وهو أيضاً مطبوع ومتداول في السوق.

- كتاب (أسباب النزول من خلال الكتب التسعة) للدكتور خالد المزيني هذه رسالة دكتوراه وطبعت.

- أيضا هناك مجموعة كتب ورسائل أُلفت في أسباب النزول هذا مما يدل على أهمية هذا العلم ، على أن كتب التفسير أيضاً تُعنى بأسباب النزول ، نادرًا أن تجد كتاب تفسير إلا و يذكر الأقوال التي قيلت في سبب نزول الآية ، ومن المفسرين من هو مكثر و منهم من هو مقل.

 # ففي هذه الآية {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ } ذكروا في سبب نزولها ما يلي :

القول الأول /ما رواه الإمام مسلم في صحيحه من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال (كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل : ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد أن أسقي الحاج. وقال آخر : ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد أن أعمر المسجد الحرام. وقال آخر : الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم ، فزجرهم عمر وقال : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ، ولكني إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفتم فيه) فنزلت هذه الآية ، وفيها بيان أن الجهاد في سبيل الله أفضل من عمارة المسجد الحرام ومن سقاية الحاج ، لأن الله قال { الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ} إذًا هذا هو السبب الأول ، رواه مسلم .

القول الثاني /هو الحقيقة مكرر لما ذكرته في الحلقة السابقة {مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ }. وهو أن العباس بن عبد المطلب قال يوم بدر : "لئن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي الحاج ونفك العاني" ، فنزلت هذه الآية. **(الشرح)** وهي الحقيقة مقاربة في المعنى لأن الله جل وعلا قال {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}

القول الثالث /إن المشركين قالوا : عمارة بيت الله الحرام والقيام على السقاية خير ممن آمن وجاهد وكانوا يفتخرون بالحرم من أجل أنهم أهله فنزلت هذه الآية. **(الشرح)** نعم ، صحيح أنهم كانوا يفخرون بهذا الشيء ويرون أنهم خير الناس وأحسن الناس ، ومع ذلك لم يخرجوا منه بطائل لأنهم كفار ! والإنسان إذا مات على كفره لا ينفعه عمله الذي كان يعمله ، وهذا القول قريب من قول العباس ، القول الثاني منسوب إلى العباس والقول الثالث منسوب إلى جماعة من كفار من قريش .

القول الرابع /أن عليًا ، والعباس ، وطلحة - سادنوا الكعبة - افتخروا ، فقال طلحة الشيبي : "أنا صاحب البيت بيدي مفتاحه ولو أشاء بت فيه". وهو من بني عبد الدار ، فقال العباس : "وأنا صاحب السقاية والقائم عليها ولو أشاء بت في المسجد" العباس رضي الله عنه كان هو الذي يقوم بالسقاية وهذه كانت كفار قريش يرون أن فيها مجد لهم وعمل يتقربون به ، لكن كما ذكرت أن الإنسان إذا مات على كفره لم ينفعه عمله ، وقال علي : "ما أدري ما تقولون ! لقد

صليت ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد". فنزلت هذه الآية ،يعني أن عليًّا رضي الله عنه سبقهم -بلا شك- بالإيمان وصلى قبلهم وجاهد في سبيل الله عز وجل قبلهم فهو أفضل منهم.

القول الخامس /أنهم لما أمروا بالهجرة قال العباس : "أنا أسقي الحاج" ، وقال طلحة : "أنا صاحب الكعبة فلا نهاجر" . يعني اتخذوها ذريعة وعذرًا لهم أنهم لا يهاجرون. لكن هذا الكلام غير الصحيح لأن العباس رضي الله عنه هاجر إلى المدينة ولازم النبي صلى الله عليه وسلم .

القول السادس /أن عليًا قال للعباس : "ألا تلحق بالنبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : ألست في أفضل من الهجرة ؟ ألست أسقي حاج بيت الله وأعمر المسجد الحرام !" فنزلت هذه الآية والتي بعدها.

على كل حال هي ستة أقوال الآن لكن نجملها ونرد ها إلى قولين :-

القول الأول /ما ورد في صحيح مسلم من اختلاف هؤلاء النفر عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم فزجرهم عمر[1]

القول الثاني /إما أنه يقال خبر العباس ، أو المشركون جميعًا أنهم كانوا يفاخرون ويتفاخرون بسُقْيا الحجاج وعمارة المسجد الحرام وبفك العاني ، لكن قيل لهم إن هذا لا يعادل شيئا مع من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله ، هذا لا يقارن بعملكم ، لكن إذا وجد الإيمان وعمارة المسجد الحرام هذا بلا شك أنه من أفضل الأعمال. فالإنسان إذا وُفق آمن بالله واليوم الآخر وأعين على عمارة المسجد الحرام فإن هذا توفيق وفضل عظيم من الله عز وجل.

- **استطراد**/ /وهذا ولله الحمد ما تعتز وتفتخر به دولتنا أعزها الله بطاعته ووفق ولاة أمرها لكل خير فإن لهم ولله الحمد جهود مشكورة محمودة غير منكورة في خدمة الحرمين الشريفين عمارة وتوسعة وتهيئة جميع السبل للحجاج والعمار والزوار. هذا من فضل الله علينا وعلى الناس نسأل الله أن لا يحرمهم الأجر ويزيدهم خير على خير وتوفيق على توفيق ولا شك أن عمارتها من أفضل الأعمال وأجل القرب وما ينفق فيها مخلوف وراجع بإذن الله ، والحمد لله الخيرات تتدفق من كل جهة ولعل من أسبابها عمارة الحرمين الشريفين المسجد الحرام والمسجد النبوي ، وعمارتها ولله الحمد بارزة ومشهورة كل يشهد بجودتها وحسنها وتوسعتها هذا من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون.

{ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩) }

هنا يقول الله تعالى { أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وجاهد في سبيل الله لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ} أي هل يستوون عند الله ؟ لا ، لا يمكن أن يستوي هذا وهذا. قال الحسن : "كانوا ينبذون الزبيب فيسقون الحاج في الموسم" ، **وقال ابن عباس رضي الله عنهما :** "عمارة المسجد تجميره وتخليقه فأخبر الله أن أفعالهم تلك لا تنفعهم مع الشرك وسماهم ظالمين لشركهم" ، يعني كانوا يضعون الزبيب ويسقون الحجاج و يعمرون المسجد ومع ذلك لم ينفعهم عند الله عز وجل ، الله جل وعلا قال {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } { كَمَنْ } الكاف هنا بمعنى مثل. أي : مثل من آمن بالله واليوم الآخر لا يمكن في الحقيقة ،

{ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (الظالمين) المقصود بهم هم : المشركين لأن الشرك أعظم الظلم كما قال تعالى {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ(١٣)}. **ما السبب أنه أعظم الظلم ؟** قالوا لأن العبد المسكين هذا وضع العبادة في غير موضعها

[1] /أعاد الأستاذ ذكر القول الأول باختصار.

الصحيح ، عبد من لا يستحق أن يعبد وأن يوحد من دون الله ، والواجب أن يعبد الله وأن يوحد الله وأن يفرده بالعبادة ، فكيف يعبد معه غيره هذا أعظم الظلم نسأل الله العافية .

{الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠)}

{الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ } بعني هؤلاء في جهادهم بذلوا الأموال والأنفس ابتغاء ما عند الله عز وجل.

٨٨إعراب//{أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ} (أعظم) خبر لقوله {الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا} ، (ودرجة) تمييز منصوب بالفتحة.

{وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ } (الفائز) هو الذي يظفر بأمنيته من الخير. يقال والله فلان فاز بالشهادة فاز في لعب يعني ظفر به ،كان يتمنى يأخذ تقدير ممتاز في الدراسة ،كان يؤمل يأخذ في مادة كذا الدرجة الكاملة أي ظفر بأمنيته ، قالوا الفائز هو الذي يظفر بأمنيته من الخير وليس من الشر.

{يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ (٢١)}

{يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ} هذا من فضل الله عليهم البشارة بما يسرهم ، وهي هنا بأمور:

١- برحمة من الله، ورحمته وسعت كل شي ومن رحمة الله الجنة.

٢- ورضوان وهذه مرتبة عالية، لكن أعظم منها النظر إلى وجه الله تعالى، ولذلك لما عدد الله نعيم الجنة كما في سورة التوبة بعد آيات قال تعالى {وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ}. ولذلك ثبت في الحديث الصحيح -جعلنا الله وإياكم ووالدينا من أهلها- ناداهم ربنا تبارك وتعالى فيقول (يا أهل الجنة) فيجتمعون إلى الله قائلين : ربنا لبيك وسعديك والخير كله في يديك فيقول الله عز وجل (يأهل الجنة ماذا تريدون ؟ قالوا : ربنا ماذا نريد ! ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تنجنا من النار؟ ألم تدخلنا الجنة؟ قال الله عز وجل : فإني أحلّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا)

- استطراد//هذا فضل من الله لأن الإنسان الآن نحن نتقلب في نعم الله ونرفل في خيرات الله ولكن هل الله راض عنا ؟ هل نضمن رضا الله ، والله إن الإنسان لا يدري هل الله راض عنه أم لا ؟ لكن الإنسان يسأل ربه أن يرضى عنه وأن ما يكون فيه من خير من رضا الله عليه ،وأن لا يكون استدراج ، وأن لا تكون طيباته عجلت له في الدنيا ، لكن في الجنة نعيم وخير والله راض عنك { وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ } أما أعظم النعيم فهو النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى ، اللَّهُمَّ إنا نسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة .

يقول تعالى {وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ } (الجنات) جمع جنة ، وهي الحديقة ذات الشجر الكثيف الذي يستر من بداخله لأنه أصل المادة (جَنَنَ) وهي من الخفاء والستر. فالجنة لكثرة أشجارها والتفاف بعضها على بعض تستر من بداخلها. {نَعِيمٌ مُقِيمٌ } (النعيم) هو ليِّن العيش. كل شي لين العيش فهو نعيم ، هذه كلمة عامة كما قال عليه الصلاة والسلام (فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) (المقيم): هو الدائم. لا شك أن أهل الجنة خلود ولا موت كما قال تعالى { لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى}. أي التي ذاقوها في الدنيا.

{خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٢)}

وهنا أُذكر نفسي وإخواني بما ذكره البخاري في (كتاب الرقاق) من صحيحه وبوب عليه بقول الله تعالى {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}. ذكر فيه حديث أبي هريرة (حديث الكبش) أنه يؤتى بالموت في صورة كبش - وليس ملك الموت بعض الناس يخطئ يقول أنه ملك الموت ، لا! هو الموت والله قادر أن يحول الموت إلى

كبش - المهم (يؤتى بالموت في صورة كبش فيعرض بين الجنة والنار فيقال : يا أهل الجنة ، يا أهل النار أتعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم إنه الموت) قال عليه الصلاة والسلام (فيذبح بينهما فيطير أهل الجنة فرحًا خلود ولا موت ، ويزداد أهل النار غمًّا خلود ولا موت) وكما قلت لله در البخاري حين بوب بهذه الآية {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} نعم والله إنه يوم التغابن ويوم الحسرة ويوم الندامة عندما يقال لأهل الجنة خلود ولا موت، وعندما يقال لأهل النار خلود فلا موت ،إذن من نعيم أهل الجنة الخلود والبقاء وهذا من فضل الله عز وجل ، ولذلك يقول الحسن البصري رحمه الله : "لقد فضح الموت الدنيا فلم يدع لذي لب بها فرحًا" (لذي لب) أي : لذي عقل. فالعاقل لا يفرح بالدنيا لأن الموت سيأتيه إن عاجلا أو آجلا فعلامَ الفرح بالدنيا ! علام التشبث بالدنيا ،وعلام التعلق بالدنيا ! علام نقدمها على أوامر الله ونعصي الله من أجلها ! لا والله ما هكذا ينبغي أن نكون وبخاصة من هو طالب علم وطالبة علم وبخاصة من هم ولله الحمد يعيشون في رحاب القرآن الكريم وعلى مائدة القرآن الكريم "مأدبة الله في أرضه" كما قال ابن مسعود رضي الله عنه.

الحلقة (٢٧)

موضوع هذه الحلقة: تفسير الآيتين ٢٨ ، ٢٩ من سورة التوبة

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٨)}

{إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ} اختلف في المراد بقوله (نجس) على أقوال وهي أقوال متقاربة :

قال أبو عبيدة -صاحب مجاز القرآن- إن معنى النجس : "أي : القَذَر"

قال الزجاج : "يقال لكل شيء مستقذر نجس"

قال الفراء : "لا تكاد العرب أن تقول نجس إلا وقبلها رجس ، فإذا أفردوها قالوا نَجس"

على كل حال المراد بـ(النجس) هو : القَذَر. هذا معناه في اللغة، لكن المراد به في الآية هذا فيه كلام للعلماء لكن نحن كلامنا الآن في معنى (النجس) في اللغة هو : القذر ، كل شيء مستقذر يقال له نجس هذا معناه في اللغة كما دل عليه كلام أبي عبيدة وكلام الزجاج وكلام الفراء.

➢ **اختلف في المراد بكون المشركون نجس هنا في هذه الآية ،** هل المراد القذر قذر ؟ أو حسي ؟ أو معنوي ؟ ستبين إن شاء الله من خلال هذه الأقوال المذكورة فيها.

القول الأول /أنهم أنجاس الأبدان كالكلب والخنزير حكاه الماوردي عن الحسن وعمر بن عبد العزيز، وروى ابن جرير عن الحسن قال : "من صافحهم فليتوضأ" **(الشرح)** أي أن أبدانهم نجسة مستقذرة وأنهم مثل الكلاب والخنازير ، وأن من صافح واحد منهم كما قال الحسن فليتوضأ أو ليغسل يديه هذا القول في الحقيقة فيه نظر وليس بصحيح و لكن ستبين هذا عند الترجيح .

القول الثاني /أنهم كالأنجاس لتركهم ما يجب عليهم من غسل الجنابة وإن لم تكن أبدانهم نجسة **(الشرح)** يعني هم نجس لأنهم لا يغتسلون من الجنابة وأيضا معروف عنهم أنهم لا يهتمون بالنظافة بعد البول والغائط ، ولذلك الله هنا سماهم نجس ، ولكن ليس المقصود أن أبدانهم نجسة .

القول الثالث /أنه لما كان علينا اجتنابهم كما تجتنب الأنجاس صاروا بحكم الاجتناب كالأنجاس. **وهذا هو قول**

الأكثرين ورجحه جمع من المفسرين. **(الشرح)** يعني أننا كما وجب علينا أن نجتنبهم ونبتعد عنهم كانوا بمنزلة القذر في الاجتناب ليسوا هم قذر لكن بمنزلة القذر،كما أننا أمرنا أن نجتنب القذر والنجاسات نحن نجتنبهم ليسوا لأنهم في ذواتهم نجسة وقذرة وإنما نحن أمرنا بذلك كما أمرنا أن نجتنب القاذورات إذن هم مثلهم وإن لم تكن أبدانهم نجسة ، وهذا القول لا بأس به ويرجحه كثير من المفسرين ، والقول الثاني أيضاً لا بأس به وهو أن يقال أن هؤلاء الكفار يتركون غسل الجنابة ولا يتطهرون ولكن ليس المقصود أن أبدانهم نجسة ، لو فرضنا أن إنسان صافح كافر -مع أنه هو لا يبدأ بالسلام ولكن لو أن الكافر هو الذي بدأ بالسلام- أو أنه لمس ذراعه أو يده هل يمكن له أن يقول : سأذهب أغسل يدي بالصابون أو انتقض وضوئي هذا الكلام غير صحيح ! لكن المقصود **(القول الصحيح)** أنهم كالأنجاس في أنهم لا يغتسلون من الجنابة ولا يتطهرون من العذرة ، و أننا بتجنبنا إياهم نتجنبهم كالأنجاس القاذورات التي نحن أمرنا بتجنبها ، لكن أنهم ينجسون في أبدانهم هذا القول ضعيف ، بل هو قول غير صحيح .

قوله تعالى {فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا} قال أهل التفسير : المراد بذلك الحرم ، حدود الحرم وليس المسجد الحرام بذاته. **(الشرح)** بعض الناس يظن هو الحرم ، لا، هو المقصود حدود الحرم ،والآن ولله الحمد فيه علامات موجودة هذا حد الحرم ، وتوجد لوحة (غير المسلمين) عند حدود الحرم بحيث إن المشرك لا يدخل ،إذن ليس المقصود المسجد الحرام وإنما المقصود حدود الحرم.

{فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا} المراد بـ(العام) هنا هو : عام تسع من الهجرة ، وهي السنة التي حج فيها أبو بكر رضي الله عنه بالناس ، معروف أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أبو بكر أن يحج بالناس سنة تسع من الهجرة وبعث من ينادي في الناس منهم أبي هريرة وعلي بن أبي طالب وغيرهم من الصحابة ، ينادوا في الناس بثلاثة أمور : أن لا يطوف بالبيت عريان ، وأن لا يحج بعد هذا العام مشرك ، وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، فلما حج النبي صلى الله عليه وسلم في السنة التي بعدها، السنة العاشرة لم يحج مشرك ولم يطف بالبيت عريان ، إذن هذا العام هو سنة تسع من الهجرة وفيها حج أبو بكر بالناس ، وقرأت على الناس سورة براءة كما سبق الحديث عنها في أول تفسيرنا لسورة براءة.

في قوله تعالى {فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا} أخذ الإمام أحمد رحمه الله وقبله الإمام مالك والشافعي رحمهم الله أنه لا يجوز للكافر أن يدخل المسجد الحرام ، أنه يحرم عليهم دخوله ، وأيضا المساجد الأخرى تأخذ هذا الحكم ، إلا للضرورة أو لحاجة ، مثلاً لنفرض مسجد يحتاج صيانة ولم نجد عاملاً مسلمًا ! فلا حرج نأتي بعامل مشرك وهذا يجوز في المساجد الأخرى غير المسجد الحرام ، أما المسجد الحرام فلا يجوز جملة وتفصيلا .

قال تعالى {وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} (العيلة) معناها : الفقر والحاجة ، عال يعيل عَيْلَةً إذا افتقر.

سبب نزول الآية : **قال سعيد بن جبير :** لما نزلت {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ...(٢٨)} شق على المسلمين ، وقالوا من يأتينا بطعامنا ! وكانوا يقدمون عليهم بالتجارة فنزلت هذه الآية {وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ....(٢٨)}

(الشرح) إذن مرة أخرى أعيد فأقول : نعم ، قد شق على بعض المسلمين كما قال سعيد بن جبير لكن الله جل وعلا قال {وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً} الله جل وعلا لا يضيع عباده {فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} الفضل بيد الله والرزق بيد الله {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ}. {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ

مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}.

قوله تعالى {وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً} (إن) هنا اختلف فيها على قولين :

القول الأول /قيل إنها شرطية وهو الأظهر. يعني إن خفتم عيلة فسوف يعنيكم الله (إن) أداة شرط ، (خفتم) فعل الشرط ، (فسوف يغنيكم الله) جواب الشرط ، **هذا هو القول الراجح**

القول الثاني /أنها بمعنى إذ. يعني وإذ خفتم عيلة.

وكما قلت خاف المسلمون الفقر لأن المشركون هم الذين كانوا معهم التجارة وكانوا يتنقلون بالتجارة إلي الشام والى اليمن وكانت هذه محلات التجارة فخاف المسلمون العيلة والفقر فقال تعالى{فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ}

اختلف في المراد بقوله تعالى {فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ} على ثلاثة أقوال :

القول الأول /أنه أنزل عليهم المطر عند انقطاع المشركين عنهم فكثر خيرهم. هذا من فضل الله عليهم أن الله عوضهم بالأمطار وبالخيرات ورزقهم وأنزل عليهم المطر عند انقطاع المشركين عنهم .

القول الثاني /أن الله أغناهم بالجزية المأخوذة من أهل الكتاب. وهذا سيأتي الكلام عليه إن شاء الله عند قوله تعالى {حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ}.

القول الثالث /أن أهل نجد وأهل صنعاء أسلموا فحملوا الطعام إلى مكة على الظهر فأغناهم الله به. يعني أن الله عوض المؤمنين و سخر لهم قبائل أخرى غير قريش مثل القبائل التي كانت في نجد وفي اليمن و في غيرها. فبدل أن يأخذوا طعامهم من قريش صار يأتيهم من اليمن وصار يأتيهم من نجد .

{إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (عليم) أي : عليم بما يصلحكم كما قال ابن عباس رضي الله عنهما ، (حكيم) أي : في ما حكم في المشركين وغيرهم. أي له الحكمة التامة وهو الذي يضع الأشياء في مواضعها الصحيحة.

{قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩)}

 # سبب نزول الآية: هذه الآية ذكر المفسرون أنها نزلت في اليهود والنصارى ، أي لا يؤمنون بالله إيمان الموحدين لأنهم أقروا بأنه خالقهم وأنه له ولد ، وكذلك إيمانهم بالبعث لأنهم لا يقرون بأن أهل الجنة يأكلون ويشربون، **قال الماوردي :** "إقرارهم باليوم الآخر يوجب الإقرار بحقوقه ، وهم لا يقرون بها فكانوا كمن لا يقر بها"

(الشرح) يعني {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ} هذه تشمل اليهود والنصارى ،قد يقول قائل هم يؤمنون بالله ، نقول : إيمان غير حقيقي إيمان غير صحيح : أما اليهود فيزعمون أن عزيرًا ابن الله فهذا شرك ، والنصارى تزعم أن المسيح ابن الله وهذا شرك هذا من جهة ، ومن جهة أخرى هم كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم ولو كانوا مؤمنين حقًا لآمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الأنبياء أخذوا الميثاق على أقوامهم لئن بُعث عليه الصلاة والسلام وهم أحياء ليؤمنُنَّ به .

قوله تعالى {وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ} **قال سعيد بن جبير** : "المقصود الخمر والخنزير" الخمر محرم والخنزير محرم ومع ذلك هم لا يحرمون ما حرم الله ورسوله

قوله تعالى {وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ} المراد بـ (الحق) هنا قولان :

القول الأول /أن الحق هو اسم من أسماء الله ، المراد بالحق هو الله ، {وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ} أي : ولا يدينون دين الله

القول الثاني /أنه صفة لموصوف محذوف (الدين) ، والتقدير : أي أنهم لا يدينون الدين الحق.

اختلف في معنى (يدينون) على قولين :

القول الأول /أنه بمعنى الطاعة ، أي : لا يطيعون الله طاعة حق.

القول الثاني /أنه من دان الرجل يدين إذا التزم . يدين كذا إذا التزمه ، المقصود لا يلتزمون الدين التزامًا صحيحًا.

جملة الكلام أن الآية تدل على معنيين :

١) أنهم لا يدخلون في دين محمد صلى الله لأنه ناسخ لما قبله .

٢) أنهم لا يعملون بما في التوراة من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ،

قوله تعالى {حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ} (الجزية) هي : الخراج المجعول عليهم ، سميت جزية لأنه قضاء لما عليهم ، أخذ من قولهم جزا يجزي إذا قضى ، المقصود أن الجزية هي : ما يؤخذ ممن بين المسلمين ، لأن المسلمين يتحملون أشياء فهم يحمونهم ويوفرون لهم العيش الكريم فتؤخذ الجزية وهي مبلغ قليل من المال .

{عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} في معنى قوله تعالى {عَنْ يَدٍ} أقوال :

القول الأول /أنه عن قهر وذل ، ليس معنى قهر وذل يعني ضرب بالسياط وأذية ، لا ، فقط عن قهر وذل .

القول الثاني /أنه النقد العاجل بدون تأخير إلا إذا إنسان له ظروف فقير ، أرملة هذا شيء آخر ، لكن لابد أن يؤديها الآن.

القول الثالث /أنه إعطاء المبتدئ بالعطاء لا إعطاء المكافئ ، يعني أنه لا يؤديها مكافأة يؤديها بداية .

القول الرابع /أنه عن اعتراف للمسلمين أن أيديهم فوق أيديهم ،يعترفون أن المسلمين فوقهم

القول الخامس /أنه يؤدونها بأيديهم ولا ينفذونها مع رسلهم ، بل هو بنفسه يذهب ويؤديها.

قوله تعالى {وَهُمْ صَاغِرُونَ} (الصاغر) هو : الذليل الحقير

- **واختلف فيما يكلفونه من الفعل الذي يوجب صغارهم على أقوال :**

١) قيل : أن يمشوا بها ملبين سمعًا وطاعة بدون تردد.

٢) قيل: أن لا يحمدوا على إعطائهم ، لا يقال لهم جزاكم الله خير أعطيتونا !

٣) أن يكونوا قيامًا والآخذ جالسًا

٤) أن دفع الجزية هو الصغار.

٥) أن إجراء أحكام الإسلام عليهم هو الصغار

أقرب الأقوال وأشهرها : ١) ، ٢) ، ٣)

ولا شك أن دفع الجزية هو صغار ، وإجراء أحكام الإسلام عليهم أيضاً صغار.

- **مسألة (١) اختلف في الذين تؤخذ منهم الجزية من الكفار :**

المشهور عن الإمام أحمد والإمام الشافعي /أنها لا تقبل إلا من اليهود والنصارى والمجوس ، وأما العرب لا تؤخذ منهم الجزية إما أن يسلموا وإما السيف.

وهناك قول آخر /أن الجزية تؤخذ من الكل والله اعلم .

هذه مسائل خلافية إذا جاء وقتها يرجحها هل هي تشمل العرب واليهود والنصارى والمجوس ، أو أنها لا تشملهم ؟ هما

قولان مشهوران في هذه المسألة .

➢ مسألة (٢) كم عدد الجزية ؟

منهم من يرى ١٢ درهما ، ومنهم من يقول ٤٨ ، وهناك من يفصل ، وعلى كل حال لكل زمان ما يناسبه.

أمر أخير نختم به هذه الحلقة أن هذه الجزية لا تعتبر غلظة وشدة وأنها ظلم كما يزعم بعض الناس ، لا ، هي يدفع مالا ويستفيد منه مصالح منها : حمايتهم من قبل المسلمين ، أنهم يستفيدون من الأشياء التي يعملها المسلمون الكهرباء الصحة المياه ونحو ذلك فهي مقابل بل هي شيء زهيد ، والعلماء يقولون أنها تسقط إذا كان امرأة عندها أيتام أو أرملة أو مسكينة على حسب ما يراه ولي المسلمين ، على كل حال مسائل الجزية مسائل طويلة ومن أشهر من توسع في ذلك ابن القيم رحمه الله.

الحلقة (٢٨)

موضوع الحلقة: تفسير الآيات ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ من سورة التوبة.

{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤)}

قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ} (الأحبار) : جمع حبر وهو من اليهود ، (الرهبان) : جمع راهب وهو من النصارى.

{لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بالباطل} هذا إخبار من الله عز وجل وهو صدق فالأحبار والرهبان يتلاعبون ويأكلون أموال الناس بغير حق .

{لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بالباطل} اختلف في المراد بـ(الباطل) هنا على أقوال وكلها صحيحة :

القول الأول /أنه الظلم. يعني يأكلون أموال الناس ظلما

القول الثاني /أنه الرشوة . وهي كثيرة بين الأحبار والرهبان.

القول الثالث /أنه الكذب.

يعني أنهم يأخذونه كذباً ، يتلاعبون على الناس مثل الذي هو معروف عندهم من صكوك الغفران فإذا عمل خطيئة يعطونه صك الغفران ! كل هذا كذب وتحايل يدفع لهم المال ويأخذ صك غفران.

القول الرابع /أنه أخذه من الجهة المحظورة إما بيع أشياء محرمة أو أكل الربا وغير ذلك

وجميع هذه الأقوال صحيحة

➢ الآية هنا جاءت {لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ} قد يقولون نحن لا نأخذ أموال بل نأخذ قطع أراضي أو سيارات أو هدايا أو نحو ذلك ، نحن نقول : هذا الحكم كله حرام ، لكن ذكر المال لأن المال هو أقرب شيء يتداوله الناس وأقربها منفعة هو المال.

قال تعالى {وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} ما لمراد بـ(سبيل الله) اختلف فيه على قولين كلاهما صحيح :

القول الأول /أنه الإيمان لرسول الله صلى الله عليه وسلم. **(الشرح)** وهذا حق فإنهم يصدون الناس ، الأحبار والرهبان فيقولون : هذا كذّاب ، هذا مُختلق لهذا الدين وهذا غير صحيح ، لكن الناس يعتقدون في هؤلاء الأحبار والرهبان والقساوسة والكبار ويرون كلامهم صحيح فهم يصدون عن سبيل الله يعني : الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم

القول الثاني /أنه الحق والحكم. **(الشرح)** يعني يصدون الناس عن الحق وعن حكم الله عز وجل وعن أمر الله عز وجل بتسهيل المحرمات والتلاعب بأديان الناس هذا شيء واقع. **وكلا القولين صحيح.**

قوله تعالى {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ} اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية على أقوال :

القول الأول /أنها نزلت عامة في أهل الكتاب والمسلمين. أي أن هذا الحكم الآن مسألة عدم أداء الزكاة يشمل المسلمين وأهل الكتاب. **ولعل الراجح هو العموم وهو القول الأول**

القول الثاني /أنها خاصة في أهل الكتاب. **القول الثالث** /أنها خاصة بالمسلمين.

قوله تعالى {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ} اختلف في المراد بـ(الكنز) هنا على ثلاث أقوال :

القول الأول /أنه ما لم يُؤدَّ زكاته ، قال ابن عمر : "كل مال أُديت زكاته وإن كان تحت سبع أراضين فليس بكنز وكل مال لا تؤدى زكاته فهو كنز وإن كان ظاهرًا على وجه الأرض" ، **وهذا مذهب الجمهور وعلى هذا فمعنى الإنفاق هو : إخراج الزكاة ، وهذا هو الراجح .**

ويكون قوله تعالى {وَلَا يُنفِقُونَهَا} المقصود بـ(الإنفاق) هنا هو : الزكاة.

وهذا هو قول الجمهور وهو القول الصحيح يعني لو عندي كنوز كثيرة وأديت زكاتها لا حرج عليك ، لكن لو هو قليل ولا تؤدي زكاته هذا عقوبته شديدة عليك ، فالمسألة مرتبطة بالزكاة ، ما أُدي زكاته فليس بكنز ، مالم تؤدى زكاته فهو كنز وإن كان قليلاً ، ولذلك على الإنسان أن يتقي الله وأن يحرص على أن يؤدي زكاة ماله كما هو معروف ٢,٥ بالمائة يعني في كل ألف ريال ٢٥ ريال . مثال: ٤٠٠٠ ريال فيها ١٠٠ ريال.

القول الثاني /أنه ما زاد على أربعه آلاف. وهذا قول لا دليل عليه.

القول الثالث /أنه ما فَضُل عن الحاجة وكان يجب عليهم إخراج ذلك في أول الإسلام ثم نسخ بالزكاة. وهذا أيضاً والله أعلم به ! فما فضل عن الحاجة كان يجب إخراجه ، لا يبقى عندك شيء ! لكن يقولون هذا في أول الإسلام وأنه نسخ بالزكاة وهو أيضاً لا دليل عليه.

➢ **مسألة/** /{وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا} هنا تساؤل يطرحه بعض اللغويين أن الله جل وعلا ذكر أمرين : (الذهب – الفضة) وقال {وَلَا يُنْفِقُونَهَا} ولم يقل الله (ولا ينفقونهما) مع أنهما اثنين ! ما توجيه ذلك ؟ وجه بأحد وجهين :-

الوجه الأول /أن يقال أن هذا يرجع إلى الكنوز والأموال التي فيها ذهب وفيها فضة. وهذا صحيح {وَلَا يُنْفِقُونَهَا} أي : ولا ينفقون تلك الكنوز وتلك الأموال المشتركة من ذهب وفضة

الوجه الثاني /أنه يرجع إلى الفضة وحُذف الذهب لأنه داخل في الفضة. مثل قول الشاعر :

نحن بما عندنا وأنت بما ... عندك راضٍ والرأي مختلف

يعني : نحن بما عندنا راضون.

وهذا على كل حال كثير جداً أن يكتفي بأحد الشيئين عن الآخر مثل :

- {سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحَرَّ(٨١)}النحل. المقصود : والبرد
- {وَمَن يَكسِب خَطِيئَةً أَو إِثماً ثُم يَرمِي بِهِ بَرِيئًا}النساء. المقصود : ثم يرمي بهما بريئا.
- {وَإِذَا رَأَوا تِجَارَةً أَو لَهوًا انفَضُّوا إِلَيهَا (١١)} الجمعة. لم يقل (انفضوا إليهما).

العرب تكتفي بذكر أحد الأمرين عن الآخر ، ولو قلنا بالقول الأول أيضاً قول وجيه : أنه يقصد {وَلَا يُنفِقُونَهَا} أي : لا ينفقون هذه الكنوز والأموال التي هي من ذهب ومن فضة.

{فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} ذكرت فيما سبق أن البشارة تكون في الأمر الطيب {يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ}. البشارة هي التي تكون الإخبار بالأمر الذي يسر ، وقد تستعمل في الإخبار بما يسوء من باب الإهانة والذل وتعجيل العقوبة والخزي ، الإنسان يُبشر بخير ما يبشر بشر ! لكن لو فرضًا مثل الآية هنا {فَبَشِّرْهُمْ} لو سمع البشارة تهيأ نفسياً واستقبل وأحس أن فيه خير سيُبشر به : مال ، وظيفة ، ولد ، قدوم غائب ، مسافر ، شيء طيب لكن يُبشر بعذاب اليم ! هذا يقول المفسرون : فيه خزيٌ ونكالٌ وفضيحةٌ لهذا المُبَشر ، وفيه تعجيل العقوبة له.

{يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥)}

{يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ} يعني هؤلاء الذين لا يؤدون زكاة هذه الأموال ، يوم يحمى (عليها) الضمير هنا يرجع إلى الأموال ، وقد جاء في بعض الآثار مرفوعةً وموقوفة على بعض الصحابة **(والله ما من رجلٍ يُكوى بكنز فيوضع دينارٌ على دينار ولا درهمٌ على درهم ، ولكن يُوسَّع جلده فيوضع كل دينارٍ ودرهم على حِدَتِه)** والله أعلم ، المراد : أنه تُصَفَّح عليهم كما جاء في الحديث صفائح من نار كما جاء في الحديث الصحيح (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي زكاتها إلا صُفِّحَت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره ، كلما بردت أعيدت عليه في يوم كان مقداره خمسون ألف سنة) **أو كما قال عليه الصلاة والسلام** ، فهذا وعيد شديد للذين لا يؤدون زكاة أموالهم.

{يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ} تحمى وتوضع على جلودهم عقوبة ويكوون بها كلما بردت أعيدت عليهم مرة أخرى.

➢ **مسألة/ /{فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ}[1] هناك تساؤل لم خُصت الجباه والجنوب والظهور من بقية البدن ، أُجيب عن هذا بجوابين :-**

الجواب الأول /قيل أن هذه المواضع مجوّفة فيصل الحر إلى أجوافها بخلاف اليد والرجل.

يقال أن هذه أشد عقوبة هذه مجوفة يعني أنه تصل العقوبة بشدة إلى بدن الإنسان من غيرها والله أعلم ، يقال كان أبو ذر يقول : "بشر الكّنازين بكيّ في الجباه ، وكيٍّ في الجنوب ، وكيٍّ في الظهور حتى يلتقي الحر في أجوافهم"

الجواب الثاني /أن الغني الذي لا يؤدي الزكاة إذا رأى الفقير انقبض وعبس وجهه ، وإذا ضمه وإياهُ مجلس أزورّ عنه و ولاه جنبه وظهره ، فعُوقب في الأماكن التي كان يتهرب بها عن الفقير. والله أعلم. فهذه عقوبة وفيها خزي ونكال سواء قلنا أنها مجوفة فيصل الحر مباشرة، الإنسان لو في طرف إصبعه تصيبه نار رفع صوته من شدته فكيف بنار جهنم!

{هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ} هنا يوجد محذوف وتقديره: يقال لهم {هَذَا مَا كَنَزْتُمْ}

{فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ} أي : ذوقوا عذاب كنزكم.

{إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ(٣٦)}

 # سبب نزول الآية: ذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت من أجل النسيء الذي كانت تفعله العرب ، فكانوا يتلاعبون بالأشهر فيقدمون شهرًا ويؤخرون شهرًا إذا أرادوا القتال ، مثلاً محرم هذا لا يقاتلون فيه ، فإذا أراود قتالاً في محرم عملوا

[1] /أجّل الأستاذ شرح هذه الجزئية لكني قدمتها من أجل الترتيب.

تغيير يقولون : هذا محرم نؤجله لصفر ، وصفر نقدمه في مكان محرم ويقتتلون فيه ! وهذا من التلاعب ويعني التحايل التي يعني يعملونها بينهم وهذا الأمر لا ينطوي على الله تبارك وتعالى ، كانوا يستحلون المحرم ويحرمون مكانه صفر والله أعلمهم أن عدد شهور المسلمين هي اثنا عشر شهراً فتعرف فيها الحج ، وصيام رمضان ، وعِدد المطلقات والمتوفى عنها زوجها والديون وكل شيء مرتبطة بهذه الأشهر

{ فِي كِتَابِ اللَّهِ} المقصود هنا هو : اللوح المحفوظ. **قال ابن عباس :** "في الإمام الذي عند الله"

{يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ} اختلف في هذه الأشهر الأربعة على قولين :-

القول الأول /أنها رجب و ذو العقدة و ذو الحجة ومحرم . **وهذا هو الراجح**

القول الثاني /أنها الأشهر التي أُجِّل المشركون فيها للسياحة – كما تحدثنا عنه في تفسير أول سورة التوبة –

➢ **لماذا سميت حرمًا ؟ سميت (حُرُم) لمعنيين :**

القول الأول /لتحريم القتال فيها وقد كان المشركون يعتقدون فيها ذلك ، لكن لا حرج لو قاتل المسلمون المشركين فيها.

القول الثاني /تعظيم انتهاك محارم الله عز وجل فيها أشد من تعظيمه في غيرها ، وكذلك تعظيم الطاعات فيها. **(الشرح)** يعني أن المحرمات في هذه الأشهر الحرم أشد من المحرمات في غيرها فيجب أن تعظم هذه الأشهر الحرم ، لكن القتال فيها يجوز ، لو احتاج المسلمون لقتال المشركين في الأشهر الحرم فلا حرج في ذلك

قوله تعالى {ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ} اختلف فيه على قولين :-

١) أي : ذلك القضاء المستقيم.

٢) أي : ذلك الحساب الصحيح والعدد المستوي **وهذا هو القول الصحيح** ، وليس تلاعب الكفار بها.

قوله تعالى {فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ} الضمير هنا (فِيهِنَّ) اختلف فيه على قولين :-

١)أنه يعود إلى الأشهر الإثني عشر.

٢) أنه يرجع إلى الأربعة الحرم. والله أعلم

❖ على كل حال عموماً الإنسان لا يجوز أن يظلم لا في الأربعة الحرم ولا في غيرها ـ وإن كانت الأربعة هي أعظم وأشد- لكن لا يجوز التلاعب فيها ولا التهاون بها.

{فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ} اختلف في المراد بـ(الظلم) هنا على أقوال :

القول الأول /أنه المعاصي.

القول الثاني /**أنه** فعل النسيء وهو التحايل -كما سيأتي إن شاء الله- تقديم شهر وتأخير شهر ، وكما قلت أن العرب إذا كانوا يريدون القتال في محرم قالوا : نجعل محرم مكان صفر ، وصفر يكون مكان محرم فنتقاتل فيه.

القول الثالث /أنه بداية القتال فيهن –وهذا يرجع إلى ما سبق –

القول الرابع /ترك القتال فيهن.

تستطيع أن تجمع الأقوال في قولين :

القول الأول /أنها المعاصي عمومًا. **القول الثاني** /ترك القتال فيها.

{وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً} أي : إذا اعتدى المشركون وقاتلوا فيجب على المؤمنين أن ينتصروا

لأنفسهم وأن يقاتلونهم كآفة ويستشعرون معّية الله عز وجل {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} وهذه معية خاصة تفيد الكلاءة والتوفيق والنصرة على الأعداء بإذن الله عز وجل.

الحلقة (٢٩)

موضوع الحلقة: تفسير الآيات ٣٧ ، ٥٨ ، ٥٩ من سورة التوبة

{إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٣٧)}.

{إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ} المقصود من (النسيء) هنا هو التأخير. تأخير الشيء.

وكانت العرب تحرم الأشهر الأربع الحرم (رجب - ذو القعدة - ذو الحجة - محرم) هذه أربعة أشهر حرم معروفة قديمًا حتى عند العرب وزادها الإسلام تعظيماً وهذا مما تمسكت به من ملة إبراهيم ، إذا احتاج الكفار إلى تحليل المحرم لحرب تكون بينهم فإنهم يؤخرون تحريم المحرم إلى صفر ، ويقدمون صفر مكانه ويتلاعبون بالأشهر ، وبعض الأحيان قد يؤخرون صفر شهرين ، فكانوا يتلاعبون بالأشهر فيقدمون ويؤخرون ويتحايلون ! ولذلك لما حج الرسول صلى الله عليه وسلم قال (ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض) الأشهر كما هي ثابتة اثنا عشر شهراً يعرف الناس بها مواقيت الصيام والحج ، والنساء تعرف من عليهن عدة كالمطلقة التي لا تحيض الآيسة أو الصغيرة ، وأيضًا المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرا ، والحامل حتى تضع حملها –هذه لا ارتباط لها- ، والناس يعرفون وقت الديون واستحقاقات الديون والسداد ونحو ذلك . أما التلاعب والتقديم والتأخير هذا ليس في دين الإسلام بل نهى عنه الإسلام وحرمه وأما الكفار فكانوا يتلاعبون . فالنسيء هنا بمعنى التأخير، تأخير الشيء ، وكانت العرب تؤخر في الأشهر الحرم وتقدم وتتلاعب إذا أرادوا حربًا قدموا وأخروا في ما بينهم .

** قراءات/ /{يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا} فيها قراءتان :

القراءة الأولى /قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وأبو بكر عن عاصم {يَضِلُّ} بفتح الياء وكسر الضاد. والمعنى : أنهم يكتسبون الضلالة به ، أي يأتيهم الضلال بهذا الشيء ، ضَلُّوا بسبب هذا الشيء .

القراءة الثانية /قرأ حمزة ، والكسائي ، وحفص عن عاصم {يُضَلُّ} بالبناء على المجهول. واختلف في توجيهه أي: أنهم يضلون بهذا الأمر يعني أن الله جل وعلا أضلهم به ، أو أن الشيطان يُضِلّهم بسبب هذا الأمر .

قراءة شاذة /قراءة الحسن ، ويعقوب قرؤوها {يُضِل} .

- استطراد/ /على كل حال لا علاقة لنا بهذه القراءة ، لأننا نكتفي بالقراءات السبع وعسانا نضبطها ونتقنها ونعرف توجيهها بما يذكره المفسرون ، أما من أراد التوسع في القراءات الشواذ فهناك كتب مخصصة فيها مثل : (مختصر في شواذ القرآن) لابن خالويه ، (المحتسب في توجيه القراءات الشواذ) لابن جني ، (إعراب القراءات الشواذ) للعكبري ، وأيضا كتب المفسرين التي يعنون بها مثل : (المحرر الوجيز) لابن عطية ، (تفسير البحر المحيط) لأبي حيان (الدر المصون) للسمين الحلبي. هؤلاء أيضاً يذكرون القراءات الشواذ ويعلقون عليها .

{ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا} الضمير هنا في {به} يرجع إلى : النسيء ، أي : أنهم ضلوا ولم يهتدوا بسبب هذا النسيء – التأخير- والتلاعب والتحايل على أشهر الله تبارك وتعالى ، إذن هم ضلوا بسبب الوقوع في هذا النسيء ، جاء ضلالهم وعدم هدايتهم بسبب وقوعهم في هذا النسيء وهو التأخير {يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا} وهذا من تحايلهم الإحلال

والتحريم كيفما شاؤوا وأرادوا .{لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ} معنى (ليواطئوا) أي : ليوافقوا عدة ما حرم الله {زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ} أي : أن الشيطان زين لهم ذلك ، سواء شياطين الإنس أو شياطين الجن . الشياطين كانوا معهم وفيما بينهم كل مسؤول عن قبيلة يقول : لنقدم أو نؤخر ، فهم زينوا لأنفسهم هذه الأعمال السيئة. {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} أي : هؤلاء الذين تلاعبوا وتحايلوا على دين الله عز وجل لا يهديهم الله سبيلا

➢ **موقف الإسلام في الأشهر الحرم (رجب ، ذو القعدة ، ذو الحجة ، محرم)**

أولاً /يحرم القتال فيها إلا لحاجة مثل : الجهاد في سبيل الله إذا حصل اعتداء عليهم فالكفار حينئذٍ يُقتلون ويُقاتلون ويُجاهدون.

ثانيًا /تعظيمها وكما قال بعض المفسرين : أن المعصية فيها ليس كالمعصية في غيرها ، والطاعة أيضاً ليست كالطاعة في غيرها ، فهي أشهر حرم معظمة عند الله تبارك وتعالى وما زادها الإسلام إلا تعظيمًا ، لكن ليس معنى هذا أن يُترك العدو يقتل المسلمين في الأشهر الحرم ونحنُ لا نرد عليه ، لا ، هذا ليس بصحيح ! الرسول صلى الله عليه وسلم لما حصل أنه قاتل مرة في الأشهر الحرم عاب عليه المشركون وقالوا : أنه يقاتل في الأشهر الحرم ! نقول نعم ، ليس معناها أنها تمنع من صد العدوان أو من الجهاد في سبيل الله أو شيء معين ، لا ! إذا وجدت ضرورة فلا حرج في ذلك ،لكن هي لها قداستها ولها مكانتها في دين الإسلام . المعاصي تعظم فيها وليست مثل التعظيم في غيرها وأيضاً الطاعات فيها محبوبة ومعظمة عند الله تعالى. المقصود أن نفهم المراد بها وليس معنى هذا أن الإنسان يتهاون في المعاصي والذنوب ويقع في ما حرم الله في غير الأشهر الأربعة بل الإنسان مطالب أن يتوب إلى الله أن يقلع عن ما حرم الله كما قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح : (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى) قيل يا رسول الله : ومن يأبى ؟ قال : من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى)

{وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ (٥٨) وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ (٥٩)}.

سبق أن ذكرنا في أول تفسير سورة التوبة أن من أسمائها (الفاضحة) أنها فضحت أحوال المنافقين وسرائرهم وهتكت أستارهم وكشفت عوارهم. بل إن الصحابة رضي الله عنهم خافوا وفَرِقُوا ، **يقول عمر رضي الله عنه :** "كلما نزل ومنهم ... ومنهم ... والله خشينا على أنفسنا" أي : خشينا أن نكون منهم ، ولذلك هذا نفاق لا يأمنه إلا منافق ولا يخشى منه إلا مؤمن، النفاق أمره عظيم وخطير والإنسان لا يدعي نفسه أنه بلغ وبلغ.. بل الإنسان ضعيف وتعترضه شياطين الإنس والجن والنفس الأمارة بالسوء.

سبب نزول هذه الآية /في سبب نزولها قولان :

القول الأول : أنها نزلت في ذي الخويصرة التميمي. وقد قال للنبي صلى الله عليه وسلم : اعدل يا رسول الله فنزلت هذه الآية.

(الشرح) فغضب عليه الصلاة والسلام وقال (ومن يعدل إن لم أعدل ! ألا تأمنونني وأنا أمين الله في أرضه) فقام خالد بن الوليد وفي بعض الروايات عمر قال : ألا أقتله يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وسلم (إنني لا أريد أن يقول الناس إن محمدًا يقتل أصحابه)، **ثم قال عليه الصلاة والسلام** (إنه يخرج من ضئضئ هذا قومٌ يتلون كتاب الله لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية) يقصد بهذا الخوارج الذين يقاتلون أهل الإسلام ويدعون

أهل الكفر.

١) منهج التكفير. فالخوارج هم الذين يكفِّرون المؤمنين بالمعاصي ولكل قوم وارث ، هؤلاء الخوارج في كل زمان ومكان نلحظهم الآن ، كفَّر هؤلاء الخوارج ومن سار على منهجهم وطريقتهم المسلمين إذا وقعوا في معصية أو ذنب ، من يعمل زنا أو يشرب خمر أو يأكل ربا هذا كافر عندهم.

٢) استحلال الدماء. والأموال تجد أحدهم يعمل تفجير إرهابي يدمر منشآت حكومية أو يفجر في الأسواق أو في آبار النفط أو أي مصلحة من مصالح المسلمين ويزعم أنه يقتل عشرة أو عشرين وأن هذا من أفضل الأعمال ! و بئس ما صنع {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}. أو تجده مثلاً يقول : أقتل من النصارى الذين عندنا وهذا أيضاً لا يجوز ! (من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا)، وما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم وقع وهو فعل الخوارج الغلاة المتطرفون

- المرحلة الأولى كما يقول العلماء أنهم يكفرون. إذا كفرو انتقلوا إلى المرحلة الثانية وهي استحلال الدماء والأموال ، سلِم منهم الكفار ولم يسلم منهم المؤمنون !

القول الثاني : أن ثعلبة بن حاطب كان يقول : "إنما يعطي محمد صلى الله عليه وسلم من يشاء" ، فنزلت هذه الآية.

(الشرح) والحقيقة أن الكلام حول ثعلبة رضي الله عنه كلام طويل كثير ، بعض المفسرين يذكر أنه نزل فيه قول الله عز وجل {وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ}. وأنه طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يسأل الله أن يرزقه غنم ، فخرج بها خارج المدينة فكثرت ونمت فصار يتأخر عن الصلاة ، ثم تفوته الصلاة ، ثم لم يعد يصلي ، ثم قيل له : هات الزكاة فرفض ، رفض في عهد أبي بكر وعهد عمر ، وأظن أنه في عهد عمر أو عهد عثمان جاء يعطي فلم يقبل منه. وهذه القصة غير صحيحة و الصحيح أن هذه الآية في المنافقين ومنهم ذو الخويصرة التميمي.

{وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ (٥٨) }

قوله تعالى {وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ} (يلمزك) أي : يعيبك ويطعن عليك. وليس المعنى هنا الطعن بالسكين. بل المقصود يطعن عليك بالكلام يعني يعيبك ويغتابك (اللمز) هنا المقصود به : العيب الطعن والغيبة. {وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ} أي أنهم يعيبون ويطعنون في الصدقات فإما أنه لا يعطينا الزكاة ، فهم يعترضون على دين الله عز وجل ويتكلمون في أوامر الله : لماذا هذا نصف العشر وهذا ربع العشر ! لماذا يؤخذ من الإبل كذا ومن البقر كذا ! يلمزون ويعيبون ، أو يقول لماذا لا نكون نحن ممن يعطى الزكاة والله عز وجل قد حدد مصارفها في قوله {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ...(٦٠)} ، فهي ثمانية مصارف لا يجوز أن يُتعدى فيها.

وقوله تعالى {فِي الصَّدَقَاتِ} أي : في الزكاة. {فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا} يعني بعد هذا العيب والكلام إذا أعطوا منها سكتوا ! ورضوا بهذا الأمر {وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ} أنهم يريدون ، فيقولون لماذا نحن لا نعطى ؟! فالمسألة أنهم ليس هم الذين يبذلون لا ! بل الكلام في أنهم هم يريدون أخذ الزكاة ، ويريدون العطاء.

(الشرح) ولا يخفى عليكم أن ذا الخويصرة كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الغزوات فأعطى رجالاً من قريش وفي بعض الروايات أنه أعطى رجالاً من نجد (من الأعراب) كذا وكذا من الإبل ، فقام ذو الخويصرة وفيه ناس من قبله ولكن هو بالتحديد قال : هذه قسمة ما أريد بها وجه الله . فقال النبي صلى الله عليه وسلم مقالته . فالنفوس قد

تضعف لكنها سرعان ما ترجع إلى الحق وتؤوب ولا يخفى على شريف علمكم قصة الأنصار رضي الله عنهم في قسمة الغنائم بعد غزوة حنين أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم قريش وأعطى العرب ، ولم يعطِ الأنصار شيئاً فكأنهم وجدوا في أنفسهم فطلب الرسول صلى الله عليه وسلم من سعد بن معاذ أن يجمعهم فجمعهم فقال : مقالة قد بلغتني عنكم ، ألم آتِكم ضُلال فهداكم الله ؟ ألم آتِكم عالةٌ فأغناكم الله؟ فقالوا: صدقت ونحن كذلك ألم تكن طريداً فآويناك وكذا ... وأمنّا بك ، فخرجوا وهم يبكون ، فأخبر النبي صلى الله عليه أنه لو سلك الأنصار شعباً لسلك النبي شعبهم ، والناس شعار والأنصار دثار ، فبكوا حتى أخضبوا لحاهم رضي الله عنهم وأرضاهم ، وهذا مما يدل على فضل الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم بخلاف حال ذي الخويصرة ومن معه من المنافقين الذين كانوا يلمزون ويطعنون ويعيبون.

{وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ (٥٩)}.

{وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ} أي : قنعوا بما أُعطوا وبما آتاهم الله {وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ} (الحسب) بمعنى الكافي أي : يكفينا الله ، وهم في هذه الآية لم يقولوا "حسبنا الله" لأن الحسب معناه الكافي ، والحسب والكافي هو الله عز وجل {سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ} (راغبون) أي : متطلعون متشوقون ومتعلقون بالله عز وجل.

في هذه الآية {وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ}

أين جواب (لو) ؟ هو محذوف والتقدير : لكان خيرًا لهم ، يعني لو أنهم قالوا هذا لكان خير لهم بدل من الاعتراض ومن الكلام وطلب شيء ليس لهم .

وإن حكم الله وأحكام هذا الدين فيها مصالح وفيها الخيرات ، لو أن الدين يعطى الناس بأهوائهم وبآرائهم لصار الدين محل تلاعب . ولكن الأمر لله عز وجل ، والواجب على المؤمن الإيمان والتصديق والسمع والطاعة كما قال الله عز وجل {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعنَا وَأَطَعنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٥٢)}. أما الإعراض والنكوص على الأعقاب فهذا ليس من عمل المؤمنين والله جل وعلا يقول: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ (٣٦)}. وقال جل وعلا: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)}. يجب على الإنسان أن يسلم وينقاد لأمر الله عز وجل ولا يعترض ولا ينكص على عقبيه بل آمنا وصدقنا ، سمعنا وأطعنا.

الحلقة (٣٠)

موضوع الحلقة: تفسير الآية ٦٠ ، ٨١ ، ٨٢ من سورة التوبة

{إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦٠)}

مناسبة الآية لما قبلها /لما كان الحديث فيما سبق عن طلب هؤلاء المنافقين ومن صُرِّح باسمهم في بعض الروايات كـ(ذي الخويصرة التميمي) لماذا لم نعطى ! لماذا كذا وكذا ! فهم اعترضوا ، فهنا أبان الله عز وجل من هم المستحقون لمصارف الزكاة.

والزكاة ليست مثل الصدقات العامة والنفقات التطوعية فهذه أمرها واسع ، ولكن الزكاة محددة في هؤلاء الثمانية فقط

الذين جاء ذكرهم في الآية السابقة ، هؤلاء هم مصارف الزكاة ، فالزكاة ليست عبئاً وحملاً على الكتف تلقى في أي مكان ، بل لها مصارف ولها أشياء معينة توضع فيها ، فكون الإنسان يعطي زكاته من لا يستحقها فهذا لا يجوز له ، بل لابد أن يجتهد ويتحرى ويبحث ، ولو تبين له مثلاً أنه أعطاها من ليس بفقير وليس بمسكين فهذا يكون أجره على الله ، لكن كونه يتساهل ويعطي أي أحد ، أو أنه كما يقول العوام (بريرة) يعني يبُـرُّ بها شخص معين وهو ليس محتاج ، ليس فقير أو مسكين فهذا لا يجوز ، إذن يجب أن نتقي الله عز وجل ونهتم في هذا الأمر ، والله سبحانه أحكم الحاكمين الذي وضعها في هذه الثمانية هو أعلم بمصالح عباده وما ينفعهم سواء المعطي أو الآخذ.

➢ **الله عز وجل بين لنا المستحق للصدقات :**

الصنف الأول والثاني {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ} المفسرون رحمهم الله يذكرون خلافاً طويلاً في الفرق بين الفقير والمسكين :

القول الأول /أن الفقير هو المتعفف عن السؤال ، وأن المسكين هو الذي يسأل.

القول الثاني /أن الفقير هو المحتاج الذي به زَمَانَة ، يعني كبير في السن ، زَمِنْ ، ثقيل ، أو به ذلة أو مرض ، والمسكين هو المحتاج الذي لا زمانة به ، بمعنى أنه مستطيع ولكنه محتاج.

القول الثالث /أن الفقير هو المهاجر ، والمسكين هو الذي لم يهاجر ، و المراد :وهما محتاجان.

القول الرابع /أن الفقير هو من المسلمين ، وأن المسكين هو من أهل الكتاب.

القول الخامس /أن الفقير هو من له البُلْغَة من الشيء ، والمسكين هو الذي ليس له شيء. **(الشرح)** أي أن المسكين أعظم حاجة من الفقير ، الفقير لا بأس به حيث أنه له بلغة يعني عنده ما يتبلغ به الآن فحاجته خفيفة ولكن يحتاج أن يعطى ، أما المسكين هو الذي ليس له شيء البتة ، ولما قيل لأعرابي : أفقير أنت ؟ قال : لا والله بل مسكين. يعني أسوأ حالاً من الفقير.

القول السادس /أن الفقير أمس حاجة من المسكين ، وهذا مذهب الإمام أحمد ، لأن الفقير مأخوذ من انكسار الفقار ، و المسكنة مأخوذة من السكون والخشوع ، قال الأصمعي : "المسكين أحسن حالاً من الفقير ، لأن الفقير أصله في اللغة المفقور -يعني أصله من انكسار الفقار- وأما المسكين فهو أحسن حالاً" **وهذا هو الراجح** لأن الفقير كما قال الإمام أحمد : مأخوذ من انكسار الفقار ، كأنه لحاجته وضعفه قد انكسر فقار ظهره ، وأما المسكين فهو مأخوذ من المسكنة والخشوع ، ولا شك أن حال الفقير هنا أعظم من حال المسكين.

وبعض العلماء يرى أن الفقير والمسكين مثل الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا ، يعني إذا قيل فقير لوحده فيراد به المسكين ، وإذا قيل مسكين فإنه يراد به الفقير لكن إذا اجتمعا فالفقير أشد حالاً من المسكين ، وبه بُدِأَ في هذه الآية ،

فنقول مرة أخرى أنها ستة أقوال ، والراجح منها هو القول السادس . واستدلوا على أن الفقير أعظم حاجة من المسكين قالوا أن الله جل وعلا قال في سورة الكهف {أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ (٧٩)}. فوصف بالمسكنة من له سفينة تساوي مالاً فقال (لمساكين) ولم يقل (لفقراء) يعني ما شاء الله مساكين ولديهم سفينة !! إذن المسكين هو الذي يملك المال وإن كان مالاً ليس بكثير ولكنه على الأقل هو أحسن حالاً من الفقير.

الصنف الثالث {وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا} : هم السعاة أو جباة الصدقة -الذين يجمعون الزكاة- فيعطون منها بقدر أجور

أمثالهم ، وهذا لا يعني أن يأخذون ويضعون في جيوبهم فهذا لا يجوز ، ولي الأمر الذي يبعثهم ليجبوا الزكاة هو الذي يحدد كم يُعطون من الزكاة.

الصنف الرابع {وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ}: وهم قوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم وهم إما مسلمون أو كفار.

المسلمون كانوا على صنفين :

١) صنف كانت نيتهم في الإسلام ضعيفة ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم بهذا لتقوى نيتهم ، كعيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس .

٢) صنف كانت نيتهم حسنة لكن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم تأليفاً لعشائرهم ، مثل عدي بن حاتم.

والكفار على صنفين أيضاً :

١) صنف يقصدون المسلمين بالأذى فتألفهم الرسول صلى الله عليه وسلم دفعاً لأذاهم ، مثل عامر بن الطفيل ، فهذا كان يؤذي المسلمين فأُعطي منها حتى يُكفَّ أذاه.

٢) صنف لهم ميل إلى الإسلام ، فيُعطون لعلهم يؤمنوا ، مثل صفوان بن أمية.

وهذا الحكم باقي ما لم يُنسخ ، فبعض العلماء يرى أنه نسخ ، ولكن ولي الأمر ينظر إذا وُجد مشرك أو مسلم وهذه حاله فيُعطى. فهذه الآية لم تُنسخ ، قال الزهري رحمة الله : "لا أعلم شيئاً نسخ حكم المؤلفة قلوبهم" ولكن هذا الأمر كما قلت يتولاه لولي الأمر فهو الذي يحدد من الذي يؤلف ومن الذي لا يؤلف .

الصنف الخامس {وَفِي الرِّقَابِ} : (الرقاب) أي : المماليك والعبد المكاتب فيعطى ويُعان حتى يعتق ، يعني يُكاتَب بينه وبين سيده فيعطى من الزكاة حتى يستعين بها بعد الله عز وجل ليَعتُق.

الصنف السادس {وَالْغَارِمِينَ} : وهم الذين لزمهم الدين ولا يجدون قضاءً ، فكما قال قتادة : "هم أناس عليهم دين من غير فساد ولا إسراف ولا تبذير" فلا يجوز أن يُعطى أحدًا يتلاعب ويأكل حقوق الناس ثم يقول يا ناس أعطوني الزكاة ! فهذا لا يجوز ، بل يعطى الذي تحمل حمالاً لنفسه أو أيضاً لغيره ، بعض الناس -ما شاء الله- يُشكرون على تحملهم فيعطى مجازاة له ، أو يُعطى للشخص الذي عليه دين ولكن كما قال قتادة "من غير إسراف ولا تبذير". مثلاً يأتي أحدهم ويتلاعب بحقوق الناس ويُكثر من الديون ويقول أنا سأنتظر متى تُوزع الزكاة لآخذ نصيبي ! نقول : لا ، فهذا تلاعب وتحايل في دين الله فلا يجوز.

الصنف السابع {وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ} والمقصود : الغزاة والمرابطون على الثغور والمجاهدون في سبيل الله عز وجل فإنهم يعطون من الزكاة إما لهم شخصياً ، أو يُشترى بها أسلحة، لأن هؤلاء في عمل صالح راشد .

الصنف الثامن {وَابْنِ السَّبِيلِ} : وهو المسافر المنقطع به وإن كان له مال في بلده. والآن في الحاضر -الحمد لله- توجد البنوك والصرافات ، ولكن لو انقطع شخص ولا يوجد بنوك ولا صرفات ! فهذا يُعطى من الزكاة ، وسمي (ابن السبيل) - ليس بمعنى أنه ولد الطريق- بل من شدة ملازمته للأسفار كأنه ابن لهذا الطريق.

قوله تعالى {فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ}. معناه أن الله سبحانه افترض هذا عليهم {وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} الله سبحانه وتعالى أعلم بما يصلح عباده وما ينفعهم وما هو الأفضل لهم.

لقد ذكرنا سابقاً أن الزكاة ليست حملاً وأنه يجب على الإنسان أن يتحرى ، أيضاً يجب على الفقير والمسكين إذا أغناه الله أن لا يقبل بالزكاة ، فبعض الناس يكون في سنة أو سنتين فقير كامرأة مثلاً يكون لديها أيتام وحالتهم ضعيفة فإنهم

يتقبلون الزكاة ، أو رجل أبناؤه صغار ويعاني من الديون ، ولكن بعد سنوات يكبر الأبناء وتوظفوا واستلموا رواتب وكافية ومغنية فالمفترض أنه إذا جاءهم الرجل الذي اعتاد أن يعطيهم الزكاة وطرق عليهم الباب ومد لهم الزكاة التي يعطيها لهم سنوياً ، أنهم يقولون جزاك الله خير وكتب الله أجرك فيما سبق ، وأما الآن فالله سبحان وتعالى أغنانا وأعطانا من فضله ووسع علينا والأولاد ولله الحمد كبروا وتوظفوا ، وجمعنا ما تيسر من الأحوال واشترينا أراضي والأراضي ثمّرناها (أي : صاروا أغنياء وليسوا محتاجين) أي لا ينبغي على الإنسان أن يعتاد ويجلس يأخذ كالعطية أو الهدايا أو (براير) يعني يبر بها فلان .. فهذا حرام ! حرام عليه أن يأخذها وهو ليس مستحق لها والله المستعان حيث أنه يوجد بعض الناس يتوسع في هذا الشيء ويشكو بأنه محتاج وهكذا وهو ليس كذلك بمعنى أنه إذا استمر الشخص يأخذ الزكاة وهو قد تغير وضعه إلى الأحسن وأغناه الله فإن هذه مذلة وكدح نسأل الله العافية ، يأتي يوم القيامة وليس في وجه مُزعةَ لحم كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم.

{فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١) }

{فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ} المراد هنا : المنافقون الذين تخلفوا عن رسول صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، (المخلفون) جمع مُـخلَّف وهو : المتروك خلف من مضى. هو الذي يُـخلَّف بمعنى أن الناس يمشون يذهبون وهو يجلس. {بِمَقْعَدِهِمْ} أي : بقعودهم. {خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ} اختلف في هذا على قولين : (١) قيل أن معناه : بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. (٢) وقيل أن المقصود : مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، **وكلا القولين صحيح** . فهم قعدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأيضاً هم مخالفون لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

٨٨ إعراب//{خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ} (خلاف) منصوب على أنه مفعول لأجله .

يعني أنهم قعدوا لمخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم لماذا قعدوا ؟ لأنهم يريدون ترك الجهاد في سبيل الله عز وجل {وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ}

{وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ} اختلف في المراد بهذا على قولين :

(١) أنهم كانوا يقولون لبعضهم البعض. يعني هذا الكلام كله يدور في محيط المنافقين ، كل واحد يُضعِف الثاني ويخذله عن الجهاد في سبيل الله.

(٢) أنهم قالوه للمؤمنين ، وكان الزمان في ذلك الوقت زمن حر شديد ووقت فواكه ، وكل إنسان يجلس مع أسرته وفي الظل ، فقالوا لهم هذا الكلام {وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ}

{قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا} وهذا بلا شك لمن خالف أمر الله فنار جهنم أشد حراً ، من عوقب في نار جهنم فعقوبة النار ليست مثل عقوبة الدنيا ولا حرَّها مثل حر الدنيا .{لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ} نعم ، لو كانوا يعلمون ويعرفون لكنهم لا يفقهون ولا يعرفون ! معنى (يفقهون) أي : يعلمون ، ومعنى (الفقه) أي العلم والفهم. أي لو كانوا يعلمون ويعرفون ، لكنهم لا يفقهون ، هم رضوا بالخلود إلى الأرض ورضوا بالمساكن ورضوا بالظل الظليل وتركوا الجهاد في سبيل الله عز وجل وقالوا هذا الكلام الذي لا يصح.

{فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢)}

{فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا} يقول المفسرون : لفظه لفظ الأمر ، ولكن معناه التهديد ، هنا ليس المقصود أن يقول لهم

اضحكوا أيها المنافقون ! وإنما المقصود التهديد ، هو اللفظ لفظ الأمر لكن المقصود التهديد.

➢ وفي قلة ضحكهم وجهان :

الوجه الأول /أنه الضحك في الدنيا لكثرة همومها وحزنها فضحكهم فيها أقل لما يتوجه إليهم من الوعيد. يعني المقصود بقوله تعالى {فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا} أن الضحك في هذه الدنيا قليل لكثرة أحزانها وهمومها ، لو الإنسان يقارن كثرة ضحكه مع همومه وأحزانه سيجده أقل بلا شك ، وهذه طبيعة الدنيا :

طبعت على كدر وأنت تريدها **صفوٌ من الأكدار والأغيار

ومكلف الأيام ضد طباعها ** مستجلب في الماء جذوة نار

الوجه الثاني /أن المراد به أنهم إنما يضحكون في الدنيا وبقاؤها قليل ، حتى لو ضحكوا كثيراً في الدنيا فزمن الضحك بالنسبة لما سينالهم يوم القيامة ليس بشيء .

{وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا} أي : في الآخرة. قال أبو موسى الأشعري : "إن أهل النار ليبكون الدموع في النار حتى لو أُجريت السفن في دموعهم لجرت ، ثم إنهم يبكون الدم بعد الدموع ، فلمثل ما هم فيه فليُبكى" . هذا الكلام الله أعلم بصحته ، لكن عذابهم في النار وبكاؤهم وصياحهم وصراخهم واستنجادهم كثير ، ولكن ولات مندم {جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} يعني أن هذا جزاء وعقوبة لهم. {بِمَا} (الباء) سببية ، (ما) إما أن تكون مصدرية. يعني : بكسبهم . (الكسب هو عملكم ، أنتم الذين عملتم كذا وكذا) ، وإما أن تكون موصولة. والتقدير : بالذي كسبتم ، بالذي عملتم ، (الكسب هنا هو الفعل ، بما فعلتم وعملتم وقلتم)

➢ هذا هو حال المنافقين يُخذِّلون عن الجهاد في سبيل الله ويقولون مثل هذا الكلام {وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ (٨١)}التوبة. اهتموا بأولادكم وأموالكم وكيف تعرضون أنفسكم للقتل ! وما علموا أن ما عند الله خير وأبقى وأن هذه الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة.

الحلقة (٣١)

موضوع الحلقة: تفسير الآيات ٨٣ ، ٨٤ ، ١٠٣ من سورة التوبة

{فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ (٨٣)}.

سبق أن ذكرت أن من أسماء سورة التوبة (الفاضحة) فإنها فضحت أحوال المنافقين وهتكت أستارهم وأبانت عوارهم ، وجلت نعوتهم وأحوالهم حتى لا يقع المسلم الصدق في دينه ما وقع فيه هؤلاء ، ووقائع السيرة بينت أحوالهم المخزية الرديئة في تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كادوا له من المكايد. فالنفاق جرم عظيم وهو : إظهار الإسلام وإبطان الكفر. والله جل وعلا أبان لنا صفات المنافقين وأيضًا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن ذلك ما حصل في غزوة تبوك حين تراجع كثير من المنافقين ولم يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأرادوا أن يقعدوا في الزرع وفي النخيل مع الأهل والأولاد وكان حر شديد خذل بعضهم بعضاً وحاول أيضاً أن يفتوا في عضد المسلمين الصادقين ، ولكن ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

يقول الله جل وعلا {فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ} أي : إن ردك الله من غزوة تبوك إلى المدينة ، النبي صلى الله عليه وسلم خرج من تبوك ثم رجع بعد ذلك {إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ} أي : المنافقين الذين تخلفوا بغير عذر مقبول ، بعضهم جاء بأعذار لكنها كاذبة

وهنا قال الله {إِلَى طَائِفَةٍ} لأنه ليس كل من تخلف عن غزوة تبوك هو منافق ، فمنهم قصة الثلاثة النفر من الصحابة رضي الله عنهم كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال ابن أمية وهم الذين نزلت فيهم الآيات في آخر سورة التوبة {وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا} هؤلاء صدقوا ما عاهدوا الله عليه ولم يكذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلت براءتهم وفضل الله عليهم وكان ختام الآيات {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} المهم أن ليس كل من تخلّف عن غزوة تبوك كان منافقًا وإنما هم طائفة.

قوله تعالى {فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ} أي : معك للغزو في المستقبل {فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا} أي : في أي غزاه في المستقبل لن تخرجوا معي أبدًا. وقوله تعالى {إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ} أي : عني وعن الجهاد في سبيل الله {أَوَّلَ مَرَّةٍ} **أي :** حين لم تخرجوا إلى تبوك.

ذكر المفسرون المراد بقوله {أَوَّلَ مَرَّةٍ} قولان :

القول الأول /أي : أول مرة دعيتم. **القول الثاني** /أي : قبل استئذانكم.

قوله تعالى {فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ} (الخالفين) في اللغة كما **قال أبو عبيدة :** "الخالف هو الذي خلف بعد شاخص فقعد في رحله ، وهو الذي يتخلف عن القوم"

- استطراد/ /وأبو عبيدة إمام من أئمة اللغة وكتابة (مجاز القرآن) يعتبر عمدة في بيان الغريب ، وإن كان له شطحات وتأويل الآيات على غير موقعها الصحيح لكن هذا الكتاب يعتبر مرجع من مراجع غريب القرآن ، وكنت بيّنت أن مجاز القرآن ليس المراد بها ما اصطلح عليها المتأخرون من البلاغيين وغيرهم الذي هو (ضد الحقيقة) إنما المقصود بمجاز القرآن يعني (الغريب) معنى الكلمة ،بيان غريبها.

ما المراد بـ (الخالف) هنا في هذه الآية اُختلف فيها على قولين :

القول الأول /أنهم الرجال الذين تخلفوا لأعذار. **القول الثاني** /أنهم النساء والصبيان. **وكلا القولان صحيح.**

{وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ(٨٤)}

هذه الآية تبين لنا بجلاء صورة من صور الرحمة واللين والرأفة في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه كان يتمنى الخير لهذه الأمة ويحرص عليه كما قال تعالى {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}. وصدق الله {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}. وقال عليه الصلاة والسلام (أنا الرحمة المهداة)

سبب نزول هذه الآية /هي قصة مشهورة : أنه لما توفي عبد الله بن أبي بن سلول -وهو رأس المنافقين لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعامل معه كما يتعامل مع الناس على الظاهر (الإسلام)- جاء ابنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : أعطني قميصك حتى أكفنه فيه وصلِّ عليه واستغفر له ، فأعطاه قميصه -رجاءَ بركة رسول الله صلى الله عليه وسلم- ثم قال : آذني -أي أعلمني- أن أصلي عليه فآذنه ، فلما أراد أن يصلي عليه جذبه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال : أليس قد نهاك الله أن تصل على المنافقين ! -عمر رضي الله عنه فيه شدة في الإسلام- فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أنا بين خيرتين {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ}) فصلى عليه فنزلت هذه الآية. قال قتادة : "ذُكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول (ما يغني عنه قميصي من عذاب الله والله إني لأرجو أن يُسلم به ألف من قومه)" قال بعض المفسرين : "يروى أنه أسلم ألف من الخزرج لما رأوه يطلب الاستشفاء بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأراد الصلاة عليه".

(الشرح) على كل حال أن رسول الله غلب جانب الرحمة وهو يعرف أنه رأس المنافقين ومع ذلك قال : الله عز وجل خيرني فقال {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ}. وهنا في رواية أخرى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (وما يغني عنه قميصي إن كان الله أراد أن يعذبه) ! ما ينفعه قميصي ولا صلاتي و دعائي هذا أمره إلى الله. لكن عليه الصلاة والسلام أولاً : نظر إلى أن ظاهره الإسلام ، وثانيًا : أنه عليه الصلاة والسلام خُيِّر بين أمرين فاختار الاستغفار له ، وثالثًا : أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يتألف قومه. ونحن نعرف أن عبد الله بن أبي قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة صنعوا له تاجاً حتى يكون ملك عليهم في المدينة تسمى يثرب جاء أنه سلم ألف من قومه لِما رأوا من حسن خلق النبي صلى الله عليه وسلم معه وأن عبد الله بن أبي طلب الاستشفاء بقميص النبي صلى الله عليه وسلم هذا ما جاء في هذه الروايات التي تدل على رأفة النبي صلى الله عليه وسلم ورحمته.

ما يستفاد من هذه الآية / نحن المسلمون نستفيد كحكم شرعي أننا نصلي على من ظاهره الإسلام الذي يصلي صلاتنا ويتجه إلى قبلتنا ، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة لأنه ليس لنا إلا الظاهر ما دام أن ظاهره الإسلام فهذا يصلى عليه ، أما أن يقول قائل : هذا يأكل الربا ، يظلم ، يسرق ... الخ هذا أمره إلى الله عز وجل إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة وإن شاء عذبه بجرمه ولكنه لا يخلد في النار فإنه لا يخلد في النار إلا الكافر ، مادام أنه مسلم يشهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدًا رسول الله فإننا نصلي عليه ، وأما مسألة السرائر والبواطن فهذه أمرها إلى الله.

قوله تعالى {وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ} (منهم) أي : من المنافقين.

ومعنى قوله تعالى {وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ} فيه قولان :

القول الأول / قال المفسرون : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له ، فنهي عن ذلك في حق المنافقين.

(الشرح) وهذا هو السنة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يومًا ما (سلوا لأخيكم التثبيت فإنه الآن يُسأل) . من السنة أنه إذا دفن الميت لا ينبغي التشاغل بالسلام والقيل والقال بل نسأل الله له الثبات لأنه جاء في الحديث : (أنه إذا أُهيل عليه التراب واغتنم الناس الأجر في ذلك رُدّت إليه روحه حتى إنه ليسمع قرع نعال أصحابه). وهنا يُسأل العبد ، فينبغي أن نُذكر أنفسنا ونذكر غيرنا أنه إذا دُفن الميت نقف على قبره ونسأل الله له التثبيت ، بعض الناس يلقن الميت : "يا فلان إذا قيل لك من ربك فقل الله ، إذا قيل لك من نبيك فقل محمد صلى الله عليه وسلم ، إذا قيل لك ما دينك فقل الإسلام" وهذا التلقين لم يرد فيه حديث صحيح فلا ينبغي. الذي ورد وثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نسأل الله له الثبات ، والدعاء له ونلح بالدعاء.

القول الثاني / وهو قول للطبري يقول : "معنى {وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ} أي : لا تتولَ دفنه وهو من قولهم : قام فلان بأمر فلان أي هيئه وأصلحه".

وكلا القولين سواء قلنا لا تقم على قبره بالدعاء ، أو قلنا لا تتولَ دفنه **كلاهما صحيح.**

المنافق إذا ثبت نفاقه بلا شك لا تجوز الصلاة عليه ، ولا نشترك في دفنه. لكن هذه مسألة دقيقة وخطيرة فاتهام الناس بالنفاق يحتاج إلى بينة ووضوح ! إذا ثبتت البينة ووضحت بإمكان الإنسان أن يتخلى عن هذا الأمر ولا يحضره ، لكن أن يعلن في المساجد "يا ناس هذا منافق" هذا الحقيقة لا نعرف له دليلاً ولا أصلا ، دع الناس يصلون عليه ، كلمة (منافق) كلمة خطيرة ! الإنسان لا ينبغي أن يتهم الناس بالنفاق ، إذا ثبت ١٠٠٪ أن هذا الميت منافق بإمكان الإنسان

أن لا يصلي معهم ولا يشترك في الدفن ، لكن هل يُفتح (الميكرفون) في المسجد وينادى هذا منافق يا ناس لا تصلوا عليه ! هذا لا أعرف له أصلا ، والذي ينبغي أن يعمل الإنسان بما يراه مناسبًا لنفسه.

{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣)}.

سبب نزول هذه الآية /هذه الآية قيل أنها نزلت في قصة أبي لبابه وأصحابه. أنه لما تاب الله عز وجل على أبي لبابه وأصحابه قالوا : يا رسول الله هذه أموالنا فتصدق بها عنا فقال صلى الله عليه وسلم (ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً) فنزلت هذه الآية.

تذكرون قصة أبي لبابه أنه لما جاء إلى اليهود أراد أن يحكم فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحكم الله أو على حكم سعد رضي الله عنه جاء أبو لبابه إليهم وأشار بيده إلى حلقه -أي أنكم ستقتلون- فأحس أنه وقع جرم كبير وأنه حصلت منه زلة فربط نفسه في إحدى سواري المسجد وقال: لا أحلها حتى يحلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزلت توبته وقيل أنه قال : أن هذا مالي خذ منه ما شئت يا رسول الله فنزلت الآية.

لكن المشهور أن هذه الآية نزلت في الزكاة. ولذلك اختلف في (الصدقة) على قولين :-

القول الأول /أنها الصدقة التي بذلوها تطوعاً.

القول الثاني /أنها الزكاة. ***على كل حال الزكاة هي الأصل والصدقة العامة فرع.

فالله جل وعلا يقول {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ} أي : أن هذه الصدقة تكون مطهرة لهم من الذنوب. تخلصهم من علائقها ومن آثامها {وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} أي : تصلحهم بها. التطهير يعني النقاء والطهر من الذنوب كما أنها طهرة للمال أيضًا.

وقوله تعالى {وَصَلِّ عَلَيْهِمْ} اختلف بالمراد بـ(الصلاة) هنا على قولين :

القول الأول /أي : استغفر لهم. **القول الثاني** /أي : أدعُ لهم.

ما يستفاد من هذه الآية /أخذ الفقهاء رحمهم الله من هذه الآية أنه ينبغي على العاملين على الزكاة وأيضا المسؤولون الذين بعدهم إذا أُتُوا بالزكاة أن يدعو لصاحب المال فيقال : نسأل الله أن ينمي لك مالك ، نسأل الله أن يبارك لك ، جزاك الله خيراً ، فيُعطى كلمات طيبة ، وبلا شك إن كانت زكاة فهي واجبة عليه ، وإن كانت صدقة عامة فهذا مما يُشكر عليه.

** **قراءات**/وقوله تعالى {إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ} في قوله (إن صلاتك) قراءتان :

القراءة الأولى /قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، و أبو بكر عن عاصم(شعبة بن عياش) {إن صلواتك} على الجمع.

القراءة الثانية /قرأ حمزة ، و الكسائي ، وحفص عن عاصم {إن صلاتك} على الإفراد.

وقوله تعالى {سَكَنٌ لَهُمْ} اختلف فيها على أقوال :

القول الأول /أنه طمأنينة لهم أن الله قبل منهم. **القول الثاني** /أنه رحمة لهم. **القول الثالث** /أنه قربة لهم.

القول الرابع /أنه وقار لهم. **القول الخامس** /أنه تزكية لهم.

وهذا من اختلاف التنوع وليس من اختلاف التضاد ، سواء قلنا أنها : الطمأنينة ، الرحمة ، القربة ، الوقار ، التزكية فكلها خير وهنيئًا لمن دعا له النبي صلى الله عليه وسلم سواء التقى به ، أو في دعواته صلى الله عليه وسلم العامة كقوله (رحم الله امرءًا صلى قبل العصر أربعًا) فدعواته مقبولة عليه الصلاة والسلام. وهذا يستفاد منه أنه ينبغي على العاملين

على الزكاة ومن خلفهم من المسئولين أن يدعو لأصحاب الزكاة ويثنوا عليهم خيرًا فهذا تشجيع لهم وفيه دعاء لهم.

الحلقة (٣٢)

موضوع الحلقة: تفسير الآيات ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ من سورة التوبة

{إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١)}

سبب نزول هذه الآية : أن الأنصار لما بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وكانوا سبعين رجلاً -هذا في بيعة العقبة الثانية- قال عبد الله بن أبي رواحه (يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال : أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم. قالوا : فإذا فعلنا ذلك فما لنا ؟ قال : الجنة. قالوا : ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل) فنزلت هذه الآية.

(الشرح) ولا شك أن موقف الأنصار في بيعة العقبة سواءً الأولى أو الثانية موقف عظيم وفيه الإخلاص والصدق في الإيمان و لمحبة النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى لما أرادوا أن يمدوا يدهم للبيعة والعباس بن عبد المطلب قد حضر مع النبي صلى الله عليه وسلم وكان مشركاً ، وهو عم النبي صلى الله عليه وسلم لكن من محبته ورأفته به ، فأراد الأنصار أن يمدوا يدهم للبيعة فأقام أحدهم ولعله أسيد بن الخضير أو غيره، فقال : يا قوم عندما تبايعون محمد صلى الله عليه وسلم ستكونون في جهة والعرب كلها في جهة فهل لكم طاقة بهم ! فقالوا بمعنى كلامهم : ما جئنا و لا بايعنا وإلا ونحن راغبون هذا الدين ومستسلمون بالله تبارك وتعالى ، فبشرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة وبالخير وبما لا يعلمه إلا الله عز وجل فبايعوه رضي الله عنهم رجلا رجلاً. وإذا قيل في تراجم الصحابة أن فلان شهد العقبة سواءً الأولى أو الثانية هذه تعد منقبة من مناقبه ، ولا شك أن الأنصار بلاؤهم و اجتهادهم في دين الإسلام أمر عظيم.

قوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ} (اشتراء النفس) أي : أنه بالجهاد في سبيل الله ، أما (اشتراء الأموال) أي بأمرين :

القول الأول /إما في الإنفاق في الجهاد في سبيل الله ، القول الثاني /أي بالصدقات عموماً.

وهذا مما يدل على فضل هذا العمل وهو الجهاد في سبيل الله يقول الحسن البصري : "لا والله إنْ في الدنيا مؤمن إلا وقد أُخذت بيعته" يعني المؤمن المفترض أنه يبذل ويعطي والمنة لله أولاً وآخرًا ، فلقد قال الله {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ} وعبيده ملك له ، وما معهم ملك له جل وعلا فهذا فضل من الله سبحانه وتعالى. قال قتادة: " ثامنهم والله فأغلى لهم" يعني أنهم أُعطوا بدلاً عما سيبذلونه من بذل النفس والمال بالجنة {بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ}.

** قراءات/ /وقوله تعالى {فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ} هنا فيها قراءتان :

القراءة الأولى /قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، و ابن عامر ، وعاصم {فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ} يعني الأول فعل مبنى للمعلوم والثاني مبني للجهول {فَيَقْتُلُونَ} أي : يقتلون الأعداء ، {وَيُقتَلُونَ} أي : يستشهدون في سبيل الله -يقتلهم الأعداء فيستشهدون في سبيل الله عز وجل-.

القراءة الثانية /قرأ حمزة ، والكسائي {فيُقتلون ويَقتلون} - بالعكس- الفعل الأول مبني للمجهول والثاني مبني للمعلوم والمعنى : أنه يَقتل من بقي منهم بعد من قُتل. وهذا فضل من الله بأنهم يَقتلون الكفار وقد يُقتلون.

إعراب/ /قوله تعالى {وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ} (وعداً) مصدر منصوب على أنه مفعول مطلق.

وقوله تعالى {فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ} يدل على أن أهل كل ملة أُمروا بالجهاد في سبيل الله ووُعدوا على ذلك الجنة. ليس جهاد الكفار موجود في شريعة الإسلام فقط بل في كل ملة ومن ذلك {التَّوْرَاةِ} أي : أهل التوراة وهم اليهود { وَالْإِنْجِيلِ} أي : أهل الإنجيل وهم النصارى أُمروا ورغبوا بالجهاد في سبيل الله عز وجل ووعدوا على ذلك الجنة لأن الله تعالى يقول {وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ}. ثم قال الله {وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ} - ما أعظم هذه الجملة! – قال المفسرون أي : لا أحد أوفى بعهده من الله. حتى لو بلغ الإنسان ما بلغ من الوفاء بالعهد لكن لا شك أنه لا مقارنة بين المخلوق والخالق سبحانه. وقوله تعالى {فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ} أي : افرحوا بهذا البيع. {وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}

{التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٢)}

سبب نزول هذه الآية /أنه لما نزلت الآية التي قبل وهي قوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ} قال رجل : يا رسول الله وإن سرق ! وإن زنا ! وإن شرب ! يعني شرب الخمر فنزلت هذه الآية. - أن الإنسان متى تاب ، تاب الله عليه ، التوبة تجبّ ما قبلها {فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠)}.

^^ إعراب/ /ما وجه الرفع في قوله تعالى {التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ ..... الآية} ؟ الرفع على أوجه كثيرة ، لكن الراجح منها وجهين :

١) إما أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف والتقدير : (هؤلاء) أو (هم) التائبون العابدون الحامدون ..... الخ ، أي يوجد مبتدأ محذوف (هؤلاء) أو (هم)

٢) أو أن يكون مبتدأ والخبر محذوف والتقدير : التائبون .... الخ (لهم الجنة) وإن لم يجاهدوا ، والمعنى : التائبون ومن ذُكر معهم لهم الجنة أيضاً وإن لم يجاهدوا إذا لم يقصدوا ترك الجهاد. .. لأن بعض المسلمين يُجزئ عن بعض ، يعني لو واحد مثلاً ما جاهد نقول ليس لك الجنة ! لا ، فالجهاد قد يكون فرض عين وقد يكون فرض كفاية إذا قام به البعض يكفي عن الآخرين ، فهل نقول أنه لا توجد جنة إلا بالجهاد في سبيل الله ! لا ، هذا الكلام غير صحيح ! وقد بيّنت في محاضرات سابقة أن الجهاد له مسائل كثيرة مرتبطة به.

معاني مفردات هذه الآية /يقول الله {التَّائِبُونَ} المراد بها قولان :

١) أي : أنهم الراجعون من الشرك والنفاق.

٢) أي : أنهم الراجعون إلى الله في فعل ما أمر واجتناب ما حذر. **وكلاهما صحيح.**

وقوله {الْعَابِدُونَ} اختلف في المراد به على ثلاث أقوال :

١) أنهم المطيعون لله بالعبادة. ٢) أنهم المقيمون الصلاة. ٣) أنهم الموحدون. **وكلها أقوال صحيحة.**

وقوله تعالى {الْحَامِدُونَ} أي : يحمدون الله ويشكرونه على كل حال. **(الشرح)** والحمد مرتبة عظيمة ، جاءت صيغه في القرآن وفي السنة (**اللَّهُمَّ لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك**) وجاء الحمد في افتتاحية خمس سور ، وفي آيات غيرها كثيرة ، وعلى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقوله تعالى {السَّائِحُونَ} اختلف في المراد بهذه الكلمة على أقوال :

القول الأول /أنهم الصائمون. وقد يُستغرب لماذا سُمي السائح (صائم) قد يقول قائل هذا بعيد ! نقول **أن هذا هو القول المشهور عند المفسرين** ، قالوا : لأن (السائح) المسافر عادة يكون طعامه قليل وقد لا يكون معه طعام ، كذلك الصائم لا يأكل الطعام ولا يأتي أي شيء من المفطرات. **وهذا القول مروي عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهم وعن جملة السلف.**

القول الثاني /أنهم الغزاة المجاهدون في سبيل الله.

القول الثالث /أنهم طلاب العلم.

القول الرابع /أنهم المهاجرون في سبيل الله.

وقوله تعالى {الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ} أي : في الصلاة. إشارة إلى أهم ركنين من أركان الصلاة وهما الركوع والسجود والسبب –لماذا خُصّا بالذكر؟ – لأن فيهما من التذلل والخضوع لله عز وجل ما يحب الله أن يراه من عبده. وقوله تعالى {الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ} وهو طاعة الله وأول ذلك توحيد الله والفرائض الصلاة وما بعدها. وقوله تعالى {وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ} أي : عن معصية الله وأعظم المنكرات هو الشرك ثم البدع ثم المعاصي كبيرها وصغيرها. ومعروف أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعامة عظيمة وأساس من الأسس التي يجب العناية بها ورعايتها.

- **قوله تعالى {الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ} تلاحظون أيها الأخوة أنه جاء في الآية ذكر عدة صفات ، ولما جاءت الصفة الثامنة دخلت الواو ! هذه الواو اختلف فيها :**

١) **التوجيه الأول** /من اللغويين ومن كتبوا في حروف المعاني من يُسمي هذه الواو بـ (واو الثمانية). وقالوا أن هذه الواو دائماً تأتي في الشيء الذي فيه ثمانية ، مثلاً الله عز وجل لما ذكر عدد أهل الكهف قال {وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ}. ولما جاء الحديث عن أبواب الجنة وأبواب النار في آخر سورة الزمر قال تعالى {وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا}. عند الحديث عن أبواب الجنة لأنها ثمانية ، ولم يؤتَ بالواو مع فتح أبواب النار لأنها سبعة ، والله أعلم ، **على كل حال هذا قول مشهور.**

٢) **التوجيه الثاني** /أن الآمر بالمعروف ناهٍ عن المنكر ، فكان دخول الواو دلالة على أن الأمر بالمعروف لا ينفرد عن النهي عن المنكر. أي أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كأنهما صفتان في صفة واحدة ، فجيء بالواو للدلالة على أنهما ليسا شيئين مستقلين مثل التائبون العابدون هذه أشياء مستقلة ، لكن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذه مرتبط بعضها ببعض. فلآمر بالمعروف هو ناهٍ عن المنكر في آن واحد. **على كل حال كلا التوجيهين صحيح.**

وقوله تعالى {وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ} المعنى أي : القائمون بأمر الله المراعون لحرمات الله.

{مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ

(١١٣)}.

سبب النزول /هذه الآية مشهورة ، مشهور سبب نزولها وإن كان يوجد خلاف في سبب النزول :-

القول الأول /قيل أنها نزلت في أبي طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال (أي عمي قل معي "لا إله إلا الله" كلمة أحاج لك بها عند الله) فقال أبو جهل وابن أبي أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ! فلم يزالا يكلمانه حتى كان آخر شيء كلمهم به : أنا على ملة عبد المطلب. فقال النبي صلى الله عليه وسلم (لأستغفرن لك ما لم أُنهَ عنك) فنزلت هذه الآية {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ} ونزلت {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ}). وهذا الحديث أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين. **هذا هو السبب المشهور.**

القول الثاني /أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبر أمه آمنه ، فتوضأ وصلى ركعتين ثم بكى فبكى الناس لبكائه ثم انصرف إليهم فقالوا : ما الذي أبكاك ؟ فقال (مررت بقبر أمي فصليت ركعتين فاستأذنت ربي أن استغفر لها فنهيت فبكيت ، ثم عدت فصليت ركعتين فاستأذنت ربي أن أستغفر لها فزجرت زجراً فأبكاني) ثم دعا براحلته فركبها فما سار إلا هُنَـيْئَة حتى قامت الناقة لثقل الوحي فنزل {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا .... الآية} ، وجاء في رواية (أنه صلى الله عليه وسلم استأذن أن يزورها فأُذن له ، واستأذن أن يدعو لها فلم يؤذن له). **(الشرح)** هذه قصة معروفة أن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ بالأبواء – المكان الذي دُفنت فيه أمه آمنة بنت وهب – فطلب أن يستغفر لها فلم يؤذن له ، فبكى عليه الصلاة والسلام ، فاستأذن زيارتها فأُذن له.

القول الثالث /أن رجلاً استغفر لأبويه وكانا مشركين ، فقال له علي بن أبي طالب : أتستغفر لهما وهما مشركان ! فقال : أولم يستغفر إبراهيم لأبيه ؟! فذكر علي ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية.

القول الرابع /أن رجالاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله : إن من آبائنا من كان يحسن الجوار ويصل الرحم ويفك العاني ويوفي بالذمم أفلا نستغفر لهم ؟ فقال (بلى والله لأستغفرن لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه) فنزلت هذه الآية.

الصحيح والمشهور القول الأول وهو مروي في الصحيحين ، ويليها موقفه عليه الصلاة والسلام مع أمه آمنه لما طلب أن يستغفر لها فلم يؤذن له ، أما هذان السببان الأخيران ليس عليهما دليل ونكتفي بما صح عن ما ليس عليه ما يدل على صحته أو على ضعفه.

قوله تعالى {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى} أي : حتى لو كان لهم قرابة : أب ، أخ ، أخت ، زوجة ، ابن ، أي أحد لا يجوز الاستغفار لهم في حال شركهم. وقوله {مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} أي : من بعد ما تبين أنهم ماتوا كفارًا.

من مات على الكفر لا يجوز أن يُستغفر له ولا تُسأل له الرحمة ، فمن ابتلي بقريب أو غيره مات على الكفر ، يسجد للأصنام ، يعبد القبور ، يستغيث بغير الله ، هذا كفر واضح فلا يجوز أن يستغفر له ، والإنسان قد يكون في نفسه شيء لكن إذا قرأ هذه الآية وعلم سبب نزولها اطمأن وقال (آمنّا وصدقنا ، سمعنا وأطعنا). الإنسان إذا مات على الكفر لا ينفعه عمله ، نعم قد ينفعه في الدنيا بكسب شهرة أو مالاً أو مدحاً أو محبةً عند الناس لكن في الآخرة لا يحصل من ذلك شيئًا كما قال تعالى {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا}.

الحلقة (٣٣)

موضوع الحلقة :تفسير الآيات ١١٤ ، ١٢٢ ، ١٢٣ من سورة التوبة

{وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (١١٤)}

قوله تعالى {وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ} الحقيقة في السببين الأخيرين الثالث والرابع في الحلقة السابقة نجد أن بعض الصحابة استدل بهذه الآية أي أن إبراهيم استغفر لأبيه فنحن نريد أن نستغفر لآبائنا ! فالله عز وجل قال هنا {إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ} وقد اختلف المراد بهذا على قولين :

القول الأول /أن إبراهيم وعد أباه الاستغفار وذلك في قوله تعالى {سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا}. وما كان يعلم أن الاستغفار للمشركين محرم ومحظور حتى أخبره الله بذلك. فإبراهيم عليه السلام قال هذا ولكنه كان لا يعلم أنه محظور وأنه ممنوع ثم بعد ذلك مُنع منه فكفّ عن الاستغفار ، ولم يستغفر له بعد ذلك. **وهذا القول هو الصحيح المشهور.**

القول الثاني /أن أباه وعده إنه إنْ استغفر له آمن، فلما تبين لإبراهيم عداوة أبيه لله تعالى ، ومات على الكفر ترك الدعاء له. والله أعلم في صحة هذه الرواية ، **القول الأول أصح.**

قوله تعالى {فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ} أي : بالشرك والكفر. وإلا فشأن الله أعظم وأجل من أن يكون هذا أو غيره عدو لله ! وقوله تعالى {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ} كلمة (أواه) اختلف في المراد بها والكلمات التي عُبرت عنها تعتبر من (اختلاف التنوع) فقيل في معنى (الأواه) ثمانية أقوال :-

القول الأول /قيل أنه الخاشع المتضرع. **القول الثاني** /قيل أنه الدَّعَّاء (كثير الدُعَاء).

القول الثالث /قيل أنه الرحيم. **القول الرابع** /قيل أنه الموقن.

القول الخامس /قيل أنه المؤمن. **القول السادس** /قيل أنه المسبح.

القول السابع /قيل أنه المتأوه لذكر عذاب الله (يعني إذا ذكر عنده عذاب الله يتأوه يخاف ويقلق).

القول الثامن /قيل أنه الفقيه.

وكل هذه العبارات مروية عن السلف عن ابن عباس ، وابن مسعود ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، فهي ثمانية أقوال وصحيح أن بعضها أقرب من بعض ، لكنها تعتبر من اختلاف التنوع.

وقوله تعالى {حَلِيمٌ} الحلم من الصفات العظيمة النبيلة وهو : الصفوح عن الذنوب (الحليم) هو الذي يصفح عن من يُذنب ويخطئ عليه ، وهي تحتاج إلى مجاهدة ، الحلم ليس بالسهل ! فقد يقول الإنسان (أنا حليم) لكن قد يمر عليه موقف معين فيغضب وينفعل وقد يقتل أو يطلق زوجته أو يسب الدين ، فالأمر خطير ولذلك لما جاء ذلك الرجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يقول : أوصني قال (لا تغضب) فردد مرارًا (لا تغضب) فالحلم صفة عظيمة وخَلَّةٌ كريمة قل من الناس من يتحلى بها.

{وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢)}

في سبب نزول هذه الآية أربعة أقوال :-

القول الأول /أنه لما أنزل الله عيوب المنافقين في غزوة تبوك قال المؤمنون : "والله لا نتخلف عن غزوة يغزوها رسول الله

صلى الله عليه وسلم ولا سرية أبداً" فلما أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم السرايا بعد تبوك نفر المسلمون جميعاً وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وهذا مروي عن ابن عباس. **(الشرح)** هم تركوه ليس الاستغناء عنه وعدم الاهتمام بأمره ! لا ، لكن لما سمعوا الكلام عن المنافقين وأنهم يثبطون عن الجهاد وأنهم لا يخرجون وأنهم يتخلفون نشط الصحابة رضي الله عنهم فقالوا لا نترك ولا نتخلف ولا عن سرية فكان كلما حرك رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية بعد غزة تبوك خرجوا فبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم (وحده) ولا شك أنه ليس وحده فمعه بقية لكن ليسوا بالكثرة ، فالله عز وجل هنا قال {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً} **وهذا هو القول المشهور.**

القول الثاني /أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا على (مُضر) أجدبت بلادهم فكانت القبيلة منهم تُقبِل بأسرها إلى المدينة من الجهد ، ويُظهِرون الإسلام وهم كاذبون ، فضيقوا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية.

القول الثالث /أن ناساً أسلموا وخرجوا إلى البوادي يعلمون قومهم فنزلت {إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ}. فقال ناس من المنافقين : "هلك من لم ينفر من أهل البوادي" فنزلت هذه الآية. أي أنهم أرادوا أن الكل يخرج وهذا غير صحيح ، إنما يخرج من يدفع الله به ويبقى بقية لأمر آخر.

القول الرابع /أن ناساً خرجوا إلى البوادي يعلمون الناس ويهدونهم ويصيبون من الحطب ما ينتفعون به فقال لهم الناس : "ما نراكم إلا قد تركتم أصحابكم وجئتمونا" فأقبلوا من البادية كلهم فنزلت هذه الآية.

- **وتوجيه الآية :** أنهم لا ينفرون كافة وإنما تنفر طائفة.

قوله تعالى {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً} قال الزجاج : "هذه الآية لفظها لفظ الخبر ومعناها معنى الأمر" أي أن الله عز وجل يأمر أن ينفر البعض ويبقى البعض. (ينفروا) أي : يخرجوا ويتحركوا ويذهبوا. (كافة) بمعنى جميعاً .

اختلف في المراد بهذا النفير على قولين كلاهما صحيح :

القول الأول /أنه النفير إلى العدو ، والمعنى : ما كان لهم أن ينفروا بأجمعهم بل تنفر طائفة وتبقى مع النبي صلى الله عليه وسلم طائفة أخرى {لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ} أي : الفرقة القاعدين. فإذا رجعت السرايا وقد نزل بعدهم قرآن أو تجدد أمر ، أعلموهم به وأنذروهم به. **(الشرح)** أي أنه لا يخرج الجميع للجهاد بل تخرج طائفة للجهاد في سبيل الله عز وجل وتبقى طائفة تتعلم وتتفقه في الدين وتتلقى الوحي من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا رجع أولئك الذين في السرايا أخبرهم الذين بقوا في المدينة بما تعلموه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي.

القول الثاني /النفير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن تنفر منهم طائفة ليتفقه هؤلاء الذين ينفرون ولينذروا قومهم المتخلفين. **(الشرح)** يعني أن المقصود أنهم ينفرون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم سيكسبون جهادًا في سبيل الله ، وسيكسبون تعلمًا وخيرًا حتى يُعلموا قومهم ويُبينوا لهم.

وكلا القولين صحيح.

وقوله تعالى {وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ} أي : أنهم الذين جاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفقهوا. وهذا فيه الترغيب إلى الإتيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته ليتفقهوا ويتعلموا فإذا رجعوا إلى قومهم علموهم وأخبروهم. {لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} فلا يقعون فيما حرم الله.

إذن هذه الآية فيها ترغيب وحث على طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم سواءً بالنفير إذا نفروا ، أو الإتيان إلى مجالسه

عليه الصلاة والسلام وأنهم لا ينفرون كلهم وإنما يذهب طائفة وتبقى طائفة حتى يكون هناك توازن وخير ، هناك أناس يجاهدون وأناس يتعلمون ويتفقهون هذا قول. والقول الآخر أي أنهم الذين يأتون من خارج المدينة أو الذين في المدينة ويصطفوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتفقهوا منه ويتعلموا حتى إذا رجعوا إلى قومهم سواء خارج المدينة أو من كانوا في نواحي المدينة فـقّهوهم في الدين وعلّموهم.

- استطراد/ /والسنة تدل على حرص الصحابة على التفقه في الدين ومن ذلك أن عمر رضي الله عنه كان هو وأخٌ له أنصاري يتقاسمان العمل فهذا يعمل وهذا يذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم هذا مكان هذا ، وهذا حرص على التفقه في الدين ، فإذا جاء عمر أخبر الأنصاري بما سمع ، وإذا ذهب الأنصاري جاء إلى عمر وأخبره بما سمع من العلم والفقه في الدين ، وهذا يدل على حرص الصحابة على التفقه في الدين ومجالسة النبي صلى الله عليه وسلم ، فهم طبقات فمنهم المتفرغ مثل أبي هريرة رضي الله عنه وجملة من الصحابة ، ومنهم من كان يعمل فكانوا لا يحرمون أنفسهم من مجالس الذكر والخير .

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٢٣)}.

هنا نداء للمؤمنين بأن يقاتلوا الكفار ، أُمِر بقتال الكفار على وجه العموم في آيات كثيرة لكن هنا تعليم وإرشاد أنه يُبدأ بقتال الأقرب بالأقرب. **(الشرح)** لنفرض أنه يوجد كفار على ثلاث مراحل في المسافات فيُبدأ بقتال الأقرب لا يذهب المسلمون إلى أقصى البعيد ويتركون القريب ! لا ، ابدؤوا شيئًا فشيئًا ، وهذا يدل على الحنكة في القتال ، فلا يذهب الإنسان إلى آخر شيء ويترك القريب منه ! هذا خطأ ! والصحيح أنهم يبدؤون بالأقرب فالأقرب. قوله تعالى {الَّذِينَ يَلُونَكُمْ} أي : القريبون منكم.

- **المفسرون ذكروا من المقصود بمن يليهم ، وهذا الخلاف المذكور يقصد به من يليهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم :-**

القول الأول /أنهم الروم. **القول الثاني** / أنهم قريظة والنضير وخيبر وفدك.

القول الثالث /أنهم الديلم. **القول الرابع** /أنهم قبائل العرب الكافرة

القول الخامس /أنه عام في قتال الأقرب فالأقرب. لأنه يختلف من زمان إلى زمان **وهذا هو الصحيح.**

معنى الآية /ينبغي أن يقاتل أهل كل ثغر الذين يلونهم ، وقد ذكروا أن النبي صلى الله عليه وسلم ربما تخطى في حربه الذين يلونهم من الأعداء ليكون ذلك أهيب له ، فأُمر بقتال من يليه ليُستنّ بذلك. **(الشرح)** يعني كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى – والله أعلم بصحة هذا – أنه يتخطى قبيلة عربية ثم يذهب مثلاً إلى القبيلة البعيدة ليكون أهيب ، ولا شك أن ذلك فيه هيبة ورعب سيدخل في قلوب هذه القبائل التي تخطاه ، ولكن على كل حال أمر بأن يقاتل من يليه لأنه سيكون قدوة وأسوة .

وقوله تعالى {وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً} (يجدوا) أي : يحصلوا ويروا. (غلظة) اختلف في المراد بها :

١) **قال ابن عباس :** أي شجاعة. ٢) **قال مجاهد :** أي شدة.

(الشرح) المؤمنون مأمورون بأن يكونوا على مرتبة عظيمة في الشجاعة وفي الشدة والقوة والبأس لا تأخذهم في الله لومة لائم ، ومع ذلك يتأدبون بآداب الجهاد لا يقتلون النساء ولا الأطفال ولا يهدمون الصوامع وغيره مما هو معروف من آداب الجهاد ، فليس معنى أن يكون الإنسان شجاعًا أن يظلم ويبطش ! بل المقصود : مراعين آداب الجهاد وأخلاقيات

المجاهدين في سبيل الله عز وجل.

قوله تعالى {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} الحديث دائمًا يتكرر معنا عن المعية وهذه هي (المعية الخاصة) أنك أنت أيها المجاهد احِرص أن تحقق مقام التقوى بفعل الأوامر وترك النواهي ، فتقوى الله تعالى معك أينما حللت وأينما ارتحلت ، يجب أن نحرص على تحقيق مقام التقوى ولنبشر بهذا الأجر والثواب أن الله معنا {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} وهذه هي المعية الخاصة. المعية العامة هي التي تفيد الإدراك والإحاطة والعلم ، والمعية الخاصة من ثمراتها النصرة والحفظ والتأييد والرعاية من الله عز وجل ، إذا لم يكن الله جل وعلا معه خُلِّيَ بينه وبين نفسه :

إذا لم يكن عون من الله للفتى .. فأول ما يجني عليه اجتهاده

ولو كان شجاعًا أو معه ما معه ! {إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}. إلى غير ذلك من النصوص الدالة على أن من وكل إلى نفسه خاب وخسر ولذلك جاء في الدعاء **(اللَّهُمَّ لا تكلني إلى نفسي ولا لأحد من خلقك طرفة عين ولا أقل من ذلك وأصلح لي شأني كله)** وبختام هذه الآية نكون قد أنهينا الحديث عن تفسير آيات الأحكام في سورة التوبة.

الحلقة (٣٤)

موضوع الحلقة تفسير الآيات في سورة النحل الآية ٦٧ ثم ننتقل إلى الآية ٩٠ ، ٩١

{وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٦٧)}

من المعلوم أن تحريم الخمر جاء على ثلاث مراحل هذا في المشهور وهو أن :

المرحلة الأولى /قوله عز وجل {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ}.

المرحلة الثانية /أنها حرمت في الصلاة {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى}.

المرحلة الثالثة /التحريم النهائي {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (٩١)}. قال الصحابة : "انتهينا ، انتهينا" فهذه هي الآية الخاتمة في تحريم الخمر ولا يحل بعد ذلك.

- فكما نلحظ أنها ثلاث مراحل ، لكن من العلماء من يجعل هناك مرحلة سابقة لهذه الثلاث تكون الأولى بحيث تكون المراحل أربع ، ويستدلون بهذه الآية في سورة النحل أن الله جل وعلا امتن عليهم بالأرزاق والخيرات والثمرات ومنها مايتخذون منه سكراً ورزقاً حسنًا.

يقول تعالى {وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا} التقدير : و (لكم) من ثمرات النخيل والأعناب (ما) تتخذون منه سكراً ورزقاً حسنا. (ما) هنا مضمرة. قوله تعالى {ومِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ} الله جل وعلا ذكر هنا شيئين (التمر) في النخيل و(العنب) {تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا} أُختلف في المراد بـ(السكر) هنا على أقوال :

القول الأول /أنه الخمر. **وهذا قول ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهما وجملة التابعين كالحسن وسعيد بن جبير ومجاهد** أن السكر هو : الخمر وهو ما حُرِّم من ثمرتها ، ويقول العلماء أنه مما يستدل به أن الخمر كانت مباحة في أول الأمر ثم نسخ بقول الله عز وجل { فَاجْتَنِبُوهُ }.

وهذا من رحمة الله التدرج في أحكام التشريع **تقول عائشة رضي الله عنها :** إن الناس كانوا حديثي عهد بكفر وبشرب خمر ، فلو قيل لهم اتركوا الخمر قد لا يتقبلوا لكن أوتي بالتدرج ، أي أن السكر وهو الخمر كان مباحاً ثم نسخ **كما قال**

ابن عباس رضي الله عنه وغيره من المفسرين بقول الله عز و جل {فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}.

القول الثاني/أن السكر هو الخل. الخل المعروف وقالوا أن هذا بلغة الحبشة وقيل بلغة اليمن .

القول الثالث /أن السكر هو الطُعم. أي يتطعمون به أي يجدون فيه لذة وطعماً.

القول الراجح /والمشهور عند المفسرين أن السكر هو : الخمر.

هنا يقول الله عز وجل {تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا} (الرزق الحسن) هو : ما أُحِل منهما.

(الشرح) الرزق الحسن هو الذي أحله الله هو الأكل ، صنع عصير ، صنع معمول من التمر ، وحلويات ، كما أن الزبيب من العنب ، أو عصير من العنب فمن فضل الله ورحمته أنه تفضل علينا بهذه الزروع والثمرات ، وأيضاً قد يكون منها خلٌ أو شيء من ذلك هذا كله مباح وحلال الذي حرمة الله هو الخمر، فالخمر وما يتفرع عنها في هذا الزمن وفي غير ذلك من الأزمان من الحشيش والإبر والحبوب والهروين فكل يوم تخرج لنا أسماء كثيرة وهي حرام في دين الإسلام ، والآيات عظيمة في هذا كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ، ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة وجاء في الحديث (أنه يسقى من طينة الخبال) قيل : يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال (عصارة أهل النار) وجاء في بعض الروايات : **أنه هو القيح الذي يخرج من فروج المومسات "البغايا"**

- هذه الآية يرى بعض العلماء أنها قد تكون المرحلة الأولى قبل المراحل الثلاثة ، على كل حال كانت الأولى أو لا تعد من المراحل هي فيها : القول المشهور /إباحة الخمر ثم نسخ بعد ذلك بتحريمه في المرحلة الأخيرة اجتناب تام على كل الأحوال وفي أي مكان وزمان {فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}.
- **ومن باب الفائدة هذه السورة يسميها العلماء بـ(سورة النِعم) لماذا ؟** قالوا لما فيها من حديث عن نعم الله والتذكير بخيرات الله وبالأرزاق وهذه التسمية صحيحة ، واسمها المعروف والمشهور (سورة النحل) لأنه ذكر فيها، وهو أيضاً من نعم الله عز وجل هذا العسل المصفى الذي فيه شفاء للناس هذا من نعم الله تبارك وتعالى.

{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠) وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ}

الحقيقة هاتين الآيتان عظيمتان وخاصة الآية الأولى فيها ذكر قواعد وأسس قام عليها هذا الدين (العدل وما بعدها) ولذلك اعتاد الخطباء في خطب الجمعة أنهم يختمون الخطبة الثانية بهاتين الآيتين الكريمتين لما فيهما من تذكير بأعظم الأسس والقواعد في هذا الدين.

يقول الله تعالى {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ} ذُكر أن المراد بـ(العدل) هنا أربعة أقوال :

القول الأول /أنه شهادة أن لا إله إلا الله. **وهذا أعظم الأقوال وأولاها.**

وبلا شك أنها هي التي قامت عليها السموات والأرض ، لا يدخل أحد الدين إلا عن طريق الشهادتين شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله.

القول الثاني /أنه الحق. أي أن الله يأمر بالحق .

القول الثالث /أنه استواء السريرة والعلانية في العمل لله تعالى. وهذا كلام نفيس ، فلا نفاق "ذو الوجهين" أو تلقب في الأحوال وفي الأمور بل الإنسان تستوي سريرته وعلانيته ظاهرة وباطنه.

القول الرابع /أنه القضاء بالحق. قيل العدل في كلام العرب هو : الإنصاف وأعظم الإنصاف الاعتراف للمنعم بنعمته.

وأعظم الإنصاف أن تنصف نفسك في التوحيد وفي تحقيق العبادة لله عز وجل كما قال جل وعلا {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا}.

قوله تبارك وتعالى {وَالْإِحْسَانِ} اختلف أيضاً في المراد بـ(الإحسان) على أقوال :

القول الأول /أنه أداء الفرائض. **القول الثاني** /أنه العفو. **القول الثالث** /أنه الإخلاص.

القول الرابع /أنه أن تعبد الله كأنك تراه. وهذا مأخوذ من حديث عمر رضي الله عنه في قصة جبريل لما جاء وسأل النبي صلى الله عليه وسلم تلك الأسئلة عن الإسلام وعن الإيمان والإحسان. ومعنى هذا القول أنه مرتبة الإحسان ومرتبة الإحسان يقول العلماء هي أعلى من مرتبة الإسلام ومن مرتبة الإيمان.

القول الخامس /أن تكون السريرة أحسن من العلانية. أي أن تكون مرتبة الإحسان أعلى من مرتبة العدل.

هذه خمسة أقوال وكلها صحيحة.

قال تعالى {وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى} (إيتاء ذي القربى) المراد به : صلة الأرحام. صلة الأرحام بجميع أنواع الصلة بالدعاء لهم ، بالصدقة لهم ، بإعانة المحتاج ، تفريج الكروب ، الشفاعة الحسنة ، السعي في قضاء حاجاتهم ، صلة الرحم باب واسع والكلام فيها يطول إذ هي من أفضل الأعمال وأجل القرب.

قال تعالى {وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} (الفحشاء) في اللغة : هو ما يُستفحش من الذنوب. الفحشاء ما يعظُم ما يكُبر من الذنوب هذا معناه في العموم . وهنا ذكر المفسرون فيها قولين :

القول الأول /أنها الزنا. **القول الثاني** /أنها المعاصي عموماً.

اختلف في المراد بـ(المنكر) أيضاً أربعة أقوال :

القول الأول /أنه الشرك. وبلا شك أن الشرك أعظم المنكر ، أعظم ذنب عصي الله به هو الشرك والكفر

القول الثاني /ما لا يعُرف في شريعة و لا سنة وهو البدع.

القول الثالث /أنه ما وعد الله عليه النار. والمراد به كبائر الذنوب كأكل الربا و الزنا و السرقة إلى غير ذلك ، وهذا من تعريف الكبيرة أنها : ما توعد عليها بالنار أو بغضب أو بلعنة أو بحد في الدنيا ، وهو تعريف مشهور للعلماء في الكبائر.

القول الرابع /أن تكون علانية الإنسان أحسن من سريرته. أن يكون هناك مخالفة بين الظاهر والباطن والمفترض يكون على حد سواء ظاهره وباطنه فلا يجوز أن يخالف الإنسان ظاهره باطنه. قال **تعالى** { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣)}، قال تعالى {وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ} (البغي) بمعنى : الظلم.

والظلم على كل حال واسع سواء ظلم الإنسان لنفسه أو لأهله أو لغيره الظلم حرام ، والظلم ظلمات يوم القيامة (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا)

{يَعِظُكُمْ} (يعظكم) أي : يؤدبكم. **قال ابن عباس :** "يعظكم بمعنى يؤدبكم" .

{لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} (تذكرون) أي : تتعظون .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : "هذه الآية أجمع آية في القرآن لخير أو شر". ولا شك فإن هذه الآية أجمع آية في الأوامر والنواهي ، **قال الحسن :** "والله ما ترك العدل والإحسان شيئًا من طاعة الله إلا جمعها ، ولا تركت الفاحشة والمنكر والبغي شيئًا من معصية الله إلا جمعوه". يعني أن جماع الخير في العدل والإحسان، وجماع الشر نسأل الله العافية في الفحشاء

والمنكر والبغي هذه هي جماع الشر.

{وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ}

اختلف فيمن نزلت هذه الآية على قولين :-

القول الأول/ أنها نزلت في حلف أهل الجاهلية. ونعم حلف الجاهلية إذا كان حلف صحيح فإنه يستمر عليه.

القول الثاني/ أنها نزلت في الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

على كل حال هو يشمل الآية {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ} سواء نزلت في حلف أهل الجاهلية ، أو نزلت في الذين بايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم .

قال المفسرون : (العهد) هو الذي يجب الوفاء به وهو الذي يحسن فعله فإذا عاهد العبد عليه وجب الوفاء به.

إذن العهد هو ما تعاهد عليه الشخص مع ربه أو في البيعة مع ولي الأمر مثلاً بايعه أو تعاهد مع فلان على شيء يجب عليه الوفاء بهذا العهد.

قوله تعالى {وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا} معنى (توكيدها) أي : تغليظها وتشديدها بالعزم والعقد عليها. من صفات المنافق (وإذا عاهد غدر) فعلى الإنسان أن يتقي الله فيلتزم بالعقود يلتزم بالمواثيق وأيضاً إذا كان يمين يلتزمها {وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا} أي بعد تغليظها وتشديدها بالعزم والعقد ، أما لغو اليمين فإن هذا لا ينبني عليه حكم كما قال عز وجل {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ}. لغو اليمين اختلف فيه العلماء والراجح أنه/هو الذي يكون على اللسان بدون قصد ولذلك الله عز وجل هنا قال {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ}. **كما تقول عائشة رضي الله عنها :** "هو قول الرجل لا والله وبلا والله"... كقول بعض الناس "والله تدخل" ، "والله تطلع" وهذا ليس بصحيح أن الإنسان يجعل الله عرضة على لسانه ! لكن هذا مما يدخل في لغو اليمين.

- **قال العلماء :** "ويدخل فيه من حلف على شيء يظنه موجوداً فبان مفقوداً ، أو مفقوداً فبان موجوداً ، أو حلف على شيء يظنه حاضر فكان غائب" .

على كل حال يظن هكذا وحلف هذا يعتبر لغو اليمين ، و المسألة فيها تفاصيل وأقوال كثيرة ، لكن من حلف على يمين وأكدها فيجب عليه الوفاء و الالتزام بها.

- **وهنا الله جل وعلا قال {بَعْدَ تَوْكِيدِهَا} ولم يقل (بعد تأكيدها) !!**

اللغويين يقولون: "أن العرب تقول وكدت ، وأكدت وكلاهما لغتان جيدتان" هذه نقلها الزجاج وغيره من أئمة اللغة، قالوا: أن أهل الحجاز يقولون وكدت الشيء توكيد، وأهل نجد يقولون أكدت الشيء تأكيد ، وعلى كل حال لا حرج سواء بالهمز أو الواو لغتان جيدتان عن العرب كما قال الزجاج رحمه الله.

{وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا} أي : بالوفاء. قال المفسرون: "وذلك أن من حلف بالله فكأنه أكفل الله بالوفاء بما حلف عليه". أي أن الشخص إذا حلف بالله معناه أنه التزم وأن المسألة فيها التزام وليس فيها تلاعب ولذلك نسأل الله العافية الإنسان إذا حلف وهو كاذب هذه هي (اليمين الغموس) التي تغمس صاحبها في نار جهنم.

- **اليمين الغموس/** هي التي تغمس صاحبها في نار جهنم وهو الذي يحلف بالله كاذب.

فعندما تحلف لي بالله معناه أنك علقت الأمر وتوثقت وأكدت تأكيداً. فكيف لك أن تتلاعب وتنقلب وتتحايل في

يمينك فهذا لا يجوز على الإنسان أن يتقي الله عز وجل .

{وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا} اختلف في المراد بكلمة (كفيلا) هنا على ثلاث أقوال :

القول الأول /أي شهيدًا. القول الثاني /أي : وكيلا. القول الثالث /أي : حفيظاً مراعياً لعقدكم. هذا الذي عقدتم عليه سواء عهود أو مواثيق أو أيمان على الإنسان أن يتقي الله عز و جل وأن يلتزم.

ثم ختمت الآية بقوله {إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} يعني لو الإنسان ضعفت نفسه وأراد أن يتحايل ويتلاعب تذكر أن الله مطلع عليك، وأن الله لا يخفى عليه شيء من عملك {إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ}. فكيف تغيب عن نظر الله ! كيف تغيب عن علم الله ! أنك إذا تحايلت وتلاعبت ونقضت عهودك ومواثيقك أو كذبت في يمينك أو أخلفت وحنثت في يمينك ! أما الحنث باليمين للخير فهذا لا بأس به. إنسان حلف "لا أدخل بيت أخي" وندم فنقول كفِّر عن يمينك وآت الذي هو خير لك لكن المقصود التلاعب والحنث في اليمين وعدم الوفاء بالعهود.

الحلقة (٣٥)

موضوع هذه الحلقة: تفسير الآيات ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ من سورة النحل

{وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٩٢)}

هنا في بداية هذه الآية {وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ}

القول الأول /ذكر بعض المفسرين **كالإمام مجاهد رحمه الله:** "أن هذا فعل نساء أهل نجد تنقض إحداهن حبلها ثم تنفشه ثم تخلطه بالصوفِ فتغزله" وهذا القول ليس هو القول المشهور.

القول الثاني /وهو القول المشهور أن امرأة كانت في قريش يقال لها **(ريطة بنت عمْرو بن كعب)** كانت إذا غزلت نقضت.

(الشرح) وهذا يدل على نقص في العقل ! كيف أن الواحدة تتعب تغزل وتبذل جهد ومعروف أن الغزل يحتاج إلى جهد وإلى عناية ودقة ثم بعد ذلك التعب تنفشه وتنقضه !

- هذه قيل أنها (ريطة بنت عمْر) وقيل لها (رائطة) والله أعلم. هي كانت معروفة عند المشركين بالحمق أنها تغزل الغزل من القطن أو الصوف فتحكمه ثم تأمر جاريتها بتقطيعه ونقض ما غزلته فضرب الله هذا مثلاً لناقض العهد.

(الشرح) أن هذه المرأة كانت تبذل جهداً وتحكم وتتقن وتدقق وبعد أن يتكامل الغزل تأمر بنثره بفكه بنقضه ! هذا يدل على حمق وهي امرأة معروفة بالحمق عند العرب وبخاصة عند قريش ، كيف الإنسان يتعب ويبذل ثم ينقض هكذا ! هذا مثله مثل من ينقض العهد والميثاق ، إنسان معه عهد وميثاق ثم ينقضه سواء عاهد نفسه على طاعة الله أو على ترك ما حرم الله أو .....الخ ، ثم ينقض عهده هذا لا يصح ولا يحق.

- إذن {وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا} اختلف في المراد بـ(الغزل) هنا على قولين:

القول الأول /أنه الغزل المعروف سواء كان من قطن أو صوف أو شعر. **وهو قول أكثر المفسرين.**

- استطراد/ /الآن ولله الحمد جاءت المصانع وجاءت الآلات الجديدة لكن نحن نتكلم عن القديم كانت تعرفون بالمخايط مثل ما كان عند الآباء والأجداد إلى زمن كان موجوداً ولله الحمد جاءت المصانع لكن على كل حال هو كان الغزل المعروف تتعارف عليه النساء وتتقنه وكان من القطن أو من الصوف أو من الشعر كل هذا على حسب البيئة وحسب ما يتوفر وحسب ما يراد صنعه بعد هذا الغزل

القول الثاني /أنه الحبل. {وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا } أي: حبلها. لكن كما قلت أن القول المشهور والذي رجحه أكثر المفسرين أنه الغزل المعروف سواء من قطن أو صوف أو شعر.

قوله تعالى {مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ} أي : من بعد إبرام وإتقان وإحسان ، أي : أبرمته وأحسنته .

{أَنْكَاثًا} أي: أنقاضًا. **قال ابن قتيبة:** "الأنكاث ما نُقض من غزل الشعر و واحدها نِكْثٌ"

الأنكاث جمع نكث بكسر النون وسكون الكاف والثاء.

- **والمعنى المقصود بالآية /**لا تؤكدوا على أنفسكم الأيمان والعهود ثم تنقضوا ذلك وتحنثوا فيه فتكونوا كامرأة غزلت ونسجت ثم نقضت ذلك النسج فجعلته أنكاثًا.

إنسان يعطي عهود ويعطي مواثيق ويؤكدها ويتقنها ثم ينقضها هكذا مباشرةً هذا كلام لا يصح ولا يجوز لا ديناً ولا عقلاً ولا عرفاً كما هو حال هذه المرأة الحمقاء التي كانت تغزل وتتقن من بعد قوة أي : من بعد إبرام وإتقان وإحسان ثم بعد ذلك تنقضه أنكاثاً.

{تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ} (دَخَلًا) أي: دَغَلاً ومكراً وخديعة. وكل شيء دخله عيب فهو مدخول فيه وفيه دخل. **(الشرح)** يعني الإنسان ما يتخذ اليمين والعهد خديعة ولعب على الناس أو يحلف كاذباً هذا لا يجوز في دين الله عز وجل فاليمين والمواثيق والعهود لها حرمتها ولها قداستها.

{أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ} (أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ) هنا في حذف والتقدير: لِأَن تكون أمة. ومعنى (أَرْبَى) أي : أغنى.

إذن {أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ} أي : لِأَن تكون أمةٌ أغنى من أمةٍ

قال الزجاج: "المعنى بأن تكون أمة هي أكثر يقال ربى الشيء يربو إذا كثر".

قال مجاهد: "كانوا يُحالفون الحلفاء فيجدون أكثر منهم وأعز فينقضون حلف هؤلاء ويحالفون وأولئك فنهو عنه"

قال الفراء: "أي لا تغدروا بقومٍ لقلتهم وكثرتكم أو لقلتكم وكثرتهم وقد غررتموهم بالأيمان".

(الشرح) أي : لا يجوز أن تنقضوا العهود على معنيين : إما أنهم كانوا يتعاقدون مع قبيلة فيجدون قبيلة أكبر وأقوى فيتركون تلك القبيلة وينقضون عهدها ويذهبون إلى القبيلة الثانية هذا تلاعب !! ،، أو أنكم تفاخرون بأنفسكم إذا رأيتم من هم أقل منكم ، وإذا وجدتم من هم أكبر وأقوى منكم أعطيتموهم العهود والأيمان الكاذبة ، هذا لا يجوز.

{أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ} أي : من أجل أن تكون أمة هي أغنى و أقوى من أمة أخرى. وهذا كان من ربى الشيء يربو إذا زاد وكثر.

والمقصود : أنهم كانوا على هذه الطريقة السيئة ، أنهم قد يتعاقدون ويتحالفون وهو الحلف العقد الذي كان معروفاً معهم مع قبيلة ، فإذا وجدوا قبيلة أقوى نقضوا العهد مع هذه القبيلة وذهبوا إلى القبيلة الأقوى ! هذا لا يجوز ، أو أنهم مثلاً يتعاظمون على من هم أقل شأنً منهم ، وإذا كانوا هم القلة وهم الضعفاء ذهبوا وتعاقدوا وتحالفوا مع القبيلة القوية وأعطوهم العهود وهم يضمرون خلاف ذلك غرروهم بالأيمان ! هذا تحايل وتلاعب والإسلام ولله الحمد يؤكد على العهود والمواثيق وأنه لا يجوز نقضها ونحن قد درسنا ولله الحمد في سورة التوبة وفي سورة الأنفال أنه حتى إذا الأعداء نقضوا عهدهم يجب على ولي الأمر أن يتثبت وينظر {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ}. وقلنا بأن (الخوف) بمعنى : العلم. إذا تحققوا يَنبذ إليهم أي : يعلمهم ويخبرهم أن ما عاد فيه عهد ، لكن الخيانة والخديعة والكذب هذه ليست في دين الإسلام هذا على المستوى العام ولي الأمر ، وأيضًا حتى على المستوى الخاص أي إنسان تعاقد

مع شخص في عمل أو حَلَف له أنه سيلتزم في كذا ثم يخالف فهذا لا يجوز ، فقضية العهود والمواثيق أمرها عظيم ومؤكد في دين الإسلام.

قوله تعالى {إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ} اختلف في المراد بهذا على ثلاثة أقوال :

القول الأول /أنها ترجع إلى الكثرة. أي إنما يختبركم الله بالكثرة فإن كان بين قومين عهد فكثّر إحداهما فلا ينبغي أن يفسخ الذي بينه وبين الأقل. **(الشرح)** هذا المعنى **الأول** {إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ} أي : بالكثرة. سواء أن كنتم كثرة ، أي كنتم بينكم وبين أناس عهد فكثرتم فلا تنقضوا العهد مع هؤلاء القلة وإن وجدتم من هم أكثر فلا يجوز أن تنقضوا العهد مع القلة وتذهبوا مع الكثرة.

القول الثاني /أنها ترجع إلى العهد ، فإنه لدلالة الأيمان عليه يجري مجرى المُظهَر. **(الشرح)** أي لوجود الأيمان مع العهود هذه تزيدها تأكيداً ، أنها ترجع إلى العهد ولما وجد اليمين معها هذا زادها تأكيدًا .

القول الثالث /أنها ترجع إلى الأمر بالوفاء. **(الشرح)** ولا شك أن هذا ابتلاء من الله عز وجل، إنسان يعاهد إما تبدأ نفسه تضعف ويكاد ينقض ولكن نقول هذا ابتلاء واختبار وعليك الصبر والاحتساب وهذا من طاعة الله عز وجل وهو أن تفي بعهدك وأن تقوم على وعدك فلا تخالف ولا تنقض.

{وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} {وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ} بعض الأخوة يقرؤونها بالكسر (وليبينن) وهذا غلط والصحيح {وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ} بفتح اللام.

{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٣)}

- هذه الآية {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً} تشبه قوله تعالى {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً} التقدير: لو شاء الله أن يجعلهم كلهم مسلمين لفعل ولكن لحكمة يراها سبحانه وتعالى.

هذه الآية يقول المفسرون : إن فيها تكذيب للقدرية. ومذهب القدرية يرون أنهم هم الذين يخلقون أفعالهم وليس عليهم قدر و أن الأمر أُنف فهم ينكرون القدر ، وليس لله عليهم علاقة وليس لله عليهم سلطة ولا مشيئة ولا تدبير ولا شك أن هذا مذهب ضال ! الله جل وعلا يقول {وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ } يضل من يشاء عدلاً ويهدي من يشاء فضلاً ورحمة ، ففي هذا رد على القدرية ، وفي هذا الأمر ضلت طائفتان وهُدي أهل السنة والجماعة لما هو الحق

القدرية أنكروا مشيئة الله وقالوا : إن الأمر أُنف ولا قدر ، والطائفة الأخرى الجبرية يقولون : نحن مجبورون مالنا مشيئة ، ونحن مثل سعف النخل في مهب الريح مالنا قدرة وهذا غير صحيح ! وأهل السنة والجماعة يقولون : نحن نثبت مشية الله وقدره ، مشيئته العامة فما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن ، والله جل وعلا أعطى العبد مشيئةً خاصةً تناسبه بها يختار الضار من النافع ، الهدى من الضلال ، ويبحث عن أسبابها كما يبحث عن أسباب الدنيا وما ينفعه ، وينسب إليه عمله وعليه يحاسب ويعاقب إن كان شراً أو خيراً ، وعلى كل هذه الآية فيها رد على القدرية الذين ينكرون مشيئة الله وينكرون القدر والله جل وعلا قال {وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} أضاف الإضلال والهدية إليه سبحانه وتعالى وعلقهما بمشيئته.

{وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } هذه فيها وجوب المحاسبة ونظر العبد في حاله وأنه وإن غاب عن أعين الناس فتلاعب بالعهود والمواثيق أو خالف أمر الله عز وجل أو تحايل فإن الإنسان يتذكر موقفه أمام الله تبارك وتعالى ، فهذه الآية فيها

تذكير بالمحاسبة والنظر في أحوال العبد ومن آيات المحاسبة قول الله عز وجل {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}.

{وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٩٤)}

قوله تعالى {وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ} (دَخَل) بيَّنت فيما سبق أنه بمعنى : الغدر والخديعة والدَّغَل والمكر. (الأيمان) جمع يمين وهو : الحلف والقسم.

- الله عز وجل نهى عن هذا وهذا استئناف للنهي عن أيمان الخديعة والمكر فلنتقي الله عز وجل ولنعظم اليمين.

قوله تعالى {فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا} **قال المفسرون :** هذا نهي للذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام ونصرة الدين عن نقض العهد يدل عليه قوله {وَتَذُوقُوا السُّوءَ} أي: العقوبة.

{بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} يعني أنهم إذا نقضوا عهدهم مع الرسول الله صلى الله عليه وسلم صدوا الناس عن الإسلام فاستحقوا العذاب. **(الشرح)** يعني أنه إذا رأى الناس التلاعب والتحايل بين المسلمين في العهود والمواثيق سيُصَد كثير من الناس عن هذا الدين.

وهنا في قول الله عز وجل {فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا} **يقول أبو عبيدة :** "هذا مثلٌ يقال لكل مبتلى بعد عافية أو ساقطٍ في ورطة بعد سلامة زلت قدمه" ، وهذا مثل يقال : فلان زلت قدمه ، **قال مقاتل :** "ناقض العهد يزل في دينه كما تزل قدم الرجل بعد الاستقامة" وهذا فيه نهي عن نقض العهود والمواثيق لأن به تُصد ناس عن سبيل الله ، فإذا رأى الكفار ومن عنده رغبة في الدين المسلمين لا يلتزمون بالعهود ولا بالمواثيق يُصد ناس بسببهم .

قوله تعالى {وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} أي : في الآخرة.

أي أن هناك عقوبة في الدنيا وهناك عقوبة في الآخرة العقوبة في الدنيا قد يعاقبون يعجل لهم شيء من ذلك وفي الآخرة عذاب عظيم في نار جهنم نسأل الله العافية.

إذن أيها الإخوة والأخوات كلنا على ثغر كلنا مسؤول في هذا الدين فالله الله لنكن قدوة حسنة ، دعاة إلى الخير بأفعالنا وأقوالنا وأحوالنا وأخلاقنا والحقيقة المسلم الآن أدنى زلة أدنى حركة تحسب عليه ، ليس كمثل الكافر فليس بعد الكفر ذنب ، وأيضاً الحقيقة على وجه الخصوص طلاب العلم وطالبات العلم من يتردد على العلم الشرعي في رحاب هذه الكلية كلية الشريعة في رحاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وفي غيرها أيضاً نحن لا نقول هم فقط بل غيرهم أيضاً فهو يتحمل مسؤولية كبيرة ، فالزلة والخطأ منه ليس كالزلل من غيره فعلينا أيها الأخوة مسؤولية كبيرة ألا يؤتى الإسلام من قِبلِنا ونعظم شعائر الله عز وجل {ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ}. ومن شعائر الله عز وجل الوفاء بالعهود والمواثيق والتحذير من نقضها ، وإذا حلف الإنسان فليعظم هذه اليمين ويجوز أن ينكث في يمينه إذا رأى شيئًا خيرًا منها كما قال عليه الصلاة والسلام (لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرًا منها إلا كفرت عن يميني وأتيت الذي هو خير) . أما أن الإنسان يعيش في نقض للعهود والمواثيق فهذا أمر خطير ، وعليه أن لا يتسرع بعض الناس – هداهم الله- يكثر من الأيمان وقد يكون لا يعزم ولا يقصد لكن نقول : أكّد بأسلوب آخر بدل الحلف والأيمان والتكرار.

الحلقة (٣٦)

موضوع الحلقة: تفسير الآيات ٩٥ ، ٩٨ ، ٩٩ من سورة النحل

{وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩٥)}

- استطراد/ /اختُلِف في سبب نزول هذه الآية وسبق أن ذكرت فيما مضى أن كتب التفسير تُعنى بذكر أسباب النزول على وجه العموم ، وهناك كتب أفردت بالتصنيف لهذا الفن ألا وهو أسباب النزول وهو علم شريف من علوم القرآن قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "المعرفة بالسبب معين على فهم المسبب" وفوائد معرفة سبب النزول كثيرة ، والكتب في أسباب النزول كثيرة والمشهور منها كتابان : (١)أسباب النزول للإمام الواحدي وهو كتاب مطبوع يقع في مجلد واحد متداول بتحقيق السيد أحمد صقر. (٢)لُباب النقول في أسباب النزول للإمام الحافظ السيوطي هذا أيضاً كتاب متداول موزع في الأسواق وإن كنت لا أعرف له تحقيقاً الآن لكن أصولة معروفة ولله الحمد ، هناك أيضاً كتاب ولكنه لم يكتمل لأن نسخه الخطية لم توجد مكتملة وهو كتاب العجاب في بيان الأسباب للحافظ ابن حجر].

سبب نزول الآية /ذكر المفسرون أنها نزلت في رجلين اختِصما إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في أرض يقال لأحدهما عيدان بن أشوع -وهو صاحب الأرض- والآخر امرؤ القيس -وليس هو الشاعر المعروف ذاك قد هلك ومات قبل البعثة النبي صلى الله عليه وسلم- وهو المدعى عليه فهمّ امرؤ القيس أن يحلف فأخره رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية.

(الشرح) نعم رأى النبي صلى الله عليه وسلم أن هذا الرجل قد يستعجل في الحلف وبلا شك أن الحلف على شيء كذب هذه هي اليمين الغموس التي تغمس صاحبها في نار جهنم المفسرون ذكروا أن هذا الرجل رُوِيَ أن اسمه ربيعه ابن عبدان وقيل عيدان على كل الخلاف في هذه الأسماء لا يهم المهم أن النبي صلى الله عليه وسلم عظّم شأن اليمين ولما رأى هذا الرجل همّ أن يحلف قد يكون صادقا أو قد يكون بخلاف ذلك لكن في هذه المسألة على الإنسان أن يتنبه في قضية اليمين فلا يستعجل ولا يأتي باليمين حتى ولو كان صادقًا إلا إذا طلبت منه لكن أن الإنسان أن يجعل الله عرضةً على لسانه! {وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ} لا يجوز للمسلم عمومًا ولطلاب العلم على وجه الخصوص لأنهم هم الأسوة و القدوة في المجتمع وهم أيضاً يتحملون العلم الشرعي فلا يجوز الحقيقة ولا ينبغي أن الإنسان يكثر دائمًا من الحلف ، بعض الناس دائمًا يقول "والله تذهب" ، "والله تدخل" ، "والله كذا" هو صحيح قد يكون لغو يمين لأنه لم عقده في قلبه ولكن على كل حال لا ينبغي التساهل والتهاون في مثل هذا الأمر.

{وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩٥)}

قال المفسرون : معنى {وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ} أي : لا تنقضوا عهودكم. ينقض الإنسان عهد أبرمه مع شخص ، أو جماعة مع جماعة ، أو قوم مع قوم لا يجوز نقض العهود بل لابد من الوفاء بها والنبي صلى الله عليه وسلم ذكر أن من خصال المنافقين (وإذا عاهد غدر)

قوله تعالى {ثَمَنًا قَلِيلًا} أي : أنكم تطلبون بنقضها عرضًا يسيراً من الدنيا. لا شك أن هذا الذي نقض عهدة فسواءً نقضه مباشره أو حلف يمينًا هو فيها كاذب أو دلس على الناس أو خانهم و نحو ذلك من المعاني هذا تطلب عرض من الدنيا إما مال أغري به أو قطعة أرض يريد أن يتملكها أو حُبُّ النصرة والنشوة على الناس ولو على باطل فهذا كله باطل ولا يجوز ، والله نهى عن هذا كله قال {وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا} ثم الله جل وعلا قال أن هذا الثمن هنا (نكرة)

يشمل جميع الأثمان كما قلت سواءً مال أو أرض أو أي شيء من عرض الدنيا كل هذا لا يجوز ، ثم الله وصفه بأنه (قليل) فهو قليل ولو كان كثيراً ، ولو عظمت الدنيا في نفسك ومن أجلها نقضت هذا العهد فإن ما تتملكه قليل وليس بشيء و بالمقابل أنت وقعت في جرم خطير حين نقضت هذا العهد ويعظم الأمر ويشتد إذا كان معه يمين أنت فيها كاذب ، فتحلف على كذب ونقضت العهد هذا لا يجوز ولا شك هذه ظلمات بعضها فوق بعض.

قوله تعالى {إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ} (إنما) أداة حصر ، والبلاغيون عندما يتكلمون عن طرق القصر يذكرون فيها (إنما) فـ (إنما) هذه تسمى أداة قصر {إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ} يعني : ما عند الله والمحصور (عند الله) الموجود عند الله هو خير لكم {إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ} ما الذي عند الله ؟ هو الثواب وهو الجنة العظيمة التي فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ماذا تساوي الدنيا هذه بالنسبة للجنة والله لا شيء ! النبي صلى الله عليه وسلم يقول (لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافر شربة ماء) لكن الدنيا عند الله لا تساوي جناح بعوضة ! فلماذا يتجرأ أحدنا فينقض العهد ويحلف كاذبًا ويقع في مصائب وفجور كل واحدة أعظم من الأخرى ، إذن هذا أمر خطير وينبغي الإنسان أن تكون نظرته بعيده إلى ما عند الله والدار الآخرة {إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ} أي : ما عند الله من الثواب والأجر والجنة هو خير لكم من هذا الجزاء العاجل. نعم صحيح يعني الآن قد تتعجل شيئًا ، قد تحصل مالاً تحصل أرضًا ، تحصل سيارة تحصل أي شيء لكنه متاع عاجل سيزول وأنت إما تزول عنه أو يزول عنك وعلاوة على ذلك أنه حرام و إثمه عليك.

{إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} أي : لو كنتم تعلمون لما فعلتم كذا وجواب الشرط محذوف. (إن) أداة الشرط (كنتم) فعل الشرط ، وجواب الشرط محذوف. يعني إن كنتم تعلمون ما تفعلون كذا وكذا ولما وقعتم في الحرام ولما اشتريتم بعهد الله ثمنا قليلاً ونحو ذلك ، هذا هو ما دلت عليه هذه الآية.

{فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) }

هذه الآية فيها تعليم وفيها إرشاد لأدب من آداب التلاوة ألا وهو الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ، والذين يكتبون آداب القرآن كالإمام النووي في كتابه (التبيان في آداب حملة القرآن) و قبله الإمام محمد بن الحسين الآجوري له كتاب (أخلاق حملة القرآن) وغيرهم ممن كتب في هذا من أوائل ما يذكرون من آداب أهل القرآن وحملة القرآن أن يستعيذوا بالله من الشيطان الرجيم استدلالاً بهذه الآية وبهدي النبي صلى الله عليه وسلم كما سيأتي بيانه.

هذه الآية {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ} أشكلت على بعض المفسرين ومن كتبوا في حروف المعاني فقالوا : كيف قُدِّمت القراءة على الاستعاذة ؟ فالله يقول {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ} هل معنى هذا أنا إذا قرأت كذا آية أستعيذ بالله ؟! هذا غير صحيح ، الصحيح أن الاستعاذة تبدأ أولاً ثم تبسمل ثم تقرأ ، مثلاً : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (١)} ...الخ

لكن ليس منطق أنك تقرأ ثم بعد ذلك تستعيذ ، فلا يأخذ بظاهر الآية ! هذا فهم غير صحيح ! كيف نفسر الآية التفسير الصحيح ؟ الله جل وعلا هنا يقول {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ} معناه بدأت القراءة {فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ} ذكروا في هذا ثلاثة أقوال :-

القول الأول /أن المقصود إذا أردت القراءة فاستعذ بالله. **وهذا أظهر هذه الوجوه وهو أصحها وهو المشهور عند المفسرين والمعربين ومن كتبوا في حروف المعاني .**

أنك إذا أردت القراءة فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم مثل قول الله عز وجل {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً}. وكان هذا أول الأمر قبل أن ينسخ ، المقصود إذا أردتم مناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم فقدموا ، إذا ناجاه انتهى الموضوع ، ومثل قول الله عز وجل {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ} هل معناه الإنسان إذا قام إلى المصلى يغسل وجهه ؟ لا ! بل إذا أردتم القيام إلى الصلاة {فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ} إذن المقصود هنا فيه محذوف تقديره (إذا أردتم) يعني فإذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم.

القول الثاني /قالوا في الكلام تقديم وتأخير ، والتقدير : فإذا استعذت بالله فاقرأ. ولكن هذا التوجيه في الحقيقة فيه شيء من البعد.

القول الثالث /وهو أبعدها وهو ما ذكرت آنفاً أنه على ظاهره وأن الاستعاذة بعد القراءة. وهذا قول غير صحيح أنك تقرأ ثم تستعيذ هذا كلام غير صحيح.

إذن هذه ثلاثة توجيهات في قول الله عز وجل {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ}وسبب التوجيهات أنه على ظاهر الآية أن القراءة هي الأولى ثم الاستعاذة ، وهذا مخالف لما هو معروف واستفاضت به السنة وعمل الصحابة ومن بعدهم أن الاستعاذة قبل القراءة.

حكم الاستعاذة /العلماء يذكرون أن الاستعاذة سنه مؤكدة لا ينبغي التساهل بها ، هي صحيح ليست من آية من القرآن الكريم إنما الخلاف في البسملة نعم ، لكن الاستعاذة هي ليست آية من القرآن ولذلك لم تكتب بين دفتي المصحف لكن هي سنه مؤكدة ينبغي للمسلم والمسلمة أن لا يترك الاستعاذة .

صفة الاستعاذة /جاء فيها روايات كثيرة عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأيضاً في الآثار فيه آثار كثيرة عن السلف وهم يقولون أن أكمل هذه الصيغ (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم) هذا هو أكملها وأيضاً جاء (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من نفخة و نفثه ..إلخ) وأوسطها وهو المشهور (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) فقط هذا هو الأكثر وهذا هو المتعارف عليه.

- ينبغي هنا التنبيه أن نقول أن الاستعاذة عبادة لله عز وجل وهي تعني : اللجوء والخضوع لله سبحانه وتعالى ، فالشيطان له مكائد وله حبائل وإذا أراد الإنسان أن يقرأ القرآن جاءه الشيطان ليثبطه عن القراءة ويكسله عنها ، وإذا قرأ قد يأتي الشيطان ويشغله عن التفكر والتأمل في معاني القرآن الكريم فنحن مأمورون أن نستعيذ بالله ونلتجئ إلى الله ، والاستعاذة عبادة نحن نستعيذ بالله ونلتجئ بالله ونعتصم بالله من شر هذا الشيطان ومن كيده ووساوسه.

{مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} كلمة (الشيطان) اختلف في اشتقاق هذه الكلمة على قولين :-

١ـ قيل أنه مشتق من مادة (شطن) بمعنى بعُد فهو مبعد مطرود من رحمة الله تعالى **واختار هذا القول الإمام الطبري وهذا هو الصحيح والمشهور**

٢ـ هو مشتق من مادة (شاط) بمعنى احترق وهذا توجيه وإن لم يكن مثل الأول لكنه هو صحيح وهو المشهور لأنه إذا نظرنا إلى أصل خلقته فإنه مخلوق من نار {قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} وإذا نظرنا إلى أي شيء يدعو؟ يدعو إلى النار {قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} إلى آخر الآيات فيها أنه يدعوهم إلى النار {إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ } وإذا نظرنا إلى مآله فإن مآله إلى النار وهي الاحتراق قال تعالى {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ}.

➢ سواءً قلنا أنه مشتق من مادة (شطن) بمعنى بَعُد فهذا هو الصحيح والمشهور ، أو قلنا بمعنى (شاط) من مادة شاط بمعنى احترق فهي أيضاً صحيحة لأن أصله من نار ويدعو إلى النار ومآله إلى النار.

معنى (الرجيم) فعيل بمعنى مفعول ، أي أنه مرجوم مبعد مطرود من رحمة الله تبارك وتعالى .

{إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩)}

الله جل وعلا بيّن هنا أن الشيطان وإن كان يجلب بخيله ورجله وإن كان ولكنه ولله الحمد ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون .

قوله تعالى {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ} اختُلف في المراد هنا بـ(السلطان) هنا على قولين :

القول الأول: أنه بمعنى (التسلط) وفي توجيهه ثلاثة أقوال :

١. أي ليس له عليهم سلطان بأي حال لأن الله جل وعلا صرف سلطانه عنهم بقوله {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ}. أن الله جل وعلا صرف عنه تسلطه عليهم وهذا قول فيه كلام

٢. أي ليس عليهم سلطان لاستعاذتهم منه. وهذا هو القول الواضح في معنى التسلط ، يعني أنه نعم هو هناك تسلط ولكن الله جل وعلا صرف عنهم هذا التسلط لاستعاذتهم بالله من الشيطان الرجيم .

٣. أي ليس له قدرة على أن يحملهم على ذنب لا يغفر. ليس له قدرة على ذلك.

القول الثاني : إنه بمعنى (الحجة) والمعنى أي : ليس له حجة على ما يدعوهم إليه من المعاصي.

لا شك ليس له حجة ! بل والله ما معه إلا التزيين والتضعيف عن طاعة الله عز وجل والتكاسل ، والشيطان يحرص على ابن آدم كما قال بعض أهل العلم من جهتين : إما أن يأتيهم من باب الطاعة فيكسله ويضعفه وقد يجعله يوسوس فيها أو يجعله يرائي في عمله الصالح هذا من جهة ، أو كما قال بعضهم : فإن عجز جاءه من باب المعصية فزين له الشهوة ومناه العفو والمغفرة وذكر أن العقوبة بعيدة وغير ذلك من هذا الكلام إذن مرةً أخرى أقول هذا معنى أنه ليس له سلطان بمعنى ليس له حجة والله ما معه حجه في دعوته بني آدم ممن اغتر بالسير في ركابه ليس له عليهم حجة إلا أنهم تهاونوا وتساهلوا .

{عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} الله ذكر أن الذين لا يتسلط عليهم الشيطان حققوا أمرين :

أولاً /الإيمان بالله عز وجل تحقيق التوحيد لله تبارك وتعالى .

ثانياً /{وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} وسبب تقديم الجار والمجرور هنا لإفادة الاختصاص ، هم يتوكلون على ربهم لا يتوكلون على غيره

و (التوكل) : التفويض و الاعتماد وصدق التوكل التعلق بالله تبارك وتعالى ، فالله جل وعلا ذكر وإن كان للشيطان تسلط وتلاعب وتحايل لكن الله جل وعلا إذا علم صدق العبد وإخلاصه وحرصه على الخير فإنه يحفظ عباده المؤمنين المتوكلين عليه ومن أسباب الحفظ من الشيطان الرجيم أن يستعيذ العبد بالله تبارك وتعالى من شره.

الحلقة (٣٧)

موضوع هذه الحلقة: تفسير الآيات (١٠٠ – ١٠١ – ١٠٢) من سورة النحل

{إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ (١٠٠)}

مناسبة الآية لما قبلها /هذه الآية مرتبطة بما سبق الحديث عنه في الحلقة السابقة وهو قوله تعالى {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ

فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩)} ذكرنا أن من آداب التلاوة : الاستعاذة بالله عز وجل من الشيطان الرجيم و قلت أنها سنة مؤكدة ، وأنه لا ينبغي التساهل بها ، وفيها معاني عظيمة ففيها اعتصام والتجاء واعتماد على الله تبارك وتعالى أن يحفظ عبده من هذا الشيطان من نزغاته و وسوسته وكيده والله جل وعلا رحيم بعباده ، بيّن سبحانه أنه ليس له سلطان على الذين آمنوا ، و قلنا أن السلطان هنا فيه قولان : قيل: أنه بمعنى التسلط ، وقيل : أنه بمعنى الحجة. أن الله جل و علا قال {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ} على من؟ {عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩)} من قاموا بهذين المقامين العظيمين و هو الإيمان والتوكل على الله عز وجل حُفظ من الشيطان الرجيم ، بيّن هنا جل وعلا من الذين يتسلط عليهم الشيطان قال تعالى {إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ} ذكر الله هنا صفتان أخريان في بيان من الذين يؤثر فيهم الشيطان ، من الذين يستجيبون له.

{إِنَّمَا سُلْطَانُهُ} يعني : تسلطه {عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ} معنى (يتولونه) أي : يطيعونه و ينقادون له. {وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ} (هم) الضمير هذا معروف أنه يرجع على الذين يتأثرون به ، لكن اختلف المفسرون في مرجع الضمير في (به) على قولين :

القول الأول / أن يرجع إلى الله تبارك و تعالى والتقدير : والذين هم بالله مشركون. **وهذا هو الأقرب.**

(الشرح) بلا شك أن الإنسان إذا وقع في الشرك تخبط و انساق مع الشيطان وكما قال العلماء : "ليس بعد الكفر ذنب". الإنسان إذا أشرك مع الله ولم يعترف بدين أو بعقيدة أو بتوحيد ، لا تحدث في أي واد هلك ! فقد تلاعب به الشيطان لذلك لا نستغرب ما نرى من أحوال الكفار "ليس بعد الكفر ذنب" لكن نتضايق أو نتألم إذا كان من مسلم يوحد الله ثم يكون مدعاة لتلاعب الشيطان به.

القول الثاني / أنه يرجع إلى الشيطان والتقدير : والذين هم من أجل الشيطان مشركون بالله.، يعني من أجله أشركوا مع الله عز وجل، وهذا التوجيه قد يكون فيه ثقل أو شيء من الغرابة ، لكن على كل هو توجيه ذكره المفسرون وإن كان الأقرب هو التوجيه الأول ، كما يقولون : "صار فلان بك عالمًا" أي : من أجلك عالما ، "فلان بك حفي بك مسرور" أي : من أجلك حفي ومن أجلك مسرور. هذا أسلوب متداول.

إذن هاتان الصفتان لمن يقعون في تسلط الشيطان والتأثير فيه هم :

*الذين يتولونه أي : يطيعونه وينقادون له. * الذين هم به مشركون سواء قلنا بالله مشركون أو من أجله "يعني من أجل الشيطان" إذا قلنا بالقول الثاني أن الضمير يرجع إلى الشيطان أشركوا مع الله عز وجل، على كل حال المحصلة : الذين وقعوا في الشرك.

{وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١)}

سبب نزول هذه الآية /أن الله عز وجل كان ينزل الآية فيعمل بها مدة ثم ينسخها قال كفار قريش: "والله ما محمد إلا يسخر من أصحابه يأمرهم اليوم بأمر ويأتيهم غداً بما هو أهون عليه منه" فنزلت هذه الآية.

- استطراد/ /وأنتم تعرفون أن النسخ باب كبير في علوم القرآن وتطبيقاته في كتب التفسير كثيرة والصحيح أن هناك نسخ وله شروط و ضوابط و له أنواع أيضاً لكن ينبغي أن لا يتوسع في هذا الباب بل نتقيد بما ذكره العلماء أما القول بأن كل شيء منسوخ ، منسوخ بآية السيف أو منسوخ بكذا ينبغي حقيقة التأمل والهدوء في هذا الباب ، وهو باب من الناس من أنكروه ، اليهود كانت تنكر النسخ ، وهنا كفار قريش كما قلنا.النسخ من الناس من أنكره كما قلت ، وللأسف مثل أبي مسلم الأصفهاني و غيره أنكروا النسخ و هو ثابت يقول تعالى {مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ

بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} و هنا {وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ} فالنسخ موجود و واقع و الأمثلة عليه كثيرة ، والعلماء ألفوا حتى بهذا العنوان : (الناسخ و المنسوخ) ، (ناسخ القرآن ومنسوخه) ، فيه لأبي جعفر النحاس ، وفيه لمكي ابن أبي طالب القيسي ، (كتاب نواسخ القرآن) لابن الجوزي وأيضًا المتأخرون الآن لهم مؤلفات في النسخ]

{وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ} (التبديل) هنا بمعنى : النسخ. يعني وإذا نسخنا آية مكان آية.

وعلماء النسخ ذكروا أنواعًا كثيرة من النسخ منها :

- **نسخ الحكم والتلاوة معًا مثل :** كما في حديث عائشة (كان ممّا يتلى عشر رضعات معلومات ثم نسخن بخمس رضعات) هل هناك الآن آية فيها عشر رضعات ؟ لا ، و أيضاً حكمها نُسخ فيكفي الآن خمس رضعات في التحريم.
- **نسخ الحكم مع بقاء التلاوة مثل :** المناجاة {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً}. في عهد النبي صلى الله عليه و سلم جاءت فترة ثم نُسخت ، أيضاً هناك آيات في القرآن تتلى ولا يعمل بها مثل عدة المتوفى عنها زوجها في الأول كان إلى سنة ثم بعد ذلك نُسخ بأربعة أشهر وعشراً ، والحديث عن النسخ باب واسع لكن المهم أن معنى {وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ} أي : نسخنا.

{وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ} أي : من ناسخ ومنسوخ ، وتشديد وتخفيف ، فهو عليم بالمصلحة لأن العلماء ذكروا أن النسخ على أنواع مثل : (١) النسخ من مثل إلى مثل. (٢) النسخ من أثقل إلى أخف. (٣) النسخ من أخف إلى أثقل. والله جل وعلا عليم بالمصلحة ، عليم بما ينفع العباد وهو الحكيم الخبير سبحانه و تعالى.

{قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ} (مفتر) بمعنى كاذب. يعني اتهموا الرسول صلى الله عليه و سلم هنا بالكذب قالوا لماذا مرة يكون كذا حلال ومرة يكون هذا حرام ؟! رأوا أن هذا تلاعب وكذب وتحايل على الله عز وجل.

{ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} ما هو الشيء الذي لا يعلمونه ؟ اختلف فيه على قولين **وكلاهما صحيح :**

القول الأول /أي : لا يعلمون أن الله أنزله. **(الشرح)** إذا كان الكافر قد كفر بالقرآن ولا يعتقد بشيء في هذا القرآن ولا يعتقد أنه من الله ، بل كما قالوا : أساطير الأولين ، وحديث يفترى ، ونحو ذلك مما اتهموا به النبي صلى الله عليه وسلم واتهموا به القرآن.

القول الثاني /أي : لا يعلمون فائدة النسخ. **(الشرح)** الإنسان إذا حرم من هذا الدين ، وأيضًا لو كان مسلمًا وحرم التبصر والتأمل في محاسن هذا الدين فهو يُحرم من معرفة فوائد النسخ ، والعلماء ذكروا أن هذا النسخ فيه فوائد منها : (١) وهو أعظمها الإيمان بأن هذا القرآن كلام الله عز وجل. (٢) مراعاة الشريعة لمصالح الناس و أحوالهم. (٣) أن الدين مبني على اليسر {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}. مصالح وفوائد كثيرة ذكروها العلماء الذين كتبوا في النسخ.

{قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢)}.

{قُلْ نَزَّلَهُ} الضمير هنا يرجع إلى القرآن قولاً واحداً.

{رُوحُ الْقُدُسِ} لا شك هو معروف هو جبريل عليه السلام.

وهذا وصف شريف وهو أفضل الملائكة وهو السفير بين الله و بين خلقه والنبي صلى الله عليه وسلم لما طلب من حسان أن يرد على الكفار بالشعر ، و الشعر نوع من أنواع الجهاد ونوع من أنواع السلاح وليس يقتل ولكنه يقتل قتلاً معنوياً، قال عليه الصلاة والسلام (أهجهم وروح القدس معك) يعني أن جبريل يؤيدك ويعينك ويوفقك بإذن الله عز

وجل، ومعروف أن جبريل عليه السلام هو السفير بين الله وبين رسله ولذلك لما جاءت خديجة بالنبي صلى الله عليه وسلم وكان ترعُد فرائصه لما نزل من الغار وقد نزلت عليه الآيات الأول {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}. إلى ورقة ابن نوفل فأخبرهم بأن هذا هو الناموس الذي كان يأتي إلى الأنبياء من قبله ، بيّن له أن الذي نزل به هو جبريل عليه السلام

{مِنْ رَبِّكَ} يعني أن هذا القرآن من كلام الله عز وجل ، وليس هو كل كلام الله ، لا ! بل الله جل وعلا يتكلم بما شاء إذا شاء كيف شاء سبحانه و تعالى، و هذه عقيدة أهل السنة و الجماعة.

{بِالْحَقِّ} أي : بالأمر الصحيح و بضد الباطل ، بالحق الذي لا مرية فيه ، فالقرآن كله حق وليس فيه شيء مختلف فيه أو فيه بطلان أو فيه نقاش ، لا ، القرآن كله حق وكله فصل {وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ}. فالقرآن عظيم الله جل وعلا يقول {إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا}. {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى}. فالقرآن عظيم وهو حق ضد الباطل وهو فصلٌ جزلٌ ، لا ضعف فيه أو في أسلوبه بل هو كله متماسك.

{لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا} يثبتهم بماذا ؟ بما فيه من الآيات فيزدادوا إيماناً ولذلك الله جل وعلا ذكر في موضع آخر قال سبحانه{وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ}. المؤمنون يزدادون إيماناً بهذا القرآن بتلاوته بحفظه بالتأمل في آياته بقراءة تفسيره بالعمل به ، فالإيمان على عقيدة أهل السنة والجماعة يزيد وينقص ، ومن أعظم أسباب زيادة الإيمان العناية بكتاب الله عز وجل،

[بعض الناس يقول : أنا ضعيف الإيمان ، أنا أحس بضعف أنا مسكين ! نقول : أنت تركت أسباب الزيادة كما أن صحتك تزداد بالأكل وبحفظها عن التعرض للأوبئة والأمراض أيضاً إيمانك قد يضعف فالإيمان يزيد وينقص و هذا من رحمة الله سبحانه و تعالى وكل إنسان ينظر في حاله، ومن أعظم أسباب زيادة الإيمان العناية بالقرآن الكريم ومن ذلك التأمل في تفسير القرآن والنظر في فقه أحكامه فإنه والله تسبغ على الإنسان الرضا والثناء على الله بما هو أهله وأن يحمد الإنسان ربه أنه مؤمن موحد يعبد الله عز وجل و يتلو كتابه و يحفظه و هذا من فضل الله سبحانه و تعالى]

{وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} يعني هذا القرآن هداية و بشارة هداية لمن تمسك به.

والله جل و علا يقول {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}. هداية القرآن كما قال بعض العلماء تمتاز بأنها **عامة** وواضحة وصريحة ، هداية القرآن الحمد لله ما تحتاج تكلف أو أن الإنسان يبالغ أو يشدد أبداً، تجد الناس يصفون خلف الإمام منهم العامي الذي لا يقرأ ولا يكتب فيبكي ويتأثر، ومنهم النصف متعلم فيتأثر ، ويتأثر المتعلم أيضاً ، ولكن لمن؟ لمن شرح قلبه ، لمن ألقى السمع وهو شهيد، نعم هؤلاء يستفيدون من القرآن وهذا من مظاهر عظمته ، وهداية القرآن كما قلت عامة وتامة ، هداية القرآن الله جل وعلا أبانها في كتابه ولخصت هداية القرآن في آية الإسراء {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} [وقد ذكر الإمام الشنقيطي في هداية القرآن عند هذه الآية كلاماً نفيساً جداً في تفسيره (أضواء البيان) بلغ حوالي ٥٢ صفحة أرجو من الأخوة والأخوات أنهم يراجعونه ليتعرفوا و يقفوا على هدايات القرآن].

{وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} بلا شك أن هذا القرآن بشارة ، المؤمن عندما يقرؤه ينشرح صدره ويحمد الله عز وجل أن جعله من أهل القرآن ، يقرأ عن التوحيد فيوحد الله ويحذر من الشرك ، يقرأ وينظر في أحوال الأمم السابقة ، يقرأ في أحوال أهل الجنة فيزداد نشاطاً في الخير والعبادة ، يقرأ عن أحوال أهل النار فيخاف أن يكون منهم، آيات القرآن والتلذذ بسماع تلاوته ينشرح بها الصدر ، ولكن لمن؟ للمؤمنين المسلمين الذين انقادوا وآمنوا وصدقوا بأن هذا القرآن كلام

الله عز وجل،

أعيد و أكرر أيها الأخوة والأخوات أن هدايات القرآن و دلالاته عظيمة جداً وينبغي لطالب العلم وطالبة العلم أن يكون لهم تأمل ونظر في القرآن الكريم في هداياته وفي دلالاته وجماع هذا الأمر : المنهج العظيم الذي ربى النبي صلى الله عليه وسلم عليه أصحابه .

يقول أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي رحمه الله تعالى : "حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن عثمان بن عفان وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهما قالوا أنهم كانوا إذا تعلموا من رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوهن حتى يتعلموا ما فيهن من العلم والعمل ، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً".

الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في شرح مقدمة أصول التفسير لما جاء عند هذا الأثر قال : دل هذا الأثر على أن مقاصد القرآن تعود إلى ثلاثة أمور :

المقصد الأول /العناية بالقرآن ذاته تلاوة وحفظاً وتعلماً وتعليماً.

وهذا فيه الحسنات وفيه الأجور ، من قرأ حرفاً من كتاب الله فله عشر حسنات إلى سبع مائة ضعف لا أقول (الم) حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف ، أيضاً الحفظ الإنسان يحفظ القرآن هذه نعمة من الله عز وجل والنبي صلى الله عليه وسلم قد أخبرنا أنه (يقال لقارئ القرآن اقرأ وارتق في الجنة فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها) ، (الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب) ، أيضاً تعلم القرآن وتعليمه احتساب للأجر ، النبي صلى الله عليه وسلم يقول (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) وفي رواية (أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه) ولذلك أبو عبد الرحمن السلمي عبد الله بن حبيب هو الذي روى هذا الحديث -والحديث هذا مما انفرد به البخاري عن مسلم- جلس يقرئ الناس حوالي أربعين سنة فلما قيل له في ذلك قال : "هذا الذي أقعدني مقعدي هذا" أي الذي جعله يقوم بهذا لأمر روايته لهذا الحديث (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) و في رواية أخرى (أفضلكم من تعلم القرآن و علمه).

ينبغي للإنسان يكون له حزب من القرآن لا يخل به والسلف كان لهم طرق : منهم من يختم القرآن في شهر ، عشرين يوم، خمسة عشر يوم، وكانوا يختمون القرآن ومن وفق منهم -والتوفيق بيد الله- في سبعة أيام ويدل على هذا حديث أبي مسعود الثقفي الحديث في مسند الامام أحمد وبعض السنن قال : (كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلية فقام زمنا ثم رجع فقلنا : أين كنت يا رسول الله ؟ قال : (حزبي من القرآن لم أكن قرأته فقرأته) ، قال : فلما قمنا سألت كبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف كنتم تحزبون القرآن ؟ قالوا : كنا نقرأ في اليوم الأول ثلاث ، ثم خمس ، ثم سبع ، ثم إحدى عشر ، ثم ثلاثة عشر فإذا جاء اليوم السابع إذا هم على حزب المفصل).

المقصد الثاني /قالوا : "فتعلمنا القرآن والعلم" العلم المقصود به : فقه القرآن التدبر التأمل {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ}.

المقصد الثالث /العمل بالقرآن وهذا هو أعظمها وأعلاها شأناً كما قال سبحانه {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}. و هكذا ينبغي للمؤمن أن يسمع و يستجيب {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ}.

الحلقة (٣٨)

موضوع الحلقة: تفسير الآيات ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ من سورة النحل

{ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (١٠٣) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤) إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٠٥)}

هذه الآيات تبين لنا حال هؤلاء الكفار مع النبي صلى الله عليه وسلم و مع هذا القرآن الكريم العظيم الذي أُنزل عليه من الله تبارك وتعالى ، فهم في شقاق وفي جحود وفي عناد ومغالبة وإثارة الشبه ، وقد جاء هذا في مواضع كثيرة من القرآن ومنها في هذا الموضع .

{ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (١٠٣)}

الله جل وعلا يقول { وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ} (يقولون) الضمير هنا يرجع إلى كفار قريش. (بشر) يعني أرادوا أنه آدمي ، ليس هذا القرآن من كلام الله وإنما علم الرسول عليه الصلاة والسلام شخص (بشر)

- **أُختلف في المراد بهذا (البشر) من هو ؟ على تسعة أقوال ذكرها المفسرون رحمهم الله منها ماهو مشهور ومنها ماهو غريب لكن نحن نذكرها نحن في مقام العلم .**

القول الأول /يقال أن المراد بهذا الذي علم النبي صلى الله عليه وسلم على زعمهم الباطل وإفكهم المفترى أنه غلام لبني المغيرة يقال له (يعيش) كان يقرأ في التوراة فعلَّم النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل أنه غلام لبني عامر بن لؤي وكان روميًا ، ومعروف أن الروم معظمهم نصارى ، فعلى زعمهم أنه جاء بمعلومات وأخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم.

القول الثاني /أنه فتى كان بمكة يسمى (بلعام) وكان نصرانيًا أعجميًا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمه -يدعوه إلى التوحيد- فلما رأى المشركون دخوله وخروجه عليه اتهموه فقالوا أن (بلعام) هو الذي علّم النبي صلى الله عليه وسلم.

القول الثالث /أنها نزلت في كاتب كان يكتب لرسول صلى الله عليه وسلم فيملي عليه "سميع عليم" فيكتب من عنده "عزيز حكيم" ثم قال له الرسول صلى الله عليه وسلم : (أي شيء كتبت فهو كذلك). **(الشرح)** هذا القول كلام باطل ولا يصح أنه كان يملي على واحد ! هو صحيح نعم ذكروا نحواً من هذا في قصة سعد بن أبي السرح لكن ليس بهذه الصورة أنه قال له : اكتب أي شيء والذي تكتبه يكون صحيحًا ! بل هذا كلامٌ باطل .

القول الرابع /أنه غلام أعجمي لامرأة من قريش يقال له (جابر). وكان جابر يأتي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فيتعلم منه ، فقال المشركون -بالعكس- : إنما يتعلم محمد صلى الله عليه وسلم من هذا.

القول الخامس /أنهم عنوا سلمان الفارسي رضي الله عنه. ولكن هذا قول بعيد لأن الآية مكية وسلمان الفارسي إنما لقي النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به في المدينة ولم يقابله ولم يلقه في مكة البتة فهذا قول غير صحيح .

القول السادس /أنهم عنوا به رجلاً حداداً -أي كان يشتغل بالحدادة- يقال له (يوخَنَّس) أو (يُوحَنَّس) النصراني وهذا كلام أيضاً باطل.

القول السابع /أنهم عنوا به غلامًا لعامر بن الحضرمي وكان يهوديًا أعجميًا واسمه (يسار).

القول الثامن /أنهم عنوا غلامًا أعجميًا اسمه (عايش) كان مملوكاً لحويطب .

القول التاسع /أنهما رجلان يقال لأحدهما (يسار) والثاني (جبر) وكانا يصنعان السيوف في مكة ، وكان النبي صلى الله

عليه وسلم مر بهما وهما يقرءان فيقف يستمع فاستفاد منهما .

القول كله يدور على أنه غلام سواء قيل غلام لبني المغيرة ، أو لبني عامر ، أو لامرأة يقال له جابر ، أو لعامر بن الحضرمي أو غيره ، أو سواءً قيل سلمان الفارسي ولكن هذا قول كما قلت ضعيف ، أو سواءً قيل أنهما رجلان اثنان يسار وجبر ، على كل حال هو غلام.

قوله تعالى {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ} الهمزة الأولى مفتوحة (أَنهم)والهمزة الثانية مكسورة (إِنما) ، الهمزة الثانية بعد القول والهمزة بعد القول تكون مكسورة. (بشر) اسم جنس يعُمُّ ما قيل سواء قيل إنه واحد أو اثنين أو أكثر، أو ذكر أو أنثى فهو يعمهم جميعًا.

**قراءات/ /{لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ} في قوله تعالى { يُلْحِدُونَ} قراءتان:

القراءة الأولى /قرأها ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وعاصم {يُلحِدون} بضم الياء وكسر الحاء .

القراءة الثانية /قرأ حمزة ، والكسائي {يَلحَدون} بفتح الياء والحاء .

التوجيه الأول للقراءة الأولى {يُلحِدون} /**قال ابن قتيبة:** "يلحدون أي : يَمِيْلُون إليه ويزعمون أنه يعلمه وأصل الإلحاد : الميل" {لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ} يعني الذي يميلون إليه ويزعمون أنه يعلمه.

التوجيه الثاني للقراءة الأولى {يُلحدون} /أي: بمعنى يعترضون (لسان الذي يعترضون إليه أعجمي) ومنه قوله { وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ}. أي : باعتراض ، والتوجيه الأول هو الأقرب (يلحدون إليه) أي يميلون إليه لأن أصل الإلحاد : هو الميل.

توجيه القراءة الثانية { يَلحَدون} /**قال الزجاج:** " (يلحدون إليه) أي : يُمِيلُون القول فيه أنه أعجمي".

- وسواءً على القراءة الأولى {يُلحِدون} أو القراءة الثانية {يَلحَدون} هي بمعنى الميل ، أي : يميلون فيه إليه أنه أعجمي

➢ **معنى الآية** /يعني الذي يميلون إليه ويتوجهون إليه أن النبي صلى الله عليه وسلم علمه هذا القران أعجمي وهذا الأعجمي قد اُختلف في هذا (البشر) على الأقوال التي ذكرتها آنفًا.

- **هنا فائدة نحب أن نذكرها، الله تعالى قال هنا { لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ } هل هناك فرق بين أعجمي وعجمي ؟** بعض العلماء فرّق قال : "الأَعْجَمِي الذي لا يُفصِح وإن كان نازلاً بالبادية -ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم هنا وصفوه قالوا أنه أعجمي ولم يقولوا : (لسان الذي يلحدون إليه عَجَمِي)- أما العَجَمِي هو منسوب إلى العَجَم وإن كان فصيحًا" فهذا هو معناه.

{وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ} المقصود بقوله (وهذا لسان) أي : القرآن.

المراد بهذه الآية /(عربي) أي :أنه نزل بلغة العرب. (مبين) أي : فصيح وواضح.

(الشرح) القران نزل بلغة العرب بل هو بـ أشرف لغات العرب لأن لغات العرب فيها لهجات ، فالقران نزل بأفصح لغات العرب وفي أبينها وأوضحها ، ولذلك يجب أن يُحترم كلام الله عز وجل ولا يُـحمَّل أقوال ضعيفة في النحو أو شذوذ أو نحو ذلك فكلام الله جل وعلا أعظم وأجل. ولذلك من القواعد المقررة في إعراب القرآن وفي الكلام عن معانيه أن يعتقد المسلم أن كلام الله ليس مثل كلام البشر وأنه أفصح وأعظم وأجل الكلام. فيجب أن يُتأدب مع القرآن الكريم وأيضاً بالقراءات السبعيَّة التي فيه - عفا الله عن بعض المفسرين - لأن بعضهم اعترض على بعض القراءات مثل قراءة حمزة {والأرحامِ} في قوله تعالى {وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ }. هذه اعترضوا عليها ،قالوا :كيف عُطف على

الضمير المجرور بدون إعادة حرف الجر ! كذلك اعترض بعضهم على قراءة ابن عامر وهي قراءة سبعية في قوله تعالى {وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ }. وابن عامر له قراءة أخرى ، نحن لن نتوسع في هذا، لكن الذي نقوله أن القرآن أفصح الكلام وأجلُّه ، أيضاً في إعراب القرآن يجب أن يُحمل القران على أعظم الوجوه وعلى أبْيَنِها وعلى أفصحها فهذا كلام الله ليس مثل كلام البشر.

{إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٠٥)}

{إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ} يعني أن الذي لا يؤمن بالله عز وجل يفتري على الله الكذب ، الذي لا يصدق ولا يؤمن بكلام الله عز وجل تجده يفتري ويهذي ويتكلم بما لا حقيقة له ، لأن الإنسان إذا كان لا يؤمن بالله ولا يؤمن بآيات الله فليس من المستغرب أنه يعترض على القرآن أو أنه يكذب على الله عز وجل أو أنه يُحرِّف القرآن أو يحمل معانيه على معاني غير صحيحة ، وهذا شي واقع فالكفار استهزءوا بآيات في القرآن الكريم ولما فَتَر الوحي فترةً من الزمن قالوا : هجره القرآن -بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم- [قلاك ربك] يعني أبغضك ، أيضاً في كلام الكفار عن القرآن "وفي كل زمان وارث" أنهم يفترون على الله الكذب ويتقولون على الله أشياء ما جاءت لا في كتاب ولا في سنة ولا شيء من ذلك ، وهذا لا يستغرب لأنهم أصلاً لا يؤمنون بآيات الله.

وقوله تعالى {وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ} أي أن الكذب نعت لازم لهم وعادة من عاداتهم.

(الشرح) وهذه بلا شك جملة عظيمة في بيان أن هؤلاء كذبةٌ مجرمون، وأن الكذب نعت لازم لهم، هم اتهموا الرسول صلى الله عليه وسلم بالكذب لكن الصحيح والواقع أنهم هم الكاذبون، وأعظم الكذب هو الكذب على الله عز وجل ! كيف ادعوا أن الملائكة بنات الله ! كيف زعموا أن عبادتهم للأصنام هي شفعاء لله ! وكيف زعموا أن الله أمرهم بهذا ! كما جاء في قوله تعالى {وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا}. فكل هذا كذب واحتيال وتلاعب في دين الله "ولكل قوم وارث" أصحاب المعتقدات الباطلة والمذاهب السيئة يحرفون ويؤولون الآيات على غير ما هي عليه من أجل نصرة باطلهم وتقوية ما هم عليه من الشر والسوء نسأل الله السلامة والعافية .

➢ **يقول المفسرون :** أن هذه الآية {إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ } هي رد على قولهم السابق في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم {إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ }. وهذه الآية من أبلغ الزجر عن الكذب لأنه خُصَّ به من لا يؤمن ، أي أن من عادة من يتجرأ على الكذب الذين لا يؤمنون بالله.

(الشرح) وهذه الآية فيها رد على من زعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم يكذب وهم قد قالوه فيما سبق {إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ }. يعني أنت تكذب وتهذي وتأتي بما ليس على الحقيقة. والنبي صلى الله عليه وسلم وإن قال له الكفار هذا فهناك من اعترض ومن اتهم النبي صلى الله عليه وسلم بالكذب في **قصة ذي الخويصرة** -وهو زعيم الخوارج وهو بدء نبتتهم- لما قَسَم النبي صلى الله عليه وسلم الغنائم فأعطى فلان كذا وفلان كذا ، اعترض ذو الخويصرة على قسمة النبي صلى الله عليه وسلم وقال هذه قسمة ما أريد بها وجه الله -كأنه كذّب الرسول صلى الله عليه وسلم وجعله من الخونة- فقال عليه الصلاة والسلام (ألا تأمنوني -يعني على مثل هذه الغنائم- وأنا أمين الله على وحيه) والوحي ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم صباح مساء فكيف يقال أو يزعم أنه عليه الصلاة والسلام يكذب !!

وأيضًا في حادثة الإسراء والمعراج ، فالكفار كانوا يسمون النبي صلى الله عليه وسلم بالصادق الأمين لأنه صلى الله عليه وسلم كان لا يكذب لا قبل البعثة ولا بعدها وأمين مؤتمن ، ولذلك لما أخبر عليه الصلاة والسلام أنه لما أُسري به في

الليل إلى المسجد الأقصى في القدس ثم عرج به ورجع في ليلة واحدة ، وكانوا يمكثون في السفر شهرًا في الذهاب وشهرًا في الإياب فقالوا كيف يذهب ويرجع في ليلة واحدة ؟! قالوا هذا كذب ولا يصدق !! فذهبوا إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولم يكن يسمى بالصديق قبل هذا فقالوا له : إن صاحبك يزعم أنه ذهب إلى بيت المقدس وعرج به إلى السماء السابعة ورجع في ليلةَ واحدة ! قال أبو بكر رضي الله عنه : أقال هذا ؟ قالوا : نعم ، قال : هو صادق. ثم خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ليخبره بهذا الأمر ، فمن بعدها سمي الصديق رضي الله عنه ، وإن اتهام النبي صلى الله عليه وسلم بالكذب ، أو اتهام هذا الدين بالنقصان أو الاعتراض عليه هذا كلام من قديم ويوجد في الحديث من يقول هذا الكلام "ولكل قوم وارث"

➢ **فالمهم** / /هذه الآية فيها رد على هؤلاء أعظم رد و أزجر رد حينما اتهموا النبي صلى الله عليه وسلم بالكذب فجاءت هذه الآية {وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ} ومما يدل على عظم وجرم هذا الذنب -وهو الكذب- أن الله عز وجل جعله من أخلاق الذين لا يؤمنون.

(الشرح) فينبغي الحقيقة على المسلم أن يحذر غاية الحذر من الكذب، ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم قيل له: (أيكون المؤمن جبانًا ؟ قال: نعم، قيل: أيكون بخيلًا ؟ قال: نعم، قيل: أيكون كذَّابًا ؟ قال : لا) فالمؤمن لا يكون كـذّاب ، بعض الناس لا يكون معه الشجاعة مبتلى بالجبن والخوف لكن لعله يتشجع في المستقبل ، و بعض الناس مبتلى بالبخل فهو يؤدي الحق الواجب فقط لكن مع أننا نحثه على الصدقة والبذل وأن يتخلى عن هذه الصفة القبيحة ، لكن أن يكون كذاب ! لا ، هذه خصلة قبيحة لا يمكن أن توجد ! ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال (إن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا)

مرتبة الصدق /الله نجَّى عباده بالصدق ، الثلاثة في قصة غزوة تبوك : كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع صدقوا وأخبروا قالوا : والله أننا تساهلنا وبقينا في المدينة ! المنافقون جاءوا واعتذروا وكذبوا والنبي صلى الله عليه وسلم ليس له إلا الظاهر ، أما أولئك النفر الثلاثة أصابهم من الامتحان ومن البلاء ما الله به عليم وهاهو مكتوب في السيرة مما هو واضح حتى فنزلت براءتهم وتوبة الله عليهم آيات تتلى إلى قيام الساعة ونزل قوله :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ } فهذا يدل على علو مرتبة الصدق ، وذلك يقول كعب بن مالك : "والله لا أكذب ما حييت" هذه مرتبة عظيمة وأعظم من الصدق ، الصدق مع الله ، الصدق في التمسك والسير على نهج النبي صلى الله عليه وسلم يقول تعالى {قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }. فهذا مما يدل على علو مرتبة الصدق وأن الكذب لا خير فيه ، لا في العاجل ولا في الآجل ، الصدق منجاة والكذب مهواة.

*ونخص أيضاً بهذا الكلام أنتم أيها الطلاب والطالبات كون الإنسان دوما يعرف بالكذب والبعض يتساهل يقول هذه تورية هذه كذبة بيضاء ! لا يجوز التساهل في هذا الأمر ، أو نكذب ثم نستغفر الله ! هذا معناه ذنب مع العمد ثم يأتي الإنسان ويقول سأستغفر الله بعد حين هذا لا يجوز ! هذا من التلاعب والتحايل على دين الله تبارك وتعالى ، فالله الله لنكن صادقين ولنتواصى بالصدق ولا يدخل علينا الشيطان من هذا الباب فيجعلنا نتساهل ونتهاون بمثل هذه الأمور أنها سهلة أو جائزة أنه مما يمكن أن تغتفر فيه أو نحو ذلك ، هذا أمر خطير ونسأل الله عز وجل أن يعافينا وإياكم.

ملخص /هذه الآيات تصور وتبين لنا حالة من أحوال المشركين مع النبي عليه السلام ومع القرآن حين اتهموه بأنه من

عنده أو تعلمه من بشر وأنه ليس من عند الله ، فالله رد عليهم فقال يبين أنهم هم الكاذبون وأنهم هم المفترون .ويقول العلماء : من أوضح الأدلة أن الله جل وعلا أنزله بلسان عربي مبين ، وهذا الذي يلحدون إليه (أعجمي) ، فكيف يكون (أعجمي) ويعلمه هذا الكتاب الذي هو بلسان عربي مبين ؟ .أحب أن أنبه هنا أن هذا الشخص الذي يلحدون إليه { وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ } على كلامكم أن الذي علمه شخص (أعجمي) من هذا الغلام فلان أوعلان..؟ هذا أعجمي ! كيف علمه هذا الكتاب العظيم الذي بلسان عربي مبين الذي هو آية من الفصاحة والبلاغة وهذا الشخص الذي أنتم اتفقتم عليه هو أعجمي لا يعرف العربية كيف جاء بهذا القرآن العظيم هذا يدل على أن كلامهم باطل وغير صحيح وأنه لا يقبل.

الحلقة (٣٩)

موضوع هذه الحلقة : تفسير الآيتين (١٠٦) و(١٢٥) من سورة النحل .

{مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَـكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}(١٠٦)

في من نزلت هذه الآية ؟ ذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت في جملة من الصحابة منهم : عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي ، و مِقْيَس بن صُبابة ، و عبدا لله بن أنس بن خَطَل ، و طُعمة بن أُبيرق ، وقيس بن الوليد بن المغيرة ، وقيس بن الفاكه المخزومي ، يعني أن هؤلاء أُكرهوا وكانوا من المستضعفين في مكة وأكرهوا على الكفر بالله.

قال الله تعالى {مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ} أُستثنى من ذلك {إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ} والكفر بعد الإيمان تعتبر ردة توجب على صاحبها العقوبة في الدنيا والآخرة.

{إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ} (إلا) استثني هنا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان فهو (مُكره) قد يقال له : أنطق بكلمة الكفر ، سبّ الدين أو اعترض من الكلمات التي يريدونها ، لو قالها وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن أراد التخلص من عقوبة هؤلاء الفجرة الظلمة فقال هذه الكلمة لا حرج عليه ولله الحمد ، لأن الله استثنى بقوله {إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ} .

وقد اختلف العلماء في من أُنزل الاستثناء على أربعة أقوال :

القول الأول /أنه أُنزل في عمار بن ياسر أخذه المشركون فعذبوه فأعطاهم ما أرادوا بلسانه ، والمعروف أن والده ياسر وأمه سمية استشهدا، قتلهما أبو جهل بيده وبقي عمار فقيل له : سبّ الإسلام وسبّ الله وسبّ محمد وسبّ الدين فأعطاهم ما أرادوه بلسانه لكن قلبه –ولله الحمد– مطمئن بالإيمان.

القول الثاني /أنه حين نزل قوله تعالى {الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ }. إلى آخر الآيتين [اللتين في سورة النساء (٩٧) و(٩٨)][1] كتب بها المسلمون الذين في المدينة إلى من كان بمكة ، فخرج ناس ممن أقر بالإسلام فاتبعهم المشركون فأدركوهم ، فأكرهوهم حتى أعطوا الفتنة ، لما نزلت هذه الآية وأرادوا الخروج لحقهم المشركون وقالوا : ما يمكن أن تخرجوا إلا أن تسبوا الدين وتكفروا بالله فأعطوهم ما أرادوا باللسان وبقي الإيمان –ولله الحمد– في القلب.

القول الثالث /أنه نزل في عيّاش بن أبي ربيعة هاجر فحلفت أمه ألا تستظل ولا تشبع من طعام حتى يرجع فرجع إليها ،

[1] سقطت من قول الأستاذ و أخذتها من المرجع الأساسي (تفسير ابن الجوي)

فأكرهه المشركون حتى أعطاهم بعض ما يريدون. **(الشرح)** هذه أيضاً واقعة أنه لما أسلم وهاجر حلفت أمه ألا تأكل ولا تشرب وأنها ستجلس في الشمس ولا تستظل ، فرجع إليها في مكة فقبض عليه المشركون قالوا : لا يمكن تذهب حتى تكفر ! فأعطاهم ما يريدون من الكلام.

القول الرابع /أنه نزل في جبر غلام ابن الحضرمي كان يهودياً فأسلم ، فضربه سيده حتى رجع إلى اليهودية.فهذه أربعة أقوال في المستثنى من هذه الآية.

{مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَـكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}(١٠٦)

مرة أخرى أقول عندنا ثلاثة أصناف :

الصنف الأول: صنف كفر بالله عز وجل ، كان مؤمن فارتد

{مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ} ارتد وهو غير مكره فهذا له حكم الردة.

الصنف الثاني:صنف كفر بالله عز وجل وقلبه مطمئن بالإيمان ، لكنه مكره

{إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ} فهذا لا شيء عليه بإذن الله تعالى لأنه مكره.

الصنف الثالث: صنف شرح بالكفر صدراً –أعوذ بالله-

{ولكن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرا} فهذا يعود إلى الصنف الأول أيضاً فهؤلاء {فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ }.

فالصنف الأول والثالث عليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ، أما المستثنى فهذا أجره على الله عز وجل ، والله يعفو عنه بحكم أنه أكره فنطق بكلمة الكفر أو سبّ الدين من أجل أن يتخلص من العقوبة أو يتخلص من الفتنة فهذا لا حرج عليه.

فجواب كلمة {مَن كَفَرَ} و {مَّن شَرَحَ } هو /قوله تعالى {فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}

قوله تعالى {وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ} مطمئن: أي ساكن إليه وراضٍ به. قلبه مطمئن ونفسه طيبة مفعمة بالإيمان .

قوله تعالى {ولكن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرا} أي من أتاه بإيثار واختيار.

يعني من أتى الكفر وهو مختار راضٍ به هؤلاء –نسأل الله العافية- {فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } . إذن مرة أخرى أقول : معنى قوله {ولكن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرا} أي من أتاه : يعني من قَبِل هذا الكفر بإيثار واختيار.

قال ابن قتيبة : " أي من فتح له صدره بالقبول" يعني نسأل الله العافية الناس يشرحون نفسهم للإيمان وهذا يشرح صدره للكفر! وسّع صدره! فتح صدره! يفتح له صدره بالقبول !

قال أبو عبيدة : " أي من تابعته نفسه وانبسط إلى ذلك ونحو ذلك"

يعني هذه المعاني تدور على أن من أتى الكفر باختياره وإيثاره ففتح له صدره وانبسط إليه وتنعم به! نسأل الله العافية ، الناس يفرحون بالإيمان وبالدخول فيه وبالاعتزاز به وهذا يأتي إلى الكفر.

{فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } (**الغضب**) صفة من صفات الله عز وجل ، من الصفات الفعلية وهو غضب يليق بجلاله سبحانه وتعالى ، ولا يجوز أن يُتأول بأن يقال أن المراد به : إرادة الانتقام كما هو مذهب المعتزلة والأشاعرة وغيرهم الذين أوّلوا هذه الصفة ، لأنهم قالوا أن الغضب يلزم منه احمرار الوجه والاحتقان ورفع الصوت. هذا

الغضب الذي يناسب المخلوق ولا مشابهة بين الله عز وجل وبين خلقه{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}. فنحن نثبت بأن الله يغضب غضباً يليق بجلال قدره وعظيم سلطانه وأن غضبه سبحانه ليس كغضب المخلوق ، نعم من آثار غضبه سبحانه وتعالى أن قد يكون هناك عقوبة أو هلاك أو تدمير أو شيء من ذلك ، ولكن لا يجوز أن تُتأول هذه الصفة وهي من صفات الله عز وجل الفعلية فهو يغضب إذا شاء سبحانه وتعالى ، لا يجوز أن تُتأول بأنها إرادة الانتقام ونحو ذلك مما يقوله الذين لا يؤمنون ولا يقرون بهذه الصفة. فهؤلاء الذين كفروا بالله وارتدوا وشرحوا صدورهم بالكفر {فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ }.

قبل أن نتجاوز هذه الآية إلى الآية التي بعدها ، هنا كلمة يذكرها من كتبوا في أحكام القرآن في فقه القرآن الكريم قالوا : **"الإكراه على كلمة الكفر يُبيح النطق بها"** إذا أكره الإنسان على أن ينطق بالكفر أو يسب الإسلام مثلاً : مسلم قبض عليه الكفار أو اعترضه عدو فقالوا له : تكفر بالله وإلا قتلناك ، لا بأس لو كفر بالله ولكن قلبه مطمئن بالإيمان معتصم بالله عز وجل فلا حرج عليه في هذه الحالة ، العلماء توسعوا في هذا فمنهم من قال :

هل هناك فرق بين أن يخاف على نفسه أو بعض أعضائه أو لا بد أن ينال العذاب كل جسده؟

على كل حال لا فرق هنا في هذه المسألة سواء أخاف على يده ، أو خاف على نفسه بالتمام أنه يقتل ، أو أن تقطع يده ، أو يؤذى في رجله أو نحو ذلك فالتفصيل ليس مجال له هنا نحن نقول : (إلا من أُكره) من خاف على نفسه سواء في بدنه أو في يده أو في أطرافه أو في أي شيء ، وليس المعنى أنه إذا تعرض لأي شيء يكفر ! بل لابد أن تكون مسألة خطيرة أن يقتل أو يُقطع منه شيء أو سيمنع من الهجرة في سبيل الله مثلاً لا يمكن أن يكفر إلا إذا لم يكن هناك حل إلا الكفر فله أن يكفر بالله عز وجل بشرط أن يكون قلبه مطمئن بالإيمان.

ننتقل إلى الآية رقم (١٢٥)[1] وهي آية عظيمة ومنهج رسمه الله عز وجل وبيّنه لنا في الدعوة إليه تبارك وتعالى

{ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}{١٢٥}.

 # سبب نزول هذه الآية و سيأتي في الآية التي بعدها :

القول الأول /أن الرسول صلى الله عليه وسلم أشرف على حمزة فرآه صريعاً ، فلم يرَ شيئًا كان أوجع لقلبه منه فقال (**والله لأُمَثِّلَنَّ بسبعين منهم**) .

القول الثاني /أنه أصيب من الأنصار يوم أحد أربعة وستون ، ومن المهاجرين ستة منهم حمزة ومثلوا بقتلاهم فقالت الأنصار : "لئن أصبنا منهم يوما من الدهر لنزيدنّ على عدتهم مرتين" فنزلت الآيات ، وسنتكلم عن أسباب النزول بتفصيل في الحلقة القادمة .

يقول الله عز وجل {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ} (السبيل) هنا هو : دين الإسلام ، أي أدعُ إلى دين الإسلام.

{بِالْحِكْمَةِ} اختُلِف على المراد بـ (الحكمة) هنا على ثلاثة أقوال وكلها صحيح :-

القول الأول /أنه القرآن. **(الشرح)** أي أدعُ إلى سبيل ربك بالقرآن بلا شك أنه أعظم طريق وأشرف طريق لكي تدعو الناس هو بالقرآن الكريم أن تسمعهم وتبين وتوضح دلالته وهِداياته .

القول الثاني /أنه الفقه. **(الشرح)** فلابد للإنسان عندما يدعو لابد أن تكون دعوته بـ(حكمة) أي بفقه ونظر وألا

[1] سبق لسان من الأستاذ فقال الآية (١٥٠) وإلا فهو يقصد الآية (١٢٥)

يدعو بجهل وعدم معرفة.

القول الثالث /أنها النبوة. **(الشرح)** ولا شك أن الإنسان يدعو على مشكاة من نبوة نبينا عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ولا شك أنه صلى الله عليه وسلم هو الداعي الأول وهو البشير النذير ونحن أيضاً ندعو على وفق سنته وعلى منهجه وعلى مشكاة من نوره عليه الصلاة والسلام.

وكل الأقوال هذه أقوال صحيحة.

قوله تعالى {وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ} أختُلِف بالمراد بـ(الموعظة) هنا على قولين:-

القول الأول /أن المراد بها هو مواعظ القرآن.

وبلا شك أن القرآن فيه من المواعظ ما تتفطر له القلوب وتنقاد له النفوس ! ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : "من لم يتعظ بالقرآن والموت لو تناطحت جبال الدنيا بين عينيه ما اتعظ" ، من لم يتعظ بمواعظ القرآن و زواجر القرآن ، ولا يتعظ أيضاً بما يرى من الصرعى والأموات ولا يتحرك ويتعظ هذا بأي شيء سيتعظ ! هذا لو تناطحت جبال الدنيا أمامه ما اتعظ. الله جل وعلا يقول {لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللّهِ}. إن أعظم ما يتعظ به الناس (القرآن الكريم) ولذلك **يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله :** -وقد قرأت له كلامًا في هذا- "إن إسماع الناس القرآن –مجرد تُسمعهم القرآن بصوت جميل مرتل – من أعظم أبواب الدعوة إلى الله عز وجل" ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته يأتي و يقرأ القرآن ويرتل ويفسر ويبين ، فمواعظ القرآن هي أعظم ما يوعظ به القلوب .

القول الثاني /بأنه الأدب الجميل الذي يعرفونه.

فالداعية إلى الله يجب أن يكون على مستوى رفيع من الأدب والخلق حتى تكسب قلوب الناس ، فالنبي صلى الله عليه وسلم كسب قلوب الناس بأخلاقه وبأدبه ، كان يُعرف قبل البعثة بالصادق الأمين ، وكان رؤوفاً رحيماً لطيفاً مع الناس قريب منهم عليه الصلاة وسلام فكسب قلوب الناس في الدعوة إلى الله عز وجل.

وهنا أحب أن أقف على قوله تبارك وتعالى {وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ} وقفتين :-

الوقفة الأولى /مع قوله أنها (مواعظ القرآن)

فأنا أعود وأكرر أنه لا أعظم ولا أفضل من الوعظ بالقرآن الكريم ، وإن كان بعض الوعاظ هداهم الله أو الدعاة أول ما يبدأ يأتي بقصص. وهذا خطأ ، المفروض الإنسان إذا أراد أن يلقي محاضرة أو يلقي درس يبدأ بالآيات من القرآن الكريم و بالأحاديث ، يذكر كلام أهل العلم في تفسير الآيات ، شُرّاح الأحاديث ، كلام العلماء في هذه المسألة ، وفي النهاية لا بأس أن يأتي بالقصص قصة أو قصتين {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ }. فالقصة لها دورها ولها تأثيرها ، لكن أن تكون هي كل شيء والإنسان يستفتح بها الكلام فلا يا أخي ! بعض الناس يتكلم لو تبحث عن آية تجد كل كلامه ما استدل ولو بآية واحدة ! ولم يذكر حديثًا واحدًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا في الحقيقة أمر خطير وكبير ، فعلى الإنسان أن ينتبه.

الوقفة الثانية /مسألة (الأدب). امتلاك قلوب الناس بالأدب الحسن بالتعامل الطيب هذا حقيقة يجذب قلوب الناس ، تملك قلوبهم.

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبد الإنسان إحسان.

وفي قوله تعالى {وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} ما المقصود هنا يجادل من ؟! اختُلِف على مرجع الضمير هنا أو في المشار إليه هنا على قولين :-

القول الأول /أنهم أهل مكة. **القول الثاني** /أنهم أهل الكتاب.

الراجح /أنه يشمل كل من يحتاج إلى مجادلة.

والعالم الآن كما يقولون كالقرية الصغيرة يستطيع الإنسان أن يرى ويسمع ويقرأ ما في شرق العالم وما في غربه ، هناك قنوات فضائية ، هناك انترنت ، العالم أصبح متواصل ، فينبغي للدعاة أن يدعو إلى الله تبارك وتعالى بعلم وفقه وبحكمة ، ويستغلوا هذه الوسائل في تعليم الناس وإرشادهم ، في الدروس العلمية وشرح الكتب ، في دروس القرآن والسنة ، إلى غير ذلك ، المهم أن المجادلة ليست خاصة لا بأهل مكة ولا بأهل الكتاب ، نعم في وقت نزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم كانت في مجادلة مع أهل مكة وكان في مجادلة مع أهل الكتاب نعم هذا حق ، لكن نحن نقول أن هذا أيضاً يشمل كل الناس بالعموم {وَجَادِلْهُم} أهم شيء {بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}.

واختُلِف في المراد بقوله تعالى {بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} على ثلاثة أقوال :-

القول الأول /أي جادلهم بالقرآن الكريم. **(الشرح)** وهذا كلام نفيس ، نعم المجادلة بالقرآن وآياته ، والله إن فيها من الحجج ومن البراهين الواضحة على وحدانية الله وعلى استحقاقه التوحيد وعدم الإشراك به دلائل واضحة ، وعلى أن هذا الدين هو الدين الحق.

القول الثاني /أي جادلهم بـ(لا إله إلا الله). **(الشرح)** وضّح لهم معنى (لا إله إلا الله) أي لا معبود بحق إلا الله، لها ركنان النفي والإثبات (لا إله) نفي جميع ما يعبد من دون الله ، (إلا الله) إثبات التوحيد و الإلوهية لله تبارك وتعالى.

القول الثالث /أي بمعنى غير فظٍ ولا غليظ ، وأَلِن لهم جانبك. **(الشرح)** وهذا أيضاً مهم فلابد للإنسان أن لا يكون فظًا ولا غليظًا بل يكون لين الجانب لطيف المعشر حسن الخلق فهذه الأمور تجذب الناس وتتملك بها قلوبهم ، يوسف عليه السلام في دعوته لما كان في السجن لما جاءه الفتيان اللذان رأيا تلك الرؤى قالا {إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}. لا شك أن يوسف كان محسن وهو في السجن بأخلاقه ، بتعامله ، لم يذهبا لأي شخص في السجن بل ذهبا ليوسف عليه السلام لماذا ؟ {إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ } فعلى الداعية أن يكون على جانب عظيم من حسن الخلق و اللطف في التعامل وحسن المعشر مع الناس .

قال تعالى {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} ما أجمل ختام هذه الآية بهذه الجملة ! أنت أيها الداعية إلى الله أيها العالم ويا طالب العلم ادع إلى الله وبلغ دين الله وأوضح وهات الأدلة ولكن التوفيق و الهداية بيد الله عز وجل ، أنت عليك هداية الدلالة والإرشاد ، الهداية نوعان :

هداية دلالة وإرشاد، وهي التي قام بها الأنبياء والرسل عليهم الصلاة السلام والعلماء وورثتهم من طلاب العلم والدعاة إلى الله .

أما **هداية الإلهام والتوفيق** هي بيد الله سبحانه وتعالى {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ} من سيضل ومن لا يقبل {وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} الذين سيقبلون هدى الله ويستفيدون ويتعلمون فهذا فضل الله عز وجل ، إذن أنت أيها الداعية لا يَفُتّنَّ في عَضُدِك ولا تتقاعس وتتكاسل إذا رأيت من يُعرض أو من يعترض عليك أو من لا يقبل كلامك فأنت بلِّغ واجتهد واحرص لكن لا يتفطر ويتقطع قلبك عليهم حسرات {فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا

يَصْنَعُونَ} ، لأن كثرة التضايق والتململ تجعل الداعية قد يتكاسل ولا يدعو إلى الله وهذا خطأ بل واصل دعوتك واستمر أن تدعو أنت أيها الأخ و أنت أيها الأخت في النصيحة ، في بذل التوجيه ولا تتضرم من كثرة من يرد أو من لا يقبل.

الحلقة (٤٠)

موضوع الحلقة: تفسير الآيات الثلاث الأخيرة من سورة النحل (١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨)

{وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (١٢٦)}

سبق أني أشرت أيها الأخوة و الأخوات في المحاضرة السابقة أن هذه الآية مع الآية التي كنا ولله الحمد توقفنا عندها وهي قول الله تعالى {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥)}

هاتان الآيتان (١٢٥-١٢٦) في سبب نزولهما قولان :

القول الأول /أن الرسول صلى الله عليه وسلم أشرف على حمزة فرآه صريعاً مقتولاً بعد غزوة أُحد ، فلم يرى شيئاً كان أوجع لقلبه منه فتأثر وبكى، فلما رآه قال : والله لا أمثلن بسبعين منهم، فنزل جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بقوله تعالى {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ ..} الآية ، فصبر النبي صلى الله عليه وسلم وكفّر عن يمينه ، قاله أبو هريرة .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : "رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة قد شق بطنه وجدعت أذناه، فقال (**لولا أن تحزن النساء أو تكون سنة من بعدي لتركته حتى يبعثه الله من بطون السباع والطير ولأقتلن مكانه سبعين رجلاً منهم**) فنزل قوله تعالى {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ} إلى قوله {وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ} رواه أيضاً الضحاك عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**لئن ظفرت بقاتل حمزة لأمثلن به مثلةً تتحدث بها العرب**) وكانت هند وآخرون معها قد مثلوا به رضي الله عنه ، فنزلت هذه الآية.

(الشرح) وعلى كلٍ رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر وينتابه ما ينتاب البشر حينما يرى عمه حمزة وهو أسد الإسلام رضي الله عنه مُثل به ، و قُتل، لكن كونه يرى بطنه قد شق و قد أُخرجت كبده ، وكانت هند بنت عتبه تأخذها وتطعمها وتلفظها ، تقطعها وتلفظها ، وجدعت أذناه وقطعت أنفه .. مثلة عظيمة ! رسول الله صلى الله عليه وسلم تأثر وبكى وقال مثل هذا الكلام (**لأمثلن بسبعين منهم**) ، (**لأمثلن بقاتل حمزة**) وأنتم تعرفون أن هند كانت تدرب عبدًا لها يقال له (وحشي بن حرب) على تسديد الرماح ، و لما جاء في غزوة أُحد تحين لحمزة فضربه في سُرته فخر صريعاً رضي الله عنه ، وحشي بن حرب أسلم بعد ذلك ، وهند أسلمت ، والإسلام يجب ما قبله ، والنبي صلى الله عليه وسلم لما أقبل على المدينة رأى نساء الأنصار هذه تبكي على زوجها ،وهذه على ولدها بكى صلى الله عليه وسلم وقال (**أما حمزة فلا بواكي له**) على كل حال نبينا بشر ويعتريه ما يعتري البشر وتأثر مما صُنع بعمه حمزة فقال هذا الكلام ونزلت هذه الآية توجيه من الله تبارك وتعالى {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ }

القول لثاني /أنه أصيب من الأنصار شهداء في غزوة أحد أربعة وستون ، ومن المهاجرين ستة ، الله أعلم ، على كل حال العدد سبعون ومنهم حمزة ، وقد مثل المشركون ببعض قتلى الأنصار فقالت الأنصار : "لئن أصبنا منهم يوماً من الدهر لنزيدن على عدتهم مرتين" ، فنزلت هذه الآية.

ورُوي أن المسلمين قالوا : "لئن أمكننا الله منهم لنمثلنّ بالأحياء فضلاً عن الأموات" فنزلت هذه الآية .

على كل الله جل وعلا أرشدهم وبيّن لهم على أن الصبر خير وأن المعاقبة تكون بمثل ما حصل كما سيأتي إن شاء الله

تعالى.

{وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (١٢٦)}

{وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ} يعني إن حصل عليكم سوء أو ضرر فلكم أن تعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، لا أن تزيدوا فالله جل وعلا يقول {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا (٤٠)}الشورى ، ولذلك اختلف العلماء هل هذه الآية محكمة أم منسوخة ؟.. يعني إنسان ظلمك آذاك هل تصنع معه مثل ما صنع بك ، وليس المقصود أنت بنفسك بل ترفع أمره إلى المحكمة إلى القاضي ، ما كل إنسان يذهب ويعاقب نفسه ، معناه إنه صارت المسألة فوضى و اضطرابات في الأمن ونحو ذلك، وهذا كلام غير صحيح ! بل الحق أن الإنسان لو أراد أن يأخذ بحقه يأخذه بالطرق الشرعية الصحيحة .

اختلف في هذه الآية هل هي منسوخة أم لا على قولين :

القول الأول /أنها نزلت قبل سورة براءة فأُمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقاتل من قاتله ولا يبدأ بالقتال ، ثم نسخ ذلك وأُمر بالجهاد ، يعني أن هذا نُسخ بقول الله تبارك وتعالى {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ}

القول الثاني /أنها محكمة وإنما نزلت في من ظلم ظلامةً فلا يحل له أن ينال من ظالمه أكثر مما ناله الظالم منه. **على كلٍ نقول : الآية محكمة وليست بمنسوخة ،** ولكن للإنسان أن يأخذ بحقه ولكن لا يأخذه هكذا يعني أمور ضائعة كما يقولون غير منضبطة . لابد عن طريق محكمة عن طريق المطالبة بالحقوق عن طريق الشرطة رجال الأمن بعد ذلك يأخذ حقه ، و إن أراد أن يعفو فهذا أفضل وأعظم والإسلام يدعو إلى العفو و يدعو إلى التسامح.

{وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ} ولا شك أن مقام الصبر مقام عظيم جاء الحديث عنه في القرآن في حوالي تسعين موضع مما يدل على علو منزلة الصبر وعلى جلالة قدرها والله جل وعلا يقول:{إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ}

{وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧)}

{وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ} (واصبر) : هنا أمر بالصبر ، وجاء الأمر بالصبر في مواضع كثيرة {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا} ، وهنا {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ}

فهنا الله عز وجل يقول {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ} لا شك أن التوفيق بيد الله عز وجل {وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ} يعني إذا الله جل وعلا ما أعان عبده على الصبر ووفقه لذلك فإنه تخور قواه ، وقد لا يتحمل ، وقد يتسخط ، وقد يعترض على قضاء الله وقدره ، وقد يشتم وقد يزل الإنسان بزلل كبير ، فنعمة من الله عز وجل أن الإنسان يُثبّت بالصبر و بالهدوء سواءً فيما يفقد من أحبه وأعزاء، أو فيما يناله من أذى الناس أو فيما يقع عليه ، {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ}

قوله تعالى {وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ} هنا أُختلف في مرجع الضمير (عَلَيْهِمْ) على من ؟ على قولين :

القول الأول /على كفار مكة إن لم يسلموا. (ولا تحزن) فأنت بلغت وأديت وعلمت وأرشدت ، والتوفيق والهداية بيد الله سبحانه وتعالى.

القول الثاني /أي و لا تحزن على قتلى أُحد فإنهم قد أفضوا إلى رحمة الله. فعلام الحزن ! وعلام الضيق ! وهم قد ولله الحمد أفضوا إلى الجنة ، ولذلك لما جاءت امرأة من الأنصار وكانت قد فقدت أحد أبنائها ، استشهد في غزوة أحد ، قالت : يا رسول الله أين ابني ؟ فإن كان يعني ليس في منزلة كذا وكذا فإني سأبكي عليه بكاءً لا ينتهي ! فأخبرها الرسول صلى الله عليه وسلم أن ابنها في الجنة وأن روحه معلقة في حواصل طير خضر تتنقل بين أشجار الجنة وفي نعيمها ، وعلى كل علام الحزن والضيق ! فالإنسان ميت اليوم أو غد ، و ليس معنى أن الإنسان يصبر أنه لا يبكي ، لا ! خير الصابرين

الرسول صلى الله عليه وسلم ومع ذلك بكى على فراق حمزة، وبكى لما مات ابنه إبراهيم ، وبكى لما رفع له ذلك الصبي أحد أبناء بناته زينب زوج العاص بن الربيع نفسه تقعقع بكى عليه الصلاة والسلام ، ولما قال له عبد الرحمن بن عوف أتبكي يا رسول الله ! فقال له (إنما هذه رحمة جعلها في قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء ، إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع ولا نقول إلا ما يرضي الرب)

فالله جل وعلا يقول {وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ} سواء قلنا على كفار مكة إذا لم يسلموا ، أو لحزن الرسول صلى الله عليه وسلم أو الصحابة رضي الله عنهم حزنوا على قتلى أُحد فهم بفضل الله وبرحمته أفضوا إلى ما هو أعظم وأفضل ألا وهو الجنة ، ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنه ما من أحد يقتل فيتمنى العود مرة أخرى إلا الشهيد ؛ لما يرى من الكرامة ومن العز ومن الخير عندما يُستشهد في سبيل الله فيتمنى العودة للدنيا فيقتل ويرجع فيقتل وهكذا أخبر النبي صلى الله عليه وسلم.

قوله تعالى {وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ} هذا توجيه أيضاً مبارك من الله تعالى

**قراءات/ كلمة (ضَيْقٍ) هنا فيها قراءتان :

القراءة الأولى /السبعة عدا ابن كثير قرؤوها بفتح الضاد ، ابن عامر ، و الكسائي ، وحمزة ، وعاصم ، وأبو عمرو ، ونافع قرؤوها بفتح الضاد {وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ}

القراءة الثانية /والقارئ عبد الله بن كثير أحد القراء السبعة قرأها بالكسر (ضِيق).

فرقوا بين (الضِيق) و(الضَيق) :

قال القرّاء : "(الضَيق) بفتح الضاد ما ضاق عنه صدرك ، و(الضِيق) بالكسر ما يكون في الذي يضيق ويتسع كالدار والثوب ونحو ذلك" **(الشرح)** قالوا (الضَيق) بالفتح : ما ضاق عنه الصدر و (الضِيق) بالكسر : هو ما يتسع ما يقبل الاتساع مثل الدار ، لكن الصدر صدر هل يمكن أن يتسع ؟! هو نفس الصدر فيقال (ضَيق) بالنسبة للصدر ، أما بالنسبة للدار ، الثوب ، ملابس هذه تضيق وتتسع أمرها سهل فهذه يقال عتها بالكسر (ضِيق) وهكذا ذكروا فرقاً.

قال ابن قتيبة : الضيْق تخفيف ضّيق ، مثل : هيّن وهيْن ، وليّن وليْن.

والمقصود {وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ} (مِّمَّا يَمْكُرُونَ) أي من عملهم وفعلهم ، المقصود بـ(المكر) هنا هو : عملهم وفعلهم .

فهم يخططون ويدبرون لمحو الإسلام ومحاربة هذا الدين والإجهاز عليه ومضايقة أهله، لكن الله جل وعلا يحمي أتباع هذا الدين ويكلأهم كما قال سبحانه {إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١)} غافر. فالنصرة والغلبة لهذا الدين وأهله وأتباعه ولكن سنة الله في هذه الحياة أن المسلمين يضعفون في يوم ما ويتغلب عليهم عدوهم ويتقاعسون ويقوون ، ولكن الغلبة والدائرة ليست عليهم، بل مَن ظن هذا الظن فهو ظن السوء كما قال ابن القيم رحمه الله : "من ظن أن الله عز وجل يُدين الباطل على الحق إدانة مستمرة يضمحل معها الدين فقد ظن بالله ظن السوء" النصرة و الغلبة لهذا الدين {يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢)} التوبة فالنصرة والغلبة ولله الحمد لهذا الدين إن عاجلاً أو آجلاً، في هذا الوقت أو بعد ذلك فالعلم عند الله سبحانه وتعالى لكن نحن مأمورون بالتمسك بالدعوة إلى هذا الدين والدفاع عنه، نعم هذا الذي نحن مأمورين بهِ أما متى يتحقق أم لا يتحقق هذا النصر فهذا في علم الله سبحانه وتعالى .

إذن {وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ} ضيق وتململ وهم وغم {مِّمَّا يَمْكُرُونَ} أي : من فعلهم وتدبيرهم وتخطيطهم لا تك في ضيق من هذا .

قال سبحانه في ختام هذه الآيات {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ} هذه المعية كما لا يخفى على شريف علمكم هي (المعية الخاصة) والتي من فوائدها وثمراتها : النصرة والتأييد والحفظ والرعاية من الله سبحانه وتعالى ، فإذا كان الله جل وعلا مع العبد فممَّ الخوف والحزن؟ ممَّ الذعر؟ ممَّ الإضطراب والقلق؟ الحمد لله ، الله جل وعلا إذا كان مع عبده يحفظه ويؤيده وينصره ويكلأه ويسدده هذا فضل عظيم من الله سبحانه وتعالى ولكن لمن؟ من هم الذين يستحقون هذا الأمر ؟ {الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ} التقوى مقام رفيع من مقامات الدين وهو أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية بفعل أوامره و اجتناب نواهيه.

وقد روي عن سلفنا الصالح رحمهم الله أقوال في بيان بعض أسس التقوى وقواعدها أذكر منها على وجه الإجمال :

قال علي رضي الله عنه : "التقوى الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والقناعة من الدنيا بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل" .

وقال عبد الله بن مسعود : "التقوى أن يطاع الله فلا يعصى وأن يذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر".

وقال طلق بن حبيب : "التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخشى عقاب الله" .

وقال الحسن : "التقوى أن لا يفقدك الله حيث أمرك ولا يراك حيث نهاك" .

الأمر الثاني هنا الإحسان / والإحسان مرتبة عظيمة أعلى مراتب الدين وهو : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

انتهى بحمد الله

أحمد الله جل وعلا وأثني عليه بما هو أهله أن يسر لنا ولله الحمد هذا التفسير لمستوى الخامس لكلية الشريعة في رحاب هذه الجامعة جامعتنا المباركة الطيبة ، جامعة الإمام بن سعود الإسلامية وفي رحاب هذه الكلية كلية الشريعة ، الكلية العريقة التي تعتبر ولله الحمد محل عظيم لتعليم الشريعة الإسلامية بفنونها : الفقه وأصول الفقه والتفسير والحديث والعقيدة وغير ذلك من العلوم الأخرى ولله الحمد ، أسأل الله جل وعلا أن يوفقنا للعلم النافع والعمل الصالح وأن يجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهله وخاصته ، كما أنني أشكر القائمين على برنامج التعليم عن بعد والقائمين على التسجيل وعلى هذا الإعداد بدءًا من معالي مدير الجامعة ووكلائه والعمداء والقائمين على هذا البرنامج ، وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه. هذا والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بحمد الله تعالى